

2272
.68987
337

2272.68987.337

al-Mūsawī

al-Fusūl al-muhimmah

fi ta'lif al-ummah

DATE

ISSUED TO

DATE ISSUED

DATE DUE

DATE ISSUED

DATE DUE

DUE JUN 15 1991

DUE JUN 15 1992

DUE JUN 15 1993

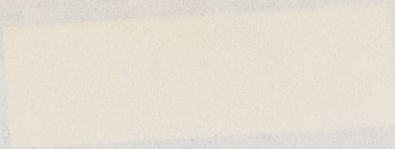
DUE JUN 15 1994

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



32101 018053999



HAMILTON BON

Princ

الامام المجاهد

عبدالحسين شرف الدين الموسوي

الفصول المهمة

في

تأليف الامام

طبعة النجف

١٣٢٥ هـ - ١٩٥٦ م

٨

الْفُصُولُ الْمُهِيْمَةُ

al-Fuṣūl al-muḥimmah
في

تأليف الأستاذ

تأليف

آية الله الامام الشريف

السيد

عبدالحسين شرف الدين الموسوي

(الطبعة الثالثة)

ويليها الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (عليها السلام)

للمؤلف أيضاً

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

طبعة الجحف

١٣٧٥ هـ

تذبيـه

توسعنا بالفصول المهمة في هذه الطبعة ، لفوائدها ، واتماماً لمقاصدها ،
فظهرت اليوم بغير مظاهرها أمس حتى كأنها خير الاولى ، فننبه المطالعين على تلك
إلى أنها لا تغنيهم عن هذه (وفي الحمية معنى ليس في العنب) .
وما أحق كتابي هذا بأن اخاطبه بقول ولي الدين يكن :
كتابي سر في الأرض واسلاك فجاجها وخل عباد الله تتلوك ما تتلو
فما بك من اكنوبة فأخافها ولا بك من جهل فيزرى بك الجهل

تذبيـه آخر

لما كانت الكتب المتكرر طبعها مختلفة في عدد الصفحات لم تقتصر في
مقام النقل عنها في هذا الكتاب وغيره على تعيين الصفحة فقط بل عينا معها
الباب أو الفصل مثلاً ، ليرجع اليه من لم تكن صفحات النسخ التي عنده موافقة
لصفحات النسخ التي عندنا ، فاحفظ هذه الجملة وانتبه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الميامين (١)
 لا تنسق امور العمران ولا تستتب أسباب الارتقاء ولا تنبث روح المدينة ولا
 تبزغ شمس الدعوة من أبراج السعادة ولا نرفع عن أعناقنا نير العبودية بيد
 الحرية إلا باتفاق الكلمة واجتماع الأفئدة وترادف القلوب واتحاد العزائم،
 والاجتماع على النهضة بنواميس الامة ورفع كيان الملة وبذلك تهتز الارض طرباً
 وتمطر السماء ذهباً وتتفجر ينابيع الرحمة من قلب المواساة فتجري في سهوب
 الترقى وتتفرق في بيد (٢) العمران وأخاديد الخنايا والاتحاد فتشمر روح
 الانسانية من أجدائها وتحشر الملة الفطرية من رفاتها ويتباج القسط بازعة أنواره
 ويستوسق نظام العدل خافقة بنوده ويتفقد الحاكم أمر رعيته تنفد الوالد العطوف
 أمر ولده وعندها تجب موازرتة في إحياء مواتها وعمارة فلواتها ورتق ما انفتق
 واصلاح ما فسد وارشاد من ضل وجهاد من بغى واعانة من ضعف،
 وتعليم من جهل .

(١) بسم الله الرحمن الرحيم يتول ناظم هذه الفصول عبدالحسين شرف الدين
 الموسوي لما نذرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب النسخ من لا تسعني مخالفتهم
 من المؤمنين من أهل سوريا والعراق وغيرهما أن اعيد طبعه وأن أوسع فيه ليتضاعف
 نفعه فأجبتهم الى ذلك - وعلمت في أسفل صفحات الكتاب تعليقة نافعة جداً - والله
 نسأل أن يكون الكتاب وتعليقته خالصين لوجهه الكريم إنه الرؤوف الرحيم .

(٢) جمع يبداء كبيض جمع بيضاء .

2272

68987

337

أما اذا كانت الامة أوزاعاً متباينة وشيعاً متباغضة لاهية بعثها غافلة عن رقيها لتكونن حيث منابت الشيع ومهافي الريح أذل الامم داراً ، وأجديها قراراً مذقة الشارب ونهزة الطامع وهدف السهام وقبسة العجلان ، في باحة ذل وحلقة ضيق وعرصه موت وحومة بلاء لا تأوي الى جناح دعوة ، ولا تعصم بظل منعة فخذار حذار من بقاء الفرقة وتشنت الالفة واختلاف الكلمة وتنافر الأفئدة » ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم . « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » ألا وإنا في عصر العلم ودور الذكاء والفتنة قد تفجر لذوي العصر يذوع الحكمة وتقشعت عن أبصارهم غياهب العشوة فزهر كبرياء النور من أفكارهم وأشرقت شمس الفضل من وجوههم فهلا شرعوا خطي أقلامهم وجردوا صوارمها ووتروا قسي أفكارهم وناضلوا بشواقبها فأزهقوا نفس العصبية ومحقوا آثارها وصدعوا بوظائف الانسانية ورفعوا منارها وهتفوا بدعوة التمدن واعتنوا باتحاد التشيع والتسنن بخطابة تملأ مسمع الدهر وملامة تقلقل جلاميد الصخر ، فمتى يطلقون عنان براعتهم ويحملون على جيوش التوحش بيراعتهم ، وينهضون باجماع الاملاء ويصدعون بأسباب التمدن والارتقاء ويحذرون الامة مما يصطلم حوزتها ويفرق جماعتها فان الله سبحانه يقول « ولا تنازعوا فتفشلوا » وإني صادع بهذه المقالة شارع بعون الله تعالى في تصنيف رسالة سميتها (الفصول المهمة في تأليف الامة) « إن اريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب . »

فصل

في نبذة مما جاء في الكتاب العزيز والسنة المقدسة من الترغيب في الاجتماع والالفة قال الله تبارك وتعالى « إنما المؤمنون أخوة » . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . « محمد رسول الله والذين معه » الى أن قال عز اسمه في وصفهم « رحماء بينهم » . « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » . « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » الى غير ذلك من الآيات الكريمة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : الدين النصيحة ، قلنا لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامةهم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا

وكونوا عباد الله اخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مؤمناً ستره الله يوم القيامة .

وقال الصادق عليه السلام : المسلم أخو المسلم هو عينه ومراآته ودليله لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه .

وقال عليه السلام لجماعة من شيعته : اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصين متواضعين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وأحيوا أمرنا .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف . وفي حديث آخر إن أحبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون . وإن أبغضكم الى الله المشاؤون بالميمية المفرقون بين الاخوان .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على الجنة يضيء حسنهم كما تضيء الشمس ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرع الناس وهم لا يفرعون ويخاف

الناس وهم لا يخافون اولئك اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
ف قيل : من هم يا رسول الله ؟ فقال : هم المتحابون في الله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول حققت محبتي للذين
يتزاورون من أجلي وحققت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وحققت محبتي
للذين يتباذلون من أجلي ، وحققت محبتي للذين يتناصرون من أجلي .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون
بجلالي اليوم أظلم في ظلي .

وعن باقر علوم النبيين عن آبائهم الخلفاء الراشدين عن جدهم سيد المرسلين
صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين من حديث طويل قال اذا كان يوم القيامة
ينادي مناد أين جيران الله جل جلاله في داره فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم
زمرة من الملائكة فيقولون لهم ماذا كان عملكم فصرتم به جيران الله في داره
فيقولون كنا نتحاب في الله ونتباذل في الله ونزاور في الله عز وجل قال فينادي
مناد صدق عبادي خالوا سبيلهم لينطلقوا الى جوار الله بغير حساب .

وعن عبدالمؤمن الأنصاري قال دخلت على الامام أبي الحسن (الكاظم)
عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله الجعفري فتبسمت اليه فقال عليه السلام أتجبه ؟ قلت :
نعم وما أحببته إلا لكم فقال عليه السلام هو أخوك والمؤمن أخو المؤمن لأبيه
وامه ملعون ملعون من اتهم أخاه ملعون ملعون من غش أخاه ملعون ملعون من
لم ينصح أخاه ملعون ملعون من استأثر على أخيه ملعون ملعون من اغتاب أخاه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الشاء على الاخوة في الدين
من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره أو ذكر أعانه ومثل

الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل أحدهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً .

وقال أمير المؤمنين (ع) : عليكم بالآخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمعون الى قول أهل النار « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » .
وعن جرير بن عبد الله قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

والأخبار في هذا متواترة والصحيح متظافرة وإذا راجعت حديث الفريقين رأيت الصبح قد أسفر لذي عينين وفي هذا كفاية لمن له من الله هداية .

« فصل » ٢

في بيان معنى الاسلام والايمان اللذين بهما ينال العبد غاية الرضوان ، وعليهما يكون المدار وبوجودهما تترتب الآثار .

دعاني الى بيانهما افنصاع اهل العصية والتنديد بهؤلاء المرجفين على حمية الجاهلية ، فأقول : أجمع اخواننا اهل السنة على أن الاسلام والايمان عبارة عن الشهادتين والتصديق بالبعث والصلوات الخمس الى القبلة وحج البيت ، وصيام الشهر ، والزكاة والخمس المفروضين (١) وبهذا تعان

(١) وربما بعضهم فرق بين الاسلام والايمان بفارق اعتباري والذي يظهر من قوله تعالى « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » إن الاسلام عبارة عن مجرد الدخول في الدين والتسليم لسيده المرسلين وإن الايمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الاعتراف به في اللسان فيكون على هذا أخص من الاسلام ونحن نعتبر فيه الولاية مضافاً الى ذلك فافهم .

الصحاح الستة وغيرها :

ففي البخاري بسنده قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم .

وفيه أيضاً بالاسناد الى أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا (١) الله في ذمته .

وفيه بالاسناد الى طاحه (٢) بن عبيد الله قال جاء الى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم رجل من اهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله (ص) خمس صلوات في اليوم والليلة قال هل علي غيرها ؟ (٣) قال لا . إلا أن تطوع قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وصيام رمضان قال هل علي غيره ؟ قال لا . إلا أن تطوع قال وذكر له الزكاة قال هل علي غيرها ؟ قال لا . إلا أن تطوع قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أفلح إن صدق .

وفي صحيح البخاري أيضاً بالاسناد الى نافع ان رجلاً أتى ابن عمر فقال

(١) الاختار نقض العهد وهذا الحديث والذي قبله مقيدان بما يدل على اشتراط الصوم والزكاة والحج كما لا يخفى .

(٢) هذا الحديث موجود في صحيح مسلم بهذا الاسناد أيضاً .

(٣) يعنى من جنسها وكذلك المراد من قوله هل علي غيرها بعد ذكر الصيام والزكاة

يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله وقد علمت ما رغب الله فيه ، قال يا ابن أخي بني الإسلام على خمس ، إيمان بالله ورسوله ، والصلاة الخمس ، وصيام رمضان ، وإداء الزكاة ، وحج البيت .

وفيه أيضاً بالاسناد الى أبي هريرة ، قال كان النبي صلى الله عليه وآله بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل فقال ما الإيمان ؟ قال صلى الله عليه وآله : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وتؤمن بالبعث ، قال ما الإسلام ؟ قال صلى الله عليه وآله : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . الحديث ، وآخره ثم ادبر (يعني السائل) فقال صلى الله عليه وآله ردؤه ، فلم يروا شيئاً ، فقال هذا جبرائيل ، جاء يعلم الناس دينهم .

قلت واخرج هذا الحديث مسلم أيضاً في صحيحه بطرق مختلفة ، وأسانيد متعددة ، بعضها عن عمر بن الخطاب ، وبعضها عن ابنه عبد الله ، وبعضها عن أبي هريرة ، وفيه شيء ما من زيادة او نقصان .

واخرج البخاري في عدة مواضع من صحيحه بالاسناد الى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله ، قال لو فد عبد القيس (لما امرهم بالإيمان بالله وحده) أتدرون ما الإيمان بالله وحده ، قالوا الله ورسوله اعلم ، قال : شهادة ان لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وان تعطوا من المغنم الخمس الحديث (١) والأحاديث في هذا المعنى لا تكاد تحصى ،

(١) واخرجه مسلم أيضاً في عدة مواضع من صحيحه ولا يخفى ما فيه من الدلالة على ان الخمس ركن من أركان الإسلام كالصلاة والزكاة فيكون هذا الحديث مقيداً لجميع الأحاديث المطلقة بالنسبة الى الخمس ولا غرو فان الكتاب والسنة يقيد بعضها بعضاً .

فمن ارادها فعليه بمظانها من الصحاح الستة وغيرها ، ولا سيما كتاب الايمان من صحيح مسلم ، فان فيه أبواباً كثيرة ، تفيد القطع بأن الاسلام والايمان عند أهل السنة ليس إلا ما ذكرناه ، على ان ما سنورده في الفصلين الآتين صريح في ذلك ايضاً ، فتدبر ولا تذهل .

« فصل »

٣

في نبذة مما صح عند اهل السنة والجماعة ، من الأحاديث الدالة على ان من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله محترم دمه وماله وعرضه ، اوردناها لينتبه الغافل ، ويقنع الجاهل ، وليعلم ان امر المسلمين ليس كما يزعمه اخوان العصبية ، وابناء الهمجية ، وحلفاء الحمية ، حمية الجاهلية ، الذين شقوا عصا المسلمين ، واضرموا نار الفتن بينهم ، حتى كانوا اوزاعاً وشيعاً ، يكفر بعضهم بعضاً ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، من غير امر يوجب ذلك ، إلا ما نفخته الشياطين ، او نفثته ابالسة الانس الذين هم انكى للاسلام من نسل آكلة الاكباد ، وهذا عصر العلم ، عصر الانصاف ، عصر النور ، عصر التأمل في حقائق الامور ، عصر الاعراض عن كل تعصب ذميم ، والأخذ بكتاب الله العظيم ، وسنة نبيه الكريم ، واليك منها ما عقد الفصل لذكره .

اخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لمعاذ بن جبل ، حين بعثه الى اليمن ، إنك ستأتي قوماً اهل كتاب ، فاذا جشهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، فانهم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات

في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لك بذلك ، فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم ، وترد على فقرائهم ، فان هم اطاعوا لك بذلك ، فياك وكرائم أموالهم الحديث (١) .

وتراه ينادي بثبوت الاسلام لهم بمجرد طاعتهم له بذلك ، بحيث تكون أموالهم حينئذ فضلاً عن اعراضهم ودمائهم محترمة كغيرهم من أفضل أفراد المؤمنين .

ومثله في باب فضائل علي عليه السلام من الجزء الثاني من صحيح مسلم (٢) قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، (وفي رواية أخرى هي في الصحاح أيضاً ويحبه الله ورسوله) يفتح الله على يديه . قال قال عمر بن الخطاب : ما احببت الامارة إلا يومئذ ، فتساورت لها رجاء أن أدعى لها ، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب فاعطاه إياها ، وقال : امش ولا تلتفت ، قال فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم .

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه بالاسناد الى ابن عباس ايضاً ولا يخفى تقييده بما دل على اشتراط طاعتهم له في الصوم والحج والخمس من الصحاح الآخر .

(٢) وهو موجود في باب غزوة خيبر من الجزء الثالث من صحيح البخاري وفي باب مناقب علي عليه السلام من الجزء الثاني منه ايضاً بنوع ما من التغيير في اللفاظ .

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أسامة بن زيد ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحرة فصحبنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكفَّ الانصاري عنه ، فطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك ، فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ، قلت كان متعوذاً ، قال : فما زال يكررها حتى تمتيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

قلت : ما تمنى ذلك حتى اعتقد أن جميع ما عمله قبل هذه الواقعة (من إيمان وصحبة وجهاد وصلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها) لا يذهب عنه هذه السيئة ، وأن أعماله الصالحة بأجمعها قد حبطت بها . ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على أنه كان يخاف أن لا يُعفَر له ، ولذلك تمّ تأخر إسلامه عن هذه الخطيئة ، ليكون داخلاً في حكم قوله (ص) « الإسلام يجب ما قبله » ، ونأهيك بهذا دليلاً على احترام لا إله إلا الله وأهلها وإذا كانت هذه حال من يقولها متعوذاً ، فما ظنك بمن انعقدت بها نطقته ثم رضعها من ثديي أمه ، فاشتد عليها عظمه ، ونبت بها لحمه ، وامتلأ من نورها قلبه ، ودانت بها جميع جوارحه ، فلينته أهل العناد عن غيهم وليحذروا غضب الله تعالى وسخط نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي الصحيحين بالاسناد إلى المقداد بن عمرو ، أنه قال يا رسول الله أرايت ان لقيت رجلاً من الكفار ، فاقتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة ، فقال أسلمت لله ، أأقتله يا رسول الله بعد ان قلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقتله ، فان قتلته فانه

بمنزلتك قبل أن تقتله (١) وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال (٢) .
قلت ليس في كلام العرب ولا غيرهم عبارة هي أدل على احترام
الاسلام وأهله من هذا الحديث الشريف . واي عبارة تكيله في ذلك
أو توازنه ، وقد قضى بأن المقداد على سوابقه وحسن بلائه ، لو قتل ذلك
الرجل لكان بمنزلة الكافرين المحاربين لله ولرسوله ، وكان المقتول بمنزلة
واحد من أعظم السابقين ، واكابر البدرين الاحديين . وهذه أقصى
غاية يؤمها المبالغ في احترام اهل التوحيد ، فليتيق الله كل مجازف عنيد .
وأخرج البخاري في باب بعث علي عليه السلام وخالد الى اليمن :
أن رجلاً قام فقال يا رسول الله اتق الله ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ،
ويلك ألسن أحق اهل الارض أن يتقي الله ، فقال خالد يا رسول الله
ألا أضرب عنقه ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ، لعله أن يكون يصلي (٣) .
قلت اعظم بهذا الحديث ودلالته على احترام الصلاة واهلها ، وإذا
كان احتمال كونه يصلي مانعاً من قتله ، وقد اعترض على النبي صلى الله

(١) يعني انه يكون من عدول المؤمنين لأن المقداد كان كذلك .

(٢) يعني انه يكون بمنزلة الكافر الحربى لأن المقتول كان كذلك قبل أن
يقول كلمته التي قالها .

(٣) وأخرجه احمد بن حنبل من حديث ابن سعد الخدري في صفحة ٤ من
الجزء الثالث من مسنده . ومثله ما نقله العسقلاني (في الإصابة في ترجمة سرحوق
المنافق) من انه لما أتى به ليقتل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل يصلي
قالوا إذا رآه الناس قال انى نهيت ان أقتل المصلين اه . وكذلك ما أخرجه الذهبي في
ترجمة عامر بن عبد الله بن يساف من ميزانه بسند ضعيف عن أنس قال ذكر عند
النبي « ص » رجل فقيل ذلك كهف المنافقين فلما اكثروا فيه رخص لهم في قتله ثم -

عليه وآله وسلم جبهة وكشفه علانية ، فما ظنك بمن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ويصوم الشهر ويحج البيت ويحلل الحلال ويحرم الحرام ، ويتعبد بقول النبي (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره ، ويتقرب الى الله تعالى بحبه ، وبهوالاة اهل بيته ، ويرجو رحمة الله عز وجل بشفاعته ، متمسكا بثقليله معتصما بمجاليه يوالي وليه وإن كان قاتل أبيه ، ويعادي عدوه وإن كان من خاصته وأهليه .

وأخرج البخاري في باب قصة البيعة والاتفاق على عمان ، حيث ذكر مقتل عمر (رض) والحديث طويل ، وفيه يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء ، فقال غلام المغيرة ، قال الصنع ، قال نعم ، قال قاتله الله ، لقد امرت به معروفاً ، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، فقال ان شئت قتلناهم ، قال كذبت بعد ان تكلموا بلسانكم ، (أي أقروا بالشهادتين) وصلوا قبلتكم ، وحجوا حجكم .. الحديث .

والظاهر من قوله الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ، (بقرينة ما ستمعه من رواية ابن قتيبة وابن عبد البر) انه كان يخشى أن يكون قاتله مسلماً ، فيغفر له بسبب اسلامه ، فلما عرف أنه ممن لا يدعي الاسلام ، علم ان الله أخذ بحقه على كل حال ، وفي هذا من الدلالة على حسن عواقب المسلمين ، ما لا تسعه عبارة .

- قال هل يصلي قالوا نعم صلاة لاخير فيها قال « ص » : إني نهيت عن قتل المصلين قلت إذا كانت هذه حاله مع المنافقين المرائين بصلاتهم فما ظنك بالمخافطين عليها والخاشعين المخلصين لله فيها .

ثم اذا نظرت الى إنكاره على ابن عباس ، وقوله له مع جلالة كذبت الى آخر كلامه ذلك ذلك على احترام أهل الشهادتين والصلاة والحج كيف كانوا ، وفي صفحة ٢٦ من كتاب الامامة والسياسة للامام المجمع على فضله ابن قتيبة المتوفي سنة مائتين وسبعين ، أن عمر لما اخبر أن قتله غلام المغيرة ، قال الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يحاجني بلا إله إلا الله يوم القيامة .

وروى الحافظ ابو عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي ، في ترجمة عمر من الاستيعاب ، أنه قال لولده عبد الله : الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بلا إله إلا الله اه .

قلت اذا كان صاحب لا إله إلا الله بحيث لو قتل عمر بن الخطاب وهو الخليفة الثاني لحاجه بها ، فامر أهل التوحيد اذن سهل يسير ، فليتنق الله اهل الشقاق ، ولينفض رجال الاصلاح بأسباب الوثام والوفاق ، فقد نصب الغرب لنا حباله ، ووجه نحونا قنابله ، واطلنا منطاده بكل صاعقة ، واقلنا نفقة بكل بائقة ، واحاط بنا اسطوله ، وضربت في اطلالنا طوبوله ولئن لم يعتصم المسلمون بجبل الاجتماع ويروا الى الله من هذا النزاع ليكونن اذلاء خاسئين وارقاء صاغرين (أينما تقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) .

وأخرج البخاري عن أنس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت

عليها دماؤهم وأموالهم اه .

قلت هل بقي بعد هذه الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ملتصق لشعب المشاغب أو مطمع يتشبث به الناصب كلا ورب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان دين الاسلام بريء مما يزعمه المرجفون ، مناقض لما يحاوله المجحفون (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) . وفي الصحيحين بالاسناد الى ابن عمر (رض) قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب (قد أشار الى مكة المعظمة) : أتدرون أي بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال فان هذا بلد حرام ، أتدرون أي يوم هذا ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال إنه يوم حرام ، أتدرون أي شهر هذا قالوا الله ورسوله أعلم ، قال شهر حرام ، قال فان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اه .

والصحاح الستة وغيرها مشحونة من هذه الأخبار ، وهي أشهر من الشمس في رائعة النهار .

فليت شعري أي عذر لمن اعتمد عليها ، وانحصر رجوعه في احكام الدين اليها ، ثم خالف في ذلك احكامها ونبد وراء ظهره كلامها (١) بلى انهم مرجفون والأمر على خلاف ما يظنون .

(١) كالشيخ نوح الحنفي ، حيث أفتى « مع وجود هذه الصحاح وأمثالها » بتكفير الشيعة ، وأوجب قتلهم ، وأباح قتلهم وسبي ذرائعهم ونساءهم ، سواء تابوا أم لم يتوبوا ، فراجع فتواه هذه في باب الردة والتعزير ، من كتاب الفتاوى الحامدية الشهير ، وسنذكرها بعين لفظه في الفصل التاسع من هذه الفصول ، مزيفين لها بالادلة المتأطعة والبراهين الناصعة ، فراجع ذلك الفصل واعلم أن الفصول الثمانية -

« فصل »



في سير من نصوص أئمتنا عليهم الصلاة والسلام ، في الحكم بإسلام أهل السنة وأئمتهم كالشيعة في كل أثر يترتب على مطلق المسامحين وهذا في غاية الوضوح من مذهبنا لا يرتاب فيه ذو اعتدال منّا ، ولذا لم نستقص ماورد من هذا الباب ، اذ ليس من الحكمة توضيح الواضحات وهالك ما عقد الفصل للإشارة اليه .

قال الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام في خبر سفيان بن السمط (الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصيام شهر رمضان) الحديث .

وقال سلام الله عليه في خبر سعاة : (الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبه حققت الدماء وعليه جرت المناكح والموارث وعلى ظاهره جماعة الناس) الحديث .

وقال الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام في صحيح حمران بن اعين من جملة حديث : (والاسلام ما ظهر من قول او فعل ، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها ، وبه حققت الدماء وعليه جرت الموارث وجاز النكاح ، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج فخرجوا بذلك عن الكفر واضيفوا الى الايمان) اهـ .

- التي قبله انما هي مقدمة للرد على هذه الفتوى القاسية - وما ألفنا هذا الكتاب إلا لهذه الغاية ، إذ لم أجد أحداً قام بهذا الواجب ، والحمد لله على التوفيق لأدائه كما يجب .

فصل فيما صح عند أهل السنة من الأحاديث الحاكمة بنجاة كافة الموحدين ١٩

الى آخر ما هو مأثور عنهم في هذا المعنى مما لا يمكنني استيفاءه ولا يسعني استقصاؤه ، وهذا القدر كاف لما اردناه موضح لما قصدناه .

« فصل »

٥

في طائفة مما صح عند أهل السنة من الأحاديث الحاكمة بنجاة مطلق الموحدين أوردناها ليُعلم حكمها بالجنة على كل من الشيعة والسنة ، والغرض بعث المسلمين على الاجتماع والتبديد بهم على هذا النزاع والتنبيه لهم على ان هذا التدابر بينهم عبث محض وسفه صرف بل فساد في الارض وإهلاك للحرث والنسل ، ضرورة انه متى كان الدين حاكماً على كل منهما بالايمان معلناً بفوزها في أعلى الجنان لا يبقى لنزاعهما غرض تقصده الحكماء ، او أمر يليق بألباب العقلاء - لكن مني المسلمون بجماعة ذهلوا عن صلاحهم وغفلوا عن حديث صحاحهم واليك منه ماعقد الفصل لذكره .

أخرج البخاري (١) في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري (رض) ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال القوم ماله ماله فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إِرْبُ مَالِهِ) فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم ذرها قال كأنه كان على راحلته .

(١) وفي صحيح مسلم من هذا النوع أحاديث وافرة فراجع منه باب الايمان الذي يدخل به الجنة في الجزء الأول منه وباب من لقى الله بالايمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار وهو في الجزء الأول أيضاً تجدد فيه من البشائر ، ما تقر به عين المؤمن بالله واليوم الآخر .

وأخرج أيضاً بسنده أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال
دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال صلى الله عليه وآله : تعبد الله ولا
تشرک به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان
قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا أه .
قلت : ظهر لي من أخبار آخر أن هذا الأعرابي إنما هو مالك بن نويرة
بن حمزة التميمي (١) .

وفي صحيح البخاري بالاسناد إلى عبادة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده
ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكتبته القاها إلى مريم وروح منه والجنة
حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (٢) .

(١) وكان رجلاً سرياً نبيلاً يردف الملوك ، وهو الذي يضرب به المثل فيقال
مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء وفقى ولا كالك وكان فارساً شاعراً مطاعاً في
قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذاممة كبيرة وكان يقال له الجفول قدم على النبي «ص»
فأسلم وحسن إسلامه فولاه «ص» صدقة قوميه وحيج معه حجة الوداع وشهد خطبته
يوم غدیر خم بالولاية لعلي فكان بعدها من المتفانين في ولايته . قتله خالد بن الوليد
يوم البطاح ونكح زوجته وكانت في غاية الجمال وجعل رأسه أثفية لقدر فكانت القدر
على رأسه حتى نضج الطعام وما خلصت النار إليه نص على ذلك وثيمة بن موسى
ابن الفرات كما في ترجمته من وفيات ابن خلصان وذكره الواقدي وكثير من أهل
السير والأخبار وعللوا عدم خلوص النار إلى شواه بكثرة شعر رأسه وهو كما ترى ،
وقد أشرنا إلى هذه القضية حيث ذكرنا خالد بن الوليد في فصل المتأولين وهو الفصل
الثامن من هذه الفصول فراجع .

(٢) أي مع ما كان منه من الأعمال سواء كانت مرضية لله تعالى أو غير مرضية .

وفي البخاري ايضاً عن جنادة مثله إلا انه زاد فيه (من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء دخل) .

وفيه عن أبي ذر (رض) قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب ابيض وهو نائم ، ثم أتيتهُ وقد استيقظ ، فقال : ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قات : وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق قلت : وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق قلت : وإن زنى وإن سرق قلت : وإن زنى وإن سرق على رغم انف أبي ذر .

وفيه عن أبي ذر ايضاً قال قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال جبرائيل : من مات من امتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ا ولم يدخل النار قلت : وإن زنى وإن سرق ، قال : وإن اه .

وفيه عنه ايضاً قال : خرجت ليلة من الليالي فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده وليس معه انسان ، قال فظننت انه يكره أن يمشي معه أحد فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني ، فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذر جعلني الله فداءك قال : يا أبا ذر تعال - قل فمشيت معه ساعة فقال : إن المكثرين في الدنيا هم المقلون يوم القيامة إلا من اعطاه الله خيراً ، فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه ، وعمل فيه خيراً قال فمشيت معه ساعة فقال لي : اجلس هاهنا حتى ارجع اليك قال فانطلق في الحرة حتى لا أراه فلبث غني فأطال اللبث ثم اني سمعته وهو مقبل وهو يقول : وإن سرق وإن زنى فلما جاء لم اصبر حتى قلت له يا نبي الله جعلت فداءك من تُكلم في جانب الحرة ؟ ما سمعت احداً يرجع اليك شيئاً ، قال : ذلك جبرائيل عرض لي في جانب الحرة فقال : بشر أمتك انه

من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : يا جبرائيل وإن سرق وإن زنى
قال نعم قلت : وإن سرق وإن زنى ، قال نعم ، قلت : وإن سرق وإن زنى ،
قال : نعم وإن شرب الخمر اه .

قلت : الظاهر ان الزنا والسرقه وشرب الخمر هنا كناية عن مطلق الكبائر
فيكون المراد أن من مات على التوحيد دخل الجنة أو لم يدخل النار ، وإن ارتكب
الكبائر على حد قوله في الحديث السابق أعني حديث عبادة (على ما كان من العمل)

تأنيبه

يجب أن يعلم ان عصاة المؤمنين يعدّون يوم القيامة على قدر ذنوبهم ، ثم
ينالون الكرامة في دار المقامة على ذلك اجماع اهل البيت وشيعتهم بل هو من
الضروريات عندهم .

فالأخبار الحامكة بنجاة اهل القبلة على ما كان من العمل ليست ناظرة
الى ان العصاة منهم لا يرون العذاب اصلاً ، وإنما المراد انهم لا يخلدون كما يخلد
الكفار وبهذا لا يبقى لهم تمسك بهذه الأحاديث ونحوها ، وليس لهم بما اجتروا
إلا التوبة والندم أو العذاب في جهنم على قدر ما يستحقون أو يتداركهم الله بعفوه
وغفرانه وشفاعة الشافعين عليهم السلام .

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل قال : بينا انا رديف النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل ، قال : يا معاذ قلت : لبيك
رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ قلت : لبيك رسول الله
 وسعديك ثم قال : يا معاذ قلت : لبيك رسول الله وسعديك قال : هل تدري

ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ثم سار ساعة فقال : يا معاذ بن جبل قلت : لبيك رسول الله وسعديك قال : هل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوه قلت : الله ورسوله أعلم قال : حق العباد على الله ان لا يعذبهم .

وفي صحيح البخاري عن عتبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لن يوافي عبد يوم القيامة بقول لا إله إلا الله يدتغي به وجه الله إلا حرم عليه النار .

وفيه عن عتبان بن مالك الانصاري ايضاً انه اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يأتي بيته فيصلّي فيه ليتخذنه مصلي (١) قال عتبان : فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّي بنا ركعتين وحسنه على حريرة الى أن قال : فثاب في البيت رجال ذوو عدد فقال قائل منهم : أين مالك ابن الدخشن ؟ (٢) فقال بعضهم ذلك منافق لا يجب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تقل ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله قال فأتانا نرى وجهه ونصيحته الى المنافقين قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فان الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يدتغي بذلك وجه الله .

وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بطرق متعددة وآخره عنده أليس يشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله قالوا انه يقول ذلك وما هو في قلبه قال

(١) ما يقول الوهابية في هذا الحديث الصحيح ومنافاته لمذهبهم .

(٢) هكذا في النسخة التي تحضرني من صحيح البخاري والظاهر انه ابن الدخشم بالميم ابن مالك بن الدخشم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف شهد بدمراً وما بعدها وهو الذي أسريوم بدر سهيل بن عمرو ومع هذا فقد كان معروفاً بالنفاق والله أعلم بحاله .

صلى الله عليه وآله : لا يشهد احد انه لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه - قال أنس فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه اه . قلت : أي عبارة أدل على نجاة كافة الموحدين من هذه العبارة وأي بشارة في الجنة لمطلق المسلمين اعظم من هذه البشارة والعجب ممن لا يرتاب في صحتها وهو مع ذلك يحكم بنقيض دلالتها ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

وأخرج البخاري في الصحيح عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى : لأهون اهل النار عذاباً يوم القيامة لو ان لك ما في الارض من شيء أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم فيقول الله تعالى : أردت منك أهون من هذا وانت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا ان تشرك بي .

قلت ظاهر هذا انه إنما ابتلي بعذاب النار لأنه أبى إلا ان يشرك ولولا ذلك لنجا فعلم ان اهل التوحيد ناجون - وايضا دل الحديث على ان أهون اهل النار عذاباً هذا المشرك فعلم ان ليس فيها موحد إذ لو كان هناك موحد لكان أهون عذاباً من هذا المشرك (١) وهذا خلاف صريح الحديث .

وفي الصحاح الستة ومسند احمد وكتب الطبراني وغيرها من هذا كثير ولا سيما احاديث الشفاعة حتى يقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فيما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين) أخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى من

(١) لأن الموحدين والمسلمين وإن جاء باعظم الجرائم لا يعذب عذاب المشرك وإن لم يأت بغير الإشراف من الذنوب .

مقال حبة خردل من إيمان ، - ولو أردنا إيراد ما في الصحيحين من أحاديث الشفاعة المشتملة على أعظم البشائر لطال المقام ، لكننا أشرنا إليها ليراجعها من أرادها - على أن الشيخين (البخاري ومسلم) أخرجوا في صحيحيهما عن عثمان بن عفان ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة - وهذا ظاهر بأن مجرد العلم بالوحدانية موجب لدخول الجنة - ومثله ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من علم أن الله ربه واني نبيه صادقاً عن قلبه ، حرم الله له على النار - وهذه الأخبار أجلى من الشمس في رابعة النهار وصحتها أشهر من نار على علم ، فيها من البشائر ، ما ربما هون على المسلم موبقات الكبائر فدونها في كتب أبوابها في كتب أهل السنة لتعلم حكمها عليك وعليهم بالجنة (١) وكلما ذكرناه شذر من بذر ، ونقطة من لجج بحر ، اكتفينا منها بما ذكره البخاري في كتابه وكرره بالأسانيد المتعددة في كثير من أبوابه ، ولم نتعرض لما في باقي الصحاح ، إذ انشق بما ذكرناه عمود الفجر واندلع لسان الصباح - وان عندنا صحاحاً آخر فزنا بها من طريق أئمتنا الاثني عشر :

روتها هداة قوْلهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

فهي السنة التالية للكتاب ، وهي الجنة الواقعة من العذاب - وإليكها في

(١) لأن كلا من الإمامية والسنية يؤمنان بالله ويصدقان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقيمان الصلاة ويؤتيان الزكاة ويحجان البيت ويصومان الشهر ويوقنان بالبعث ويحملان الحلال ويحرمان الحرام كما تشهد به أقوالهما وأفعالهما وتحكم به الضرورة من كتبهما القديمة والحديثة مختصرة ومطولة .

اصول الكافي وغيره تعلن بالبشائر لأهل الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر لكنها تخص ما سمعته من تلك العمومات المتكاثرة بولاية آل رسول الله وعترته الطاهرة ، الذين قرنهم بمحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، ونص على انهم سفن النجاة إذا طغى زخار الفتن ، وأمان الامة إذا هاج اعصار المحن ، ونجوم الهداية إذا ادلم ليل الغواية ، وباب حطة لا يغفر إلا لمن دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها - ولا غرو فان ولايتهم من اصول الدين ، وقد أقمنا على ذلك قواطع الحجج وسواطع البراهين ، أدلة عقلية ، وحججاً نقلية تلفت الباحثين الى الوقوف عليها في كتابنا (سبيل المؤمنين) إذ أوضحنا فيه المسالك وامطننا بقوة برهانه كل دمجور حالك ، والحمد لله رب العالمين .

« فصل »

٦

في لمعة مما أفتى به علماء أهل السنة ، من إيمان أهل التوحيد مطلقاً ، ونبذة أصحاب الشهادتين جميعاً ، - أوردناها ليعلم الناس توافق النص والفتوى في ذلك - والغرض لم شعث المسلمين باجماعهم ، ورتق ما انفتق بتدابيرهم ونزاعهم - لأن العاقل إذا رأى نصوص صحاحه ، وفتاوى علمائه ، تحكم بالإيمان على مطلق أهل التوحيد وتعلن نجاة جميع أصحاب القبلة لا يبق بعدها أمر يدعو الى هذه النفرة أو يصده عن الوئام والالفة ، (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) فما بالهم (وهم في الدين إخوة) قد انشقت عصاهم ، واختلفت مذاهبهم فهاج بينهم قسطل الشر ، وتعلقت أهواؤهم بقواقر الفتن ، ولو رجعوا الى ما أفتى به

المنصفون من علمائهم لا يقنوا أن الأمر على خلاف ما زعم المرجفون واليك منه ما عقد الفصل لبيانته .

ذكر العارف الشعراي في المبحث ٥٨ من اليواقيت والجواهر ، أنه رأى بخط الشيخ شهاب الدين الاذري صاحب القوت ، سؤالاً قدمه الى شيخ الاسلام تقي الدين السبكي ، وصورته - ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير أهل الأهواء والبدع ، (قال) : فكتب اليه اعلم يا اخي أن الاقدام على تكفير المؤمنين (١) عسر جداً ، وكل من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع ، مع قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإن التكفير أمر هائل عظيم الخطر - الى آخر كلامه وقد اطلال في تعظيم التكفير وتفضيع خطره ، ودونك يواقيت الشعراي فانها تنقل الجواب عن خط السبكي على طوله ، وفي آخره ما هذا لفظه : فالأدب من كل مؤمن أن لا يكفر أحداً من أهل الأهواء والبدع ، اللهم إلا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عناداً وجحوداً ، فللعلماء في ذلك النظر - هذا كلامه ولا يخفى تصريحه بقصر التكفير على مخالف النصوص الصريحة عناداً لله وجحوداً لما علم حكمه بالضرورة من دين الاسلام ، وقد دق في هذه الفتوى اصلاب المرجفين ، واستل السنة المتشدين ، وقطع أمل من يتبغي تفريق المسلمين ، من كل أفك أئيم - وفي الصفحة العاشرة من طبقات الشعراي ما لفظه وسئل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام تقي الدين السبكي عن حكم تكفير غلاة المبتدعة ، وأهل الأهواء ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة ، فقال (رضي الله عنه) : اعلم أن كل من خاف الله عز وجل

(١) أنظر كيف أطلق لفظ المؤمنين على أهل الأهواء والبدع بدون تكلف

استعظم القول بالتكفير لمن يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم أورد جواب السبكي وهو طويل ، جاء في آخره ما هذه ألفاظه : فمابقي الحكم بالتكفير ، إلا لمن اختاره ديناً وجحد الشهادتين ، وخرج عن دين الاسلام جملة اه - قلت الظاهر من اختلاف عبارة السؤاكن والجوايين ، كونهما متعددين كما لا يخفى ، وإذا كان كلام هذا الامام الكبير ، ملعناً باختصاص الكفر بمن جحد الشهادتين ومنادياً بالتنزيه لأهل الاهواء والبدع ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة من أهل القبلة ، فأى وقع بعده لكلام المرجفين ، وتحكم المشاغبين وإذا كان هذا حكمه فى المتفوهين بالكلام على الله عز وجل ، فما ظنك بمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - وقال الشيخ الأكبر ابن العربي في باب الوصايا من فتوحاته - : إياكم ومعاداة اهل لا إله إلا الله ، فان لهم الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو اخطأوا وجاءوا بقراب الارض من الخطايا وهم لا يشركون بالله شيئاً ، فان الله يتأقى جميعهم بمثلها (١) مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربتة - واطال الى ان قال : وإذا عمل احدكم عملاً توعده الله عليه بالنار ، فليمحه بالتوحيد ، فان التوحيد يأخذ بناصية صاحبه ، لا بد من ذلك .

(١) هذا مأخوذ من حديث أخرجه الترمذي وصححه ، رواه بالإسناد إلى أنس قال : سمعت رسول الله «ص» يقول : قال الله تعالى : - يا ابن آدم ، انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ، على ما كان منك ، ولا ابالي ، - يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى غفرت لك ، - يا ابن آدم ، انك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لآتيتك بقرابها مغفرة اه - وهذا الحديث ذكره الفاضل النووى فى أربعينه وهو الحديث الأخير مما انتخبه من الأحاديث الصحيحة .

هذا كلامه وفيه ما تراه من الحكم على جميع اهل التوحيد بالولاية لله عز وجل ، والبشارة للمخطئين والجرمين منهم بالمغفرة ، والجزم بأن التوحيد يحو الكبائر ويأخذ بخاصية صاحبه والحمد لله رب العالمين .

وقال الفاضل الرشيد في صفحة ٤٤ من المجلد السابع عشر من مناره :
ان من أعظم ما بليت به الفرق الاسلامية رمي بعضهم بعضا بالفسق والكفر مع ان قصد كل الوصول الى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة اليه ، فالجتهاد وإن أخطأ معذور - وقد اطال الكلام في هذا الموضوع حتى بلغ الصفحة ٥٠ من ذلك المجلد فراجع .

وقال المعاصر النبهاني اليروقي في اوائل كتابه شواهد الحق (١) :
اعلم اني لا أعتقد ولا أقول بتكفير احد من اهل القبلة ، لا الوهاية ولا غيرهم ، وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والايان بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما جاء به من دين الاسلام الى آخر كلامه - وعقد العارف الشعراني ، في الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر ، مبحثاً مسهباً لثبوت الايمان لكل موحد يصلي الى القبلة ، وهو المبحث ٥٨ ، قال في آخره : فقد علمت يا اخي مما قررناه لك في هذا المبحث ، ان جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة (فبهذا هم اقتداه) ١ هـ - ونقل جماعة كثيرون منهم الشعراني في المبحث المتقدم ذكره ، عن أبي المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة ، انهم كانوا يقولون : لا يكفر أحد من المذاهب الاسلامية (١) طبع هذا الكتاب وفي هامشه رسالة النبهاني أيضاً في فضائل معاوية سماها البديعة في اقناع الشيعة وقد نقضناها بكتاب يكون بحجمها ثلاث مرات سميناه الذريعة الى نقض البديعة .

لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا اه - قات وقد ذكرنا في الفصول السابقة جملة من النصوص في هذا المعنى والصحاح مشحولة به فراجع ، - وقد بالغ الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه (سراج العقول) باثبات الاسلام لكل فرد من أهل القبلة ، وجزم بنجاة الجميع من كل فرق الاسلام ، وأول الحديث المشهور ، اعني حديث (تفرق امتي ثلاثاً وسبعين فرقة : فرقة ناجية والباقيون في النار) .

بل قال انه روي في بعض طرق هذا الحديث ما نصه : (كلاً في الجنة إلا واحدة « ١ ») .

وطال في اثبات الايمان لكل مصدق بالشهادتين من أهل الاهواء والبدع كالمعتزلة والنجارية والروافض « ٢ » والخوارج والمشبهة ونحوهم وحكم بنجاة الجميع يوم القيامة . ونقل القول باسلام الجميع عن جمهور العلماء والخلفاء من أيام الصحابة الى زمنه ، - قال : وهم من أهل الاجابة بلا شك ، فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى الى آخر كلامه وهو طويل نقله لي بعض مشائخي مشافهة عن سراج العقول وأورده الشعراني بتمامه في المبحث ٥٨ من يواقيته نقلاً عن ذلك الكتاب أيضاً فراجع .

وقال ابن تيمية في أوائل رسالة الاستغاثة وهي الرسالة ١٢ من مجموعة

- « ١ » أخرجه ابن النجار ونقل الشعراني عند إيراده « في المبحث ٥٨ من اليواقيت » عن العلماء ان المراد بهذه الواحدة التي هي في النار إنما هي الزنادقة .
- « ٢ » هذه عبارته نقلناها بدون تصرف .

قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود والصحابة ٣١

الرسائل الكبرى «١» ما هذا لفظه ، ثم اتفق أهل السنة والجماعة على انه صلى الله عليه وآله وسلم ، يشفع في أهل الكبائر ، وانه لا ينجذ في النار من أهل التوحيد أحد اه «٢» .

وقال ابن حزم : حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من أواخر الجزء الثالث من كتاب الفصل ، في الاهواء والملل والنحل ما هذه ألفاظه : وذهبت طائفة ، إلى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا ، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ، ان أصاب فأجران وان أخطأ فأجر واحد (قال) : وهذا قول ابن أبي ليلى ، وأبي حنيفة ، والشافعي وسفيان الثوري ، وداود ابن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً ، - قلت هذه الفتوى من هؤلاء الأئمة ، تقطع دابر المشاغبيين ، وتنقض أساس المهوليين ، لأن خصومهم من أهل القبلة لم يقولوا قولاً ، ولم يعتقدوا أمراً ، إلا بعد الاجتهاد التام ، واستفراغ الوسع والطاقة ، وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة وكلام أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم ، ولم يدينوا إلا بما رأوا انه الحق ، واعتقدوا انه عين الصواب ، فيكونون بحكم هؤلاء الأعلام : (وهم أئمة السلف والخلف) مأجورين ، ان أصابوا أو أخطأوا ، على رغم من يتنغي تكفير المؤمنين ، ويدأب مجتهداً في تفريق المسلمين - وكان أحمد بن زاهر السرخسي ، (وهو

«١» في صفحة ٧٠٤ من الجزء الأول .

«٢» فعلى هذا تكون أهل السنة مجمعة على أن مصير الشيعة إلى الجنة ضرورة

أنهم من أهل التوحيد والإيمان بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله .

أجل أصحاب الامام أبي الحسن الأشعري (يقول : (فيما نقله الشعراي عنه في أواخر المبحث ٥٨ من يواقيته (لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاة بداري في بغداد ، أمرني بجمع أصحابه ، فجمعتهم له ، فقال : اشهدوا علي اني لا اكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، لأنني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد ، والاسلام يشملهم ويعمهم ، - هذا كلام إمام السنين وكفى به حجة تدحض أقاويل المبطلين - وقد تواتر القول بعدم تكفير أهل الاهواء والبدع من أهل القبلة ، عن الامام الشافعي ، حتى قال : (كما في خاتمة الصواعق) اقبل شهادة اهل البدع إلا الخطائية « ١ » .

وقال شيخ الاسلام الخزرجي (فيما نقله الشعراي عنه في المبحث ٥٨ من يواقيته) قد نص الامام الشافعي على عدم تكفير اهل الاهواء في رسالته ، فقال : لا أكفر أهل الاهواء بذنب - قال وفي رواية عنه : ولا أكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، قال وفي رواية اخرى عنه : ولا اكفر أهل

« ١ » الخطائية أصحاب أبي الخطاب محمد بن مقلص الاجدع عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين كان قبحه الله مغالياً في الصادق عليه السلام فاسد العقيدة خبيث المذهب لاريب في كفره وكفر أصحابه وقد تبرأ منه الصادق عليه السلام ولعنه وأمر الشيعة بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالع في التبرء منه واللعنة عليه ومن أراد الوقوف على كلام الصادق عليه السلام في شأن هذا الملعون فعليه بكتاب الكشي وغيره من كتب التراجم لأصحابنا ولهذا الكافر بدع كثيرة منها تأخير صلاة المغرب حتى تستبين النجوم ، وقد نسب الجاهلون هذه البدعة إلينا ، على أننا نبرأ الى الله منها ومن ابتدعها - والذي نذهب اليه أن أول وقت صلاة المغرب غروب الشمس من جميع أفق المصلى ، ويتحقق ذلك بارتفاع الحمرة المشرقية كما لا يخفى على من راجع فقهنا .

التأويل المخالف للظاهر بذنب اهـ .

واجمع الشافعية على عدم تكفير الخوارج ، واعتذروا عنهم (كما في خاتمة الصواعق) بأنهم تأولوا فليهم شبهة غير قطعية البطلان « ١ » .

« ١ » هذا مع ما أخرجه البخارى « فى كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم فى الجزء الرابع من صحيحه » بالإسناد إلى أبى سعيد الخدرى من حديث ذكر فيه الخوارج فقال (ص) : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر فى قدذه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر فى رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر فى نضيه فلا يوجد فيه شيء ، - قد سبق الفرت والدّم ، آيتهم رجل احدى يديه ، أو قال ثديه مثل ثدى المرأة ، أو قال : مثل البضعة تدرر ، يخرجون على حين فرقة من الناس ، (قال البخاري) : قال أبو سعيد اشهد سمعت من النبي (ص) ، وأشهد أن علياً قتلهم ، وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذى نعتة النبي (ص) ، الحديث - وأخرجه مسلم أيضاً فى باب ذكر الخوارج وصفانهم فى أواخر كتاب الزكاة من الجزء الأول من صحيحه - وأخرجه أحمد من حديث أبى سعيد فى مسنده ورواه كافة المحدثين - وأخرج مسلم « فى باب الخوارج شر الخلق والخليقة من كتاب الزكاة من صحيحه » ، بالإسناد إلى أبى ذر ، قال قال رسول الله (ص) : ان بعدى من أمتى قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة ، الحديث - وأخرج أحمد بن حنبل فى صفحة ٢٢٤ من الجزء الثالث من مسنده ، عن أنس بن مالك وأبى سعيد ، عن النبي (ص) ، قال : سيكون فى أمتى « حين اختلاف بينها وفرقة » قوم يحسنون القيل ، ويسئون الفعل ، إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم : يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتدوا على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون إلى كتاب الله ، وايسوا منه فى شيء ، الحديث .

وقال العلامة ابن عابدين في باب المرتد من حاشيته الشهيرة الموسومة بـرد المختار ما هذا لفظه : وذكر في فتح القدير ، أن الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ، ويكفرون الصحابة حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة « ١ » قال : وذهب بعض أهل الحديث إلى أنهم مرتدون ، قال قال ابن المنذر : ولا أعلم أحداً وافق أهل الحديث على تكفيرهم . - قال : وهذا يقتضي نقل إجماع الفقهاء . (على عدم تكفير الخوارج) اهـ .

هذا مع أن النبي (ص) نص على أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وأنهم شر الخلق والخليقة ، وأنهم ليسوا من الله في شيء وأن طوبى لمن قتلهم أو قتلوه - وإذا كان هؤلاء مسلمين بالاجماع فما ظنك بمن دخل باب حطة ، وركب سفينة النجاة ، واعتصم بحبل الله ، وتمسك بثقلي رسول الله ، ودخل مدينة علمه من بابها ، ولجىء إلى أمان امته من اختلافها وعذاها - وإذا كان الخوارج مسلمين فمن غيرهم من أهل القبلة يكون كافراً ، وأي ذي نخلة من أهل الاسلام ليس له كشبتهم .

ورأيت كلاماً في هذا المعنى ناجعاً لشيخ السادة الحنفية ، محمد أمين المعروف بابن عابدين ، في باب المرتد من كتاب الجهاد ، في صفحة ٣٠٢ من الجزء الثالث من رد المختار ، يحكم فيه قاطعاً باسلام من يتأول في سب الصحابة مصرحاً بأن القول بتكفير المتأولين بذلك مخالف لإجماع الفقهاء ، مناقض لما في متونهم وشروحهم ، وأن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون ، بل من غيرهم (قال) : ولا عبرة بغير الفقهاء ، والمنقول عن

« ١ » يعني أنهم ان خرجوا على سلطان المسلمين يجب قتالهم حتى يفئوا إلى طاعته فإن نجحوا لأوامره كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .

الفقهاء ما ذكرناه ، إلى آخر كلامه ، وقد اشتمل على أدلة وافية ، وشواهد كافية ، فليطلبه من أراد ، وله كلام آخر في هذا المعنى أبسط مما أشرنا إليه ، نلفت الطالين له إلى كتابه تنبيه الولاة والحكام - على أن ما في رد المختار ، مقنع لأولي الأبصار .

وقد ألف العلامة الكبير الملا علي القاري الحنفي رسالة في الرد على من يكفر المتأولين بذلك ، كما نص عليه ابن عابدين ، فيما تقدمت إليه الإشارة من كلامه .

وقال ابن حزم في صفحة ٢٥٧ : من أواخر الجزء الثالث من فصله ، ما هذا لفظه : وأما من سبّ أحداً من الصحابة رضي الله عنهم ، فإن كان جاهلاً فمعدور ، وإن قامت عليه الحجة فمادى غير معاند ، فهو فاسق كمن زنى أو سرق وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه (وآله) وسلم فهو كافر ، - قال وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ، عن حاطب . وحاطب مهاجري بدري : دعني اضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً ، بل كان مخطئاً متأولاً اه .

قلت لا يخفى أنه جعل الملاك في التكفير إنما هو العناد لله ورسوله ، وهذا لا وجود له فيمن ينتحل دين الاسلام - نعم قد يكون الساب (والعياذ بالله) جاهلاً ، أو ذا شبهة أوردته ذلك المورد فيكون معذوراً .

ويدل على عدم كفر المسلم به ، اطلاق الأحاديث التي سمعتها في كل من الثاني والثالث والرابع والخامس من هذه الفصول فراجع ، - وأيضاً يدل على عدم الكفر مضافاً إلى ذلك ما أورده القاضي عياض ، في الباب الأول من القسم

الرابع من كتاب الشفا ، نقلاً عن القاضي اسماعيل وغير واحد من الأئمة ، ان رجلاً سب ابا بكر بمحضر منه رضي الله عنه ، فقال له ابو برزة الاسلمي ، يا خليفة رسول الله ، دعني اضرب عنقه ، فقال : اجلس ليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله « ١ » . وفي ذلك الباب من الشفا ايضاً ان عامل عمر بن عبد العزيز بالكوفة استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه ، فكتب اليه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس ، إلا رجلاً سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه اه - قلت افضى بنا الكلام إلى ما هو غير مقصود بالذات ، وليس الغرض إلا تأليف المسلمين واعلامهم بأنهم اخوان في الدين ، ولا ترتاب في ان سب رجل من عرض المؤمنين ، فضلاً عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ، وبقة وفسق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سباب المسلم فسق وقتاله كفر .

ولنرجع إلى ما كنا فيه فنقول - نقل علي بن حزم الظاهري عن الاشاعرة ما لا يتسنى معه القول بتكفير أحد اصلاً ، واليك عبارته بحروفها - قال في اثناء شنع المرجئة في صفحة ٢٠٦ من الجزء الرابع من فصله ، وأما الاشعرية فقالوا : إن شتم من اظهر الاسلام لله تعالى ورسوله بأفحش ما يكون من الشتم ، واعلان التكذيب لهما باللسان بلا تقية ولا حكاية ، والاقرار بأنه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفراً اه .

وفي صفحة ٢٠٤ من الجزء الرابع من الفصل ايضاً ، نسب إلى الامام « ١ » وروى النسائي ، بالإسناد إلى أبي برزة الاسلمي ، قال : أتيت أبا بكر ، وقد اغلظ لرجل فرد عليه ، فقلت : يا خليفة رسول الله ، دعني اضرب عنقه فقال : اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله (ص) .

أبي الحسن الأشعري وجميع أصحابه ، القول بأن الايمان عقد بالقلب ، وإن أعلن الكفر بلسانه ، بلا تقية ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية ، أو النصرانية ، في دار الاسلام ، وعبد الصليب ، وأعان التثليث في دار الاسلام ، ومات على ذلك ، فهو مؤمن ، كامل الايمان عند الله عز وجل من أهل الجنة اه .

ولا يخفى انه إذا ثبت هذا عن الامام الأشعري وأصحابه ، وهم جميع اخواننا السنيين في هذه الأعصر ، هان الأمر في مسألتنا ، إذ لا يمكنهم حينئذ تكفير من يجاهرهم بصريح الكفر ، فكيف يتسنى لهم تكفير من انطوى ضميره على تقديس الله عز وجل ، وانعقد قلبه على تزييه ، ونبضت شرايينه بتسبيحه ، ونبت لجه واشتد عظمه على توحيدده وخالط الايمان مخه ودمه ، وامتزج بجميع عناصره فشهد به لسانه ، ونجعت له أركانه ، واعترفت به حركاته ، وأقرت به سكناته ، مؤمناً برسوله ، موقناً بجميع ما جاء به من عند الله عز وجل ، يحيي ما أحياء الكتاب والسنة ، ويميت ما أماتاه ، لكن منينا بقوم همهم تفريق المسلمين ودأبهم بث العداوة بين الموحدين (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

وعن الأوزاعي والله لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين - وعن ابن سيرين ، أهل القبلة كلهم ناجون - وسئل الحسن البصري عن أهل الأهواء فقال جميع أهل التوحيد من أمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يدخلون الجنة البتة .

وسئل الزهري عن لابس الفتن وقاتل فيها فقال القاتل والمقتول في الجنة ، لأنهم من أهل لا إله إلا الله .

وعن سفيان الثوري لا تحل عداوة موحداً ، وإن مال به الهوى عن الحق

لأنه لا يهلك بذلك .

وعن سعيد بن المسيب ، لا تعاد منتحلا لدين الاسلام وان أخطأ فكل مسلم مغفور له .

وعن ابن عيينة لأن تأكل السباع لحمي ، أحب إلي من أن التقي الله تعالى ، بعداوة من يدين له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة .
قلت أي حكمة في عداوته الا اعلانه فيما يسيئك ومجهرته فيما يخالفك ،
(وحرية المذاهب والأديان تحول ذلك) ولو تحيت إليه ثم ناظرته ، فعسى ان يتبين له صوابك فيتبعه ، أو يريك الحق فتوافقه .

على انه ما صار إلى خلافك عناداً للحق ، أو رغبة في الباطل ، ضرورة ان ذلك لا يفعله (في مقام التقرب الى الله تعالى) عاقل .

أجل سيق قسراً إلى مخالفتك في بعض ما تعبره من الفروع بسياط الأدلة الفاطمية ، ومقارع الحجب الساطعة ، وهبها شياً (كما تزعم) لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه (لأنها مع كونها من الكتاب والسنة) أفادته القطع بما قادته اليه ، فان كان مصيباً فله أجران وإلا فقد أجمع المسلمون على معذرة من تأول (في غير اصول الدين) وان أخطأ كما تشهد به أخبارهم وتفصح عنه أسفارهم ، وتعلنه أفعالهم وأقوالهم .

« فصل »



في بشار السنة للشيعه ، وهي صحاح متظافرة من طريق العترة الطاهرة واليك منها ما أخرجه محدثو أهل السنة بأسانيدهم وطرقهم .

روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس (كما في صفحة ٩٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر « ١ ») أنه قال لما أنزل الله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدون فيها أبدا ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربه » قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي هم أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضابى مقمحين . وأخرج الحاكم في شواهد التنزيل عن ابن عباس أيضاً ، قال نزلت هذه الآية « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » في علي وأهل البيت وعدها ابن حجر في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه في جملة الآيات النازلة فيهم عليهم السلام فراجع الآية الحادية عشرة من الآيات التي أوردها هناك (٢) .

وأخرج الحاكم في كتابه شواهد التنزيل بالاسناد إلى علي قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده إلى صدري ، فقال يا علي ألم تسمع قول الله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » هم شيعتك ، وموعدي وموعدكم الخوض ، يدعون غراً محجلين .

وأخرج الديلمي (كما في ص ٩٦ من الصواعق المحرقة قال رسول الله (ص) : يا علي ان الله قد غفر لك ولولدك ولذريتك ولأهلك ولشيعتك ولحبي شيعتك ، فابشر فانك الانزع البطين .

« ١ » راجع النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ وكل ما نقله عن الصواعق فانما نقله عن هذه النسخة .

« ٢ » في صفحة ٩٦ من الصواعق .

وأخرج الطبراني وغير واحد من المحدثين ، أن علياً أتى يوم البصرة بذهب وفضة ، فقال أبيضاء وصفراء غري غري ، غري أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك ، فشق قوله هذا على الناس ، فذكر ذلك له ، فأذن في الناس فدخلوا عليه ، فقال إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين (قال) ثم جمع علي يده إلى عنقه يريهم الاقتحاح .

وقد أورد ابن حجر هذا الحديث في صفحة ٩٢ من صواعقه وعلق عليه كلاماً يضحك الشكلى ، ونحن نأخذ بما روى ونعرض عما رأى .

وأخرج الطبراني (كما في صفحة ٩٦ من الصواعق أيضاً) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهوراً ، وشيعتنا عن أيمننا وشمالكنا .

وأخرج أحمد بن حنبل في المناقب (كما في صفحة ٩٦ من الصواعق أيضاً) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : أما ترى إنك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن أيمننا وشمالكنا .

وأخرج الحاكم (كما في تفسير آية المودة في القربى من مجمع البيان) بالاسناد إلى إبي امامة الباهلي ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى خلق الانبياء من أشجار شتى ، وخلقنا أنا وعلي من شجرة واحدة ، فأنا أصلها ، وعلي فرعها ، وفاطمة لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها ، وأشياعنا أوراقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجى ، ومن زاع عنها هوى ، ولو أن عبداً عبد الله ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي ، وهو لا يحبنا كبه الله على منخريه في النار ، ثم تلا « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .

تقديم

لا يخفى ان شيعة علي وأهل البيت ، هم أتباعهم في الدين وأشياعهم من المسلمين ونحن والحمد لله قد انقطعنا اليهم في فروع الدين وعقائده وأصول الفقه وقواعده وعلوم السنة والكتاب وفنون الاخلاق والسلوك والآداب بخوعاً لامامتهم واقراراً بولايتهم وقد والينا أولياءهم وجانبنا أعداءهم ، عملاً بقواعد المحبة ، وطبقاً لأصول الاخلاق في المودة ، فكنا بذلك لهم شيعة ، وكانوا لنا وسيلة وذريعة ، والحمد لله على هدايته لدينه ، والتوفيق لما دعا اليه الرسول من التمسك بثقله والاعتصام بحبله ودخول مدينة علمه من بابها ، باب حطة وأمان أهل الارض ، وسفينة نجاة هذه الأمة ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

وأخرج ابن سعد (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) عن علي اخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين ، قلت يارسول الله فحبوبنا قال من ورأئكم .

وأخرج الديلمي (كما في الصواعق أيضاً) مرفوعاً : إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار (١)

وأخرج ابن حنبل والترمذي (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسنين وقال : من أحبني وأحب هذين وأبأهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة (٢)

(١) وأخرج النسائي نحوه كما في صفحة ٩٦ من الصواعق .

(٢) وأخرجه أيضاً أبو داود (كما في صفحة ١٠٣ من الصواعق) وزاد فيه

ومات متبعاً استقى وبها يعلم أن اتباع سنته لا يكون إلا بمحبتهم عليهم السلام .

وأخرج الثعلابي في تفسيره الكبير بالاسناد إلى جرير بن عبدالله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات على حب آل محمد (١) مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما يزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة . ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله الحديث . وقد ارسله الزمخشري (في تفسير آية المودة في القربى من سورة الشورى من كشافه) ارسال المسلمات ورواه المؤلفون في المناقب والفضائل ، مرسل مرة ومسنداً تارات - وأنت تعلم

(١) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع ، باعتبار أئمتهم الذين هم خفاء رسول الله (ص) وأوصيائه ، ووارثوا حكمه وأرليائه ، وهم الثمّل الذي قرنه بالقرآن ، ونص على انهما لا يفترقان ، فلا يضل من تمسك بهما ، ولا يهتدي من تخلى عن أحدهما ، وليس المراد هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد لأن هذه المرتبة السامية ليست الا لأولياء الله القوامين بأمره خاصة بحكم الصحاح المتواترة من طريق العترة الطاهرة . نعم تجب محبة جميع أهل بيته وذريته كافة لتفرعهم من شجرته الطاهرة صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من جدهم بأبى هو وأمى وكنيت أوصيت أولادى ان يكتبوا هذا الحديث على كفى بعد الشهادتين لألقى الله تعالى بذلك والآن أكرر وصيتى هذه اليهم ولتكن الكتابة على العامة .

أن هذه المنزلة السامية إنما ثبتت لهم لأنهم حجج الله البالغة ، ومناهل شرائعه السائغة ، وأمناؤه بعد النبي (ص) على وحيه ، وسفراؤه في أمره ونهيه ، فالحب لهم بسبب ذلك محب لله والمبغض لهم مبغض لله ومن هنا قال فيهم الفرزدق :

من معشر حبيهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقي كانوا أئمتهم أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم

وأخرج أحمد « كما في أواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق (١) » عن علي قال طابني النبي (ص) فوجدني في حائط فقال قم والله لأرضيك ، أنت اخي وابو ولدي تقا تل على سنتي - من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نجه ، ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالامن والايمان ما طلعت شمس او غربت .

واورد ابن حجر (في اواخر المقصد الثاني من المقاصد التي ذكرها في آية المودة في القربى من صواعقه) حديثاً هذا لفظه (٢) ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج على اصحابه ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فسأله عبدالرحمن بن عوف عن ذلك فقال (ص) : بشارة اتتني من ربي في اخي وابن عمي وابنتي ، بأن الله زوج علياً من فاطمة ، وامر رضوان خازن الجنان فبرز شجرة طوبى فحملت رقاقاً يعني صكا كما بعدد محبي اهل بيتي ، وانشأت تحتها ملائكة من نور ، دفع الى كل ملك صكا فاذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة

في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلا دفعت إليه صكافيه فكأ كه من النار
فصار اخي وابن عمي وابنتي فكأك رقاب رجال ونساء من امتي من النار -
والأخبار في هذا لا يحتملها هذا الاملاء ، وفي هذا القدر كفاية لمن كانت لله
تعالى فيه عناية .

فعسى ان يعرف الشيعي بعد هذا ان اهل السنة قد انصفوا واعترفوا ،
وعسى ان يعرف السني ان لا وجه بعد هذه المبشرات لشيء من الضغائن او الهناة
والسلام على من اتبع السنن وجانب الفتن ورحمة الله وبركاته .

« فصل »



نضمنه طائفة ممن تأولوا من السلف فخالفوا الجمهور ولم يقدح ذلك في
عدالتهم .

وغرضنا الذي نرجي اليه إنما هو ايضاح معذرة المتأولين من المسلمين
وذلك انك إذا رأيت صالح سلفك ومن اخذت عنه دينك واتخذته واسطة
بينك وبين نبيك (صلى الله عليه وآله وسلم) يخالفك مجتهداً وينحوي غير نحوك
متأولاً فلا جرم انك تقطع حينئذ بمعذرة من يتأول من معاصريك نحو تأوله او
يخالفك مثل خلافه .

وانا ارجو من خدمتهم من اخواني المسلمين بهذه الرسالة ان ينظروا (بعين
الانصاف) هل كان بين الله عز وجل وبين احد من الناس قرابة فيحاييه - كلا:
ما كان الله ليعاقب قومًا بأمر يثيب به آخري إن حكمه في الأولين والآخري

لواحد ، وما بين الله تعالى وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حتى حرّمه على العالمين .

إن المتأولين بما يخالف الجمهور من الصحابة والتابعين وتابعيهم كثيرون لا يسعنا استقصاؤهم وإما نذكر منهم ما يحصل به الغرض .

هذا أبو ثابت سعد بن عبادة العقبي البصري سيد الخزرج ونقيبهم وجواد الأنصار وعظيمهم ، تخلف عن بيعة الخلفيتين ، وخرج مغاضباً إلى الشام فقتل غيلة بحوران ، سنة ١٥ للهجرة ، وله كلام يوم السقيفة وبعده نلت الطالين له إلى كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ، أو إلى تاريخ الطبري ، أو كامل ابن الأثير ، أو غيرها من كتب السير والأخبار ، فاني لا اظنه يخلو من كتاب يشتمل على ذكر السقيفة ، وكل من ذكر سعداً من أهل التراجم ذكر تخلفه عن البيعة ، ومع ذلك لم يرتابوا في كونه من أفاضل المسلمين وعدول المؤمنين ، وما ذاك إلا لكونه متأولاً ، فهو معذور عندهم وإن كان مخطئاً .

وهذا حباب بن المنذر بن الجوح الانصاري البصري الاحدي ، تخلف عن البيعة أيضاً كما هو معلوم بحكم الضرورة من تاريخ السلف فلم يقدح ذلك في عدالته ، ولا أنقص من فضله ، وهو القائل : أنا جديلاً المحكك ، وعنديها المرجب (١) أنا ابو شبل في عرينة الاسد ، والله لئن شئت لنعيدنها جذعة ، وله كلام آخر رأينا الاعراض عنه أولى ، ولولا معذرة المتأولين ما كان أهل السنة ليقطعوا بأن هذا الرجل من أفاضل أهل الجنة ، مع مكاشفته للخليفين بما هو مبسوط في كتب الفريقين .

«١» الجذيل مصغر جذل عود ينصب للجرباء لتحتك به والعذيق مصغر عذق قنو النخلة والمرجب المجل والتصغير هنا للتعظيم .

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام ، وعمه العباس وبنوه ، وعتبة بن أبي لهب
وسائر بني هاشم ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، والمقداد وعمار ، والزبير
وخزيمة بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وفروة بن عمرو بن ودقة الانصاري ،
وخالد بن سعيد بن العاص ، والبراء بن عازب ، ونفر غيرهم تخلفوا عن البيعة
أيضاً بحكم ما تواتر من الأخبار ، واتضح اتضاح الشمس في رابعة النهار ، وقد
نص الشيخان (البخاري ومسلم) في صحيحيهما (١) على تخلف علي عن البيعة حتى
لحقت سيدة النساء بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم وانصرفت عنه وجوه الناس .
وصرح بتخلفه المؤرخون كابن جرير الطبري في موضعين من أحداث
السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور ، وابن عبدربه المالكي في حديث السقيفة
من الجزء الثاني من العقد الفريد (٢) وابن قتيبة في أوائل كتابه (الامامة
والسياسة) وابن الشحنة حيث ذكر بيعة السقيفة في كتابه « روضة المناظر » (٣) وأبي
الفداء حيث أتى على ذكر أخبار أبي بكر وخلافته ، في تاريخه الموسوم بالختصر في

« ١ » راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء الثالث من
صحيح البخاري المطبوع في مصر سنة ١٣٠٩ وفي هامشه تعلية السندى أو باب
قول النبي « ص » لا نورث ما تركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد والسير من
صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من الجزء الثاني طبع مصر سنة ١٣٢٧ تجدد التصريح
بتخلفه عن البيعة مسنداً إلى أم المؤمنين عائشة « رض » .

« ٢ » في ص ١٩٧ من النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٣٠٥ وفي هامشها زهر

الآداب .

« ٣ » هذا الكتاب مروج الذهب مطبوعان في الهامش من كامل ابن الأثير
أما مروج الذهب فمطبوع مع الخمس الأول من مجلدات الكامل وهذا الكتاب أعنى
تاريخ ابن الشحنة في هامش المجلد الأخير المشتمل على جزء ١١ وجزء ١٢ وما
نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١١٢ من الجزء الحادى عشر فراجع .

أخبار البشر ، ونقله المسعودي في مروج الذهب ، عن عروة بن الزبير ، في مقام الاعتذار عن أخيه عبدالله (١) إذ همّ بتحريق بيوت بني هاشم عليهم حين تخلفوا عن بيعته ، ورواه الشهرستاني عن النظام عند ذكره للفرقة النظامية في كتابه (الملل والنحل) وأورده ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفى في أوائل الجزء السادس من شرح النهج (٢) ونقله العلامة في نهج الصدق عن كتاب المحاسن وانفاس الجواهر وغرر ابن خزابة وغيرها من الكتب المعتبرة ، وأفرد أبو مخنف لبيعة السقيفة كتاباً على حدة فيه تفصيل ما أجملناه من تخلف علي عن البيعة ، وعدم اقراره لهم بالطاعة ، وهذا من أدل الأمور على معذرة المتأولين ، ومن يجتري على أخي النبي ووليه ، ووارثه ووصيه (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فيقول إنه كان حينئذ عاصياً لله سبحانه ، وهو أول من آمن به وأطاعه من هذه الأمة ، أو يقول انه كان مخالفاً للسنة ، وهو قيمها ووارثها وصاحب الغناء بتأييدها وقد انتهى إليه ميراثها ، أو يزعم انه كان مفارقاً لشقيقه القرآن وقد نص النبي (ص) على انها لا يفترقان (٣) أو يتوهم انه كان مجانباً للصواب ، وقد أذهب عنه الرجس وطهره نص الكتاب ، أو يقول انه كان متكباً عن الحق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه»

«١» عرفت أن مروج الذهب مطبوع في هامش ابن الأثير وما نقلناه الآن عنه موجود في آخر صفحة ٢٥٩ من الجزء السادس فراجع .

«٢» في أوائل الصفحة الخامسة من المجلد الثاني من الشرح طبع مصر .

«٣» أخرج الطبراني في الأوسط «كما في الفصل الثاني من الباب التاسع من

الصواعق صفحة ٧٤» عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله «ص» يقول على مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الخوض .

كيف دار» أو يقول انه قعد به الجهل بحكم هذه البيعة ، وهو أقصى الأمة وباب مدينة العلم (ومن عنده علم الكتاب) .

وهذا أبو سفيان صخر بن حرب تخلف عن البيعة أيضاً وهو القائل يومئذ (١) اني أرى غبرة لا يطفئها إلام ، وجعل يطوف في أزقة المدينة ويقول :

بني هاشم لا تطمع الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم واليكم وليس لها إلا أبو حسن علي

وقال (٢) فما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ، ثم قال لعلي ابسط يدك ابايحك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً، فأبى أمير المؤمنين عليه السلام ، فتمثل بقول المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان غير الحي والودد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكي له أحد

هذا بعض ما كان منه يومئذ ، ونحن (الامامية) لا نحمل فعله هذا إلا على ارادة الفتنة ، وشق عصا المسلمين ، ولذا زجره أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال له (٣) والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً .

وإنما ذكرناه في عداد المتأولين ، مجازاة لمن يحمل أفعاله على الصحة ، لنتم حجتنا عليهم به في معذرة المتأولين ، ضرورة أنه لا يمكن ان يكون معذوراً عندهم في هذا التخلف إلا بناء على ذلك الاصل .

«١» هذا وما بعده حتى البيتان موجود في حديث السقيفة من العمدة الفريد

فراجع .

«٢» هذا وما بعده حتى البيتان الاخيران موجود في حديث السقيفة من كامل

ابن الأثير . «٣» نقلناه عن كامل ابن الأثير .

وهذه سيدة نساء العالمين، وبضعة خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، قد علم الناس ما كان بينهما وبين أبي بكر إذ هجرته فلم تكلمه حتى ماتت ودفنها أمير المؤمنين ليلاً، ولم يؤذن بها إلا نفرأً من شيعة، لثلاثي يصول عليها غيرهم وهذا من المسلمات أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين «١» ورواه الامام احمد من حديث أبي بكر في أواخر صفحة ٦ من الجزء الأول من مسنده، وذكره أهل الأخبار، ونص عليه أرباب السير، وحسبك من ذلك ما أودعه الامام ابن قتيبة في كتابه (الامامة والسياسة) ونقله العلامة المعتزلي عن ثقة المؤرخين في شرحه لنهج البلاغة.

ولها خطبتان تفرغ فيها عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، أحدهما في ميراثها، والثانية في أمر الخلافة، وأوردتها أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه والعلامة المعتزلي في الجزء ١٦ من شرح النهج (٢) واليكهما في كتاب بلاغات النساء (٣) والاحتجاج والبحار وغيرها من كتب الفريقين، لتكون على يقين من معذرة المتأولين.

وهذا أبو سليمان خالد بن الوليد الخزومي، قتل يوم البطاح مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمي، ونكح زوجته

«١» راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء ٣ من صحيح البخاري أو أول كتاب الفرائض في صفحة ١٠٥ من الجزء الرابع من صحيحه أيضاً أو باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد صفحة ٧٢ من الجزء ٢ من صحيح مسلم.

«٢» أما الأولى فموجودة في صفحة ٧٩ والثانية في صفحة ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج طبع مصر.

«٣» مؤلفه ابن الفضل احمد بن أبي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ فراجع منه صفحة

أم تميم بنت المنهال وكانت من أجمل النساء ، ثم رجع إلى المدينة وقد غرز في عمامته أسهما فقام إليه عمر (رض) فنزعها وحطمها ، وقال له (كما في تاريخ ابن الأثير وغيره) قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجنك بأحجارك ثم قال لأبي بكر (كما في ترجمة وثيمة بن موسى من وفيات ابن خلكان) إن خالداً قد زنى فارجمه ، قال ما كنت لأرجمه ، فانه تأول فأخطأ ، قال إنه قتل مسلماً فاقتله به ، قال ما كنت لأقتله به ، إنه تأول فأخطأ .

فلما أكثر عليه قال ما كنت لأشيم سيفاً سله الله تعالى ، وودى مالكا من بيت المال ، وفك الأسرى والسبايا من آله - وهذه الواقعة من المسلمات ، لا ريب في صدورهما من خالد (١) وقد ذكرها محمد بن جرير الطبري في تاريخه

« ١ » وله واقعة أخرى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك انه بعثه إلى بني جذيمة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، وكانت جذيمة قتلت في الجاهلية عمه الفاكه بن المغيرة ، فلما ورد عليهم ، قال لهم ضعوا سلاحكم فان الناس قد أسلبوا فوضعوا سلاحهم ، فأمر بهم فكشفوا ، ثم عرضهم على السيف ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فلما انتهى الخبر إلى النبي (ص) رفع يده إلى السماء فقال « كما في باب بعث خالد بن الوليد إلى جذيمة من كتاب المغازي من صحيح البخاري في صفحة ٤٧ من جزئه الثالث » اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد مرتين .

ثم أرسل علياً « كما في كامل ابن الأثير وغيره » ومعه مال ، وأمره ان ينظر في أمرهم ، فودى لهم الدماء والاموال ، حتى انه ليدى ميلغة الكلب ، وبقى معه من المال فضلة ، فقال لهم هل بقي لكم مال أو دم لم يود - قالوا لا ، قال فاني أعطيتكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ففعل ثم رجع فاخبر النبي «ص» فقال أصبت وأحسن - هذا ما نقله جميع المؤرخين ، وكل من ترجم خالداً ، حتى قال ابن عبد البر بعد ان ذكر هذا الخبر عنه في ترجمته من الاستيعاب ، ما هذا لفظه : وخبره في ذلك من صحيح الاثر اه .

وابن الأثير في كامله ، ووثيمة بن موسى بن الفرات والواقدي في كتابيهما ،
وسيف بن عمر في كتاب الردة والفتوح ، والزبير بن بكار في الموفقيات ،
وثابت بن قاسم في الدلائل ، وابن حجر العسقلاني في ترجمة مالك من أصابته
وابن الشحنة في روضة المناظر ، وأبو الفداء في المختصر ، وخلق كثير من
المتقدمين والمتأخرين ، والكل ذكروا اعتذار أبي بكر عن خالد بأنه تأول فأخطأ .
وإذا كان أبو بكر أول من نص على معذرة التأولين ، فمن ذا يرتاب
في ذلك من جمهور المسلمين .

وليت شعري متى كان التأول في الفروع شيئاً نكراً ؟ أم كيف لا يكون
عند الله والمؤمنين عذراً ، وقد تأول السلف كثيراً من ظواهر الأدلة لأُمور
ظنوا فيها صلاح الملة ، فبُخِعَ لتأولهم جمهور المسلمين ، وانقطع اليهم في كل ما يتعلق
بالدين ، تقديساً لتأولهم واجتهادهم ، وتنزيهاً لغرضهم ومرادهم ، واليك مضافاً إلى
ما تلوناه تلميحاً إلى بعض تأولاتهم وإشارة إلى اليسير من اجتهاداتهم أذكر ذلك
مختصراً في العبارة والحر تكفيه الإشارة .

فمنها تأولهم في الطلاق الثلاث وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبي
« صلى الله عليه وآله وسلم » وأبي بكر كما هو مقرر معلوم .

ففي باب طلاق الثلاث من كتاب الطلاق من صحيح مسلم في صفحة ٥٧٤
من جزئه الأول ، عن ابن عباس بطرق مختلفة ، قال كان الطلاق على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر ، طلاق
الثلاث واحدة « قال » فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر قد
كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم « قال » فأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ اه .

ونقله قاسم بك امين في صفحة ١٧٣ من كتابه « تحرير المرأة » عن

صحيح البخاري ونقله الفاضل الرشيد في صفحة ٢١٠ من المجلد الرابع من مناره عن أبي داود والنسائي والحاكم والبيهقي ثم قال « ما هذا لفظه » ومن قضاء النبي بخلافه ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس (١) قال طلق ركانة امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فغزن عليها حزناً شديداً فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله كيف طلقها ؟ قال ثلاثاً ، قال في مجلس واحد ؟ قال نعم قال فأنما تلك واحدة فارجعها إن شئت اه .

قلت وهذا مذهبننا في المسألة ويدل عليه مضافاً إلى ما سمعت « ٢ » وكونه مقتضى الأصل قوله تعالى « الطلاق » الذي تحل المطلقة من بعده إنما هو « مرتان » فان طلقها مرتين فالواجب عليه بعد ذلك ما أشار اليه سبحانه بقوله « فامسك » بعد التطليقتين المتفرقتين « بمعروف او تسريح » حينئذ « باحسان » إلى ان قال عز اسمه « فان طلقها » اي مرة ثالثة بعد المرتين المتفرقتين « فلا تحل له من بعد » ذلك التطليق الثالث « حتى تنكح زوجاً غيره »

وعلى هذا فلو قال لزوجه انت طالق ثلاثاً ولم يكن طلقها من قبل أصلاً ، أو كان قد طلقها مرة واحدة فلا مانع لهما ان يتراجعا وان لم ينكحها غيره

« ١ » وذكره ابن اسحاق في صفحة ١٩١ من الجزء ٢ .

« ٢ » ويدل عليه أيضاً ما نقله قاسم بك امين في صفحة ١٧٢ من كتابه تحرير المرأة عن النسائي والقرطبي والزيلعي بالاسناد الى ابن عباس قال أخبر رسول الله « ص » عن رجل طلق امرأته ثلاثاً جمعاً فقام غضبان ثم قال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم اه ، قلت وفي تفسير سورة الطلاق من الكشف نحوه وربما قيل إن هذا الحديث دال على فساد الطلاق الثلاث بالمرّة لكونه لعباً وبذلك قال سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين سكن الحق ان اللعب إنما هو في قوله ثلاثاً فيلغى واما قوله أنت طالق فيؤثر أثره إذ لا لعب فيه كما هو واضح .

لأن المنفي في الآية إنما هو حل ارجاعها من بعد التطليق الثالث المسبوق بتطليقتين كما لا يخفى — بيد ان أبا حفص (رض) تأول الآية وسأر أدلة المسألة (١) عقوبة للمستعجلين وردعاً لأهل الطيش والجاهلين وهذا كاف لك في معذرة التأولين فتدبر ولا تكن من الغافلين .

ومنها تأولهم في متعة الحج ومتعة النساء وحكمهم فيهما بخلاف ما كانتا عليه أيام النبي (ص) كما هو مقرر معلوم ، وبيان ذلك على التفصيل يستوجب مباحث .

« المبحث الأول » في أصل مشروعيتها — اعلم أن هذا المقدار ثابت باجماع المسلمين ، وبكل من الكتاب والسنة .

اما الاجماع فلا أن أهل القبلة كافة متفقون على ان الله تعالى قد شرع هاتين المتعتين في دين الاسلام ، وأهل التوحيد من هذه الأمة قاطبة متصافقون على ذلك ، بحيث لا ريب فيه لأحد من المتقدمين والمتأخرين ، من كافة المسلمين بل لعل ذلك ملحق لدى أهل العلم ، بالضروريات الثابتة عن سيد النبيين (ص) فلا ينكره أحد من أهل المذاهب الاسلامية مطلقاً .

واما الكتاب العزيز ففيه آيتان محكمتان ، إحداها في تشريع متعة الحج والاخرى في تشريع متعة النساء .

أما آية متعة الحج فهي قوله تعالى « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي » إلى قوله عز اسمه « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » إذ لا خلاف بين المسلمين في نزولها في متعة الحج كما لا يخفى .

« ١ » وفي الصفحة ٢١٢ من المجلد من المنار تصريح بأن عمر قد اجتهد في هذه المسألة

وأما آية متعة النساء (١) فهي قوله سبحانه « في سورة النساء »

« ١ » متعة النساء (التي هي موضوع الخلاف بين الشيعة والسنة) أن تزوج المرأة نفسها حيث لا يكون لك مانع في دين الاسلام عن نكاحها ، من نسب ، أو سبب أو رضاع ، أو احصان ، أو عدة ، أو غير ذلك ، من الموانع الشرعية ، ككونها منكوبة لأبيك ، أو كونها اختاً لزوجتك ، أو غير ذلك - تزوجك نفسها بمهر معلوم إلى أجل مسمى ، بعقد نكاح جامع لشرائط الصحة الاسلامية ، فتقول لك (بعد الاتفاق والتراضي) زوجتك ، أو انكحكتك ، أو متعتك نفسي ، بمهر قدره كذا وما أو شهراً أو سنة ، أو قد كرمة أخرى معينة على الضبط ، فتقول (أنت لها على الفور) قبلت - وتجوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقود ، وبتمامه تكون زوجة لك ، وأنت تكون زوجاً لها ، إلى منتهى الأجل المسمى في العقد ، وبمجرد انتهائه تبين ، من غير طلاق كالاجارة ، وللزوج فراقها قبل انتهائه بهمة المدة المعينة ، لا بالطلاق عملاً بالنصوص الخاصة الدالة على ذلك ويجب عليها مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس أن تعتد بعد هبة المدة أو انقضائها بقرين إذا كانت من تحيض وإلا فيخمس وأربعين يوماً كالأمة عملاً بالأدلة الخاصة أيضاً ، فإذا رهبها المدة أو انقضت قبل ان تمسها فإله عليها من عدة كالمطلقة قبل الدخول . وولد المتعة ذكراً كان أو أنثى (يباح كغيره من الأبناء) بأبيه فإنه أشرف الأبوين ولا يدعى إلا له عملاً بقوله تعالى (ادعوهم لأبائهم) وله من الارث ما أوصى به الله سبحانه حيث يقول (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ولا فرق (عند مبيح المتعة) بين ولديك المولود أحدهما منها والآخر من النكاح المألوف بين عامة المسلمين - وجميع العمومات الواردة في الأبناء والآباء والامهات شاملة لأبناء المتعة وآبائهم وأمهاتهم وكذا القول في العمومات الواردة في الأخوة والأخوات وأبنائهن والأعمام والعمت والأخوال والحالات وأبنائهم (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض) مطلقاً - نعم عقد نكاح المتعة لا يوجب توارثاً بين الزوجين المتمتعين ولا ليلة ولا نفقة للمتمتع بها وللزوج أن يعزل عنها عملاً بالأدلة الخاصة المخصصة للعمومات الواردة في أحكام الزوجات .

هذه هي متعة النساء التي فهم الامامية من الكتاب والسنة دوام اباحتها وأهل -

« فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن » حتى أن كلا من أبي بن كعب - المذاهب الأربعة قالوا بتحريمها مع اعترافهم بأن الله تعالى شرعها في دين الاسلام وليس عندنا متعة نساء غيرها بحكم الضرورة الأولية من مذهبنا المدون في ألوف من مصنفات علمائنا المنتشرة بفضل الطبع في أكثر بلاد الاسلام لكن محمود شكري الألوسى غفر الله له وفق رسالة بذيئة شحنها بإفك الواضح وبهتانه الفاضح وقد وقفت عليها في الجزء ٦ من المجلد ٢٩ من المار فإذا هي كذب وسباب وتنازع بالألقاب نعوذ بالله السميع العليم من الآفك الأثيم إذ يقول غير متأثم : إن عند الشيعة متعة أخرى يسمونها المتعة الدورية ويروون في فضلها ما يروون وهي ان يتمتع جماعة بامرأة واحدة فتقول لهم : من الصبح إلى الضحى في متعة هذا ومن الضحى إلى الظهر في متعة هذا ومن الظهر إلى العصر في متعة هذا ومن العصر إلى المغرب في متعة هذا ومن المغرب إلى العشاء في متعة هذا ومن العشاء إلى نصف الليل في متعة هذا ومن نصف الليل إلى الصبح في متعة هذا - إلى آخر بهتانه المبين فراجعه في صفحة ٤٤١ من المجلد ٢٩ من المنار - وإيت المنار سال هذا المرجف المجحف فقال له من الذى سماها من الشيعة بهذا الاسم وأى رار منهم روى في فضلها شيئاً أو أتى في رواياته على ذكرها وما تلك الروايات التى زعمت انهم رويوها في فضلها ومن أخرج تلك الروايات من محدثيهم وأتى عالم أو جاهل منهم افتى بها او ذكرها وأى كتاب من كتب حديثهم أو فقههم أو تفسيرهم يشتمل على ذكرها - ولو تقدم المنار بهذا السؤال لعرف حقيقة الحال - ونحن الآن نحيله على مصنفات الامامية في الفقه والحديث والتفسير وسائر الفنون - وقد انتشر منها (بفضل المطابع) عشرات الألوف مختصرة وهطولة متوناً وشروحات بعضها المتقدمين وبعضها للتأخرين فليتبعها المنار كتاباً كتاباً وليتصفحها حرفاً حرفاً ليعلم ان الألوسى وأمثاله من المرجنين الظالمين لأحياء المؤمنين ولأمواتهم وقد بهت السلف الصالح بما تستك به المسامع وترتعد منه الفرائص :

من كان يخلق ما يتو ل خيلتى فيه قليله

(ولتسمعن من الذين ارتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)

وابن عباس (١) وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم كانوا يقرؤونها : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ، أخرج ذلك عنهم الامام الطبري في تفسير الآية من أوائل الجزء الخامس من تفسيره الكبير ، ورواه عنهم وعن ابن مسعود جماعة كثيرون من ثقة الامة وحفظتها ، لا يسعنا استقصاؤهم

«١» ارسل الزمخشري في كشفه هذه القراءة عن ابن عباس ارسال المسلمات والرازي ذكر في تفسير الآية أنه روى عن أنى بن كعب أنه كان يقرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن اجورهن (قال) وهذا أيضاً هو قراءة ابن عباس (قال) والامة ما أنكروا عليهما في هذه القراءة (قال) فكان ذلك اجماعاً من الامة على صحة هذه القراءة هذا كلامه بلانظره فراجع في صفحة ٢٠١ من الجزء ٣ من تفسيره الكبير - ونقل القاضي عياض عن المازري (كما في أول باب نكاح المتعة من شرح صحيح مسلم للفاضل النووي) ان ابن مسعود قرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل والأخبار في ذلك كثيرة - وصرح عمران بن حصين الصحابي بنزول هذه الآية في المتعة وأنها لم تنسخ حتى قال رجل فيها براه ما شاء - ونص على نزول الآية في المتعة مجاهد أيضاً فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره بإسناده إليه فراجع الصفحة ٩ من الجزء ٥ من تفسيره الكبير - ويشهد ابنزوها في ذلك بالخصوص ان الله سبحانه قد أبان في أوائل السورة حكم نكاح الدائم بقوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) إلى أن قال (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) فلو كانت هذه الآية في بيان الدائم ايضاً للزم تكرار ذلك في سورة واحدة - اما إذا كانت لبيان المتعة المشروعة بالاجماع فانها تكون لبيان معنى جديد - وأهل النظر ممن تدبر القرآن الحكيم يعلمون ان السورة قد اشتملت على بيان الانكحة الاسلامية كلها فالدائم وملك اليمين بتبينا بقوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت أيمانكم) .

والمتعة مبنية بآيتها هذه (فما استمتعتم به منهن) ونكاح الاماء مبين بقوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) الى ان قال (وآتوهن اجورهن بالمعروف)

وأما نصوص السنة في أصل مشروعية المتعتين فتواترة ، ولا سيما من طريقنا عن العترة الطاهرة ، وحسبك في ثبوت متعة الحج واستمرارها ، ما أخرجه الشيخان (البخاري ومسلم) في التمتع والافراد والقران من كتاب الحج من صحيحهما فراجع .

على أن متعة الحج قد انعقد الاجماع (بعد الخليفة الثاني) على استمرارها ولم يعملوا بنهيها عنها ، فهي مما لا كلام في دوامه - وإنما الكلام في متعة النساء ، وقد أخرج الشيخان في أصل مشروعيتهما أحاديث في صحيحهما كثيرة عن كل من سلمة بن الأكوع ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وسبرة بن معبد الجني ، وأبي ذر الغفاري ، وعمران بن حصين ، والاكوع بن عبد الله الاسلمي - وأخرجها أحمد بن حنبل في مسنده ، من حديث هؤلاء كلهم ، ومن حديث عبد الله بن عمر ، وأخرج مسلم في باب نكاح المتعة من كتاب النكاح من الجزء الأول من صحيحه عن جابر بن عبد الله ، وسلمة بن الأكوع ، قالوا : خرج علينا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن رسول الله أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء . اهـ - والصحيح في هذا المعنى كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية .

(المبحث الثاني) في دوام حلها واستمرار إباحتها ، وقد ذهب إلى ذلك أئمتنا الاثنا عشر من أهل البيت (وأهل البيت أدري بالذي فيه) وتبعهم في ذلك شيعتهم وأولياؤهم ، وحسبك حجة لهم ما قد سمعته من إجماع المسلمين على أن الله تعالى شرعها في دينه القويم وصدع باباحتها في الذكر الحكيم ، وأذن في في الاذن بها منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يثبت نسخها عن

الله تعالى ، ولا عن رسوله (ص) حتى انقطع الوحي باختيار الله تعالى لنبيه دار كرامته ، وماوى أصفياه ، بل ثبت عدم نسخها بحكم صحاحنا المتواترة ، من طريق العترة الطاهرة فراجعها في كتاب وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة .

وإن ابتغيت صحاحاً سواها فإليك ما أخرجه محدثوك « أيها القائل بتحريمها » انقله إليك بعين الفاظهم فأقول :

أخرج مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه (١) عن عطاء قال قدم جابر بن عبد الله معتمراً ، فجنّاه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة ، فقال : نعم ، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر اه .

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضاً عن أبي نضرة ، قال كنت عند جابر بن عبد الله ، فأتاه أت فقال : ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين ، فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم نهانا عنهما عمر ، فلم نعد لهما اه .

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضاً ، عن أبي الزبير قال سمعت جابر ابن عبد الله يقول : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث اه .

وأنت تعلم ان ليس المراد من قول جابر في هذه الاحاديث استمتعنا على عهد رسول الله (ص) مرة ، وفعلناهما مع رسول الله (ص) أخرى ، وكنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (ص) تارة ، إلا بيان أنهم كانوا يستمتعون برأى منه صلى الله عليه وآله وسلم ومسمع ، فيقرهم على ذلك

وأنه لم ينههم عنها ، حتى اختار الله له لقاءه - وناهيك بهذا برهاناً على دوام الإباحة - وإذا نظرت إلى قوله تمتعنا واستمتعنا ، وكنا نستمتع ، وفعلناهما مع رسول الله (ص) تجده ظاهراً في نسبة فعلها أيام النبي (ص) وأبي بكر إلى عموم الصحابة لا إلى نفسه بالخصوص ، ولو كان ثمة ناسخ ما فعلوها بعد النبي (ص) ولا يجوز أن يخفى الناسخ عليهم مع ملازمتهم للرسول في حضره وسفره ليلاً ونهاراً ، وكيف يخفى عليهم ، ثم يظهر للمتأخرين عنهم - على أن قول جابر « حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث » صريح بأن النهي عنها لم يكن من الله تعالى ولا من رسوله (ص) وإنما كان من عمر لقضية وقعت من عمرو بن حريث - وقوله ثم مهانا عمر دال على أن النهي كان متوجهاً منه إلى كافة الصحابة لا إلى شخص منهم مخصوص ، وأما قوله فلم نعد لها فإما هو للتقية والخوف من العقوبة - والأخبار الدالة على دوام إباحة المتعة ، واستمرار حلها لا تستقصى في هذه العجالة ، وسأتلو عليك « في المبحث ٤ والمبحث ٥ » لمعة من الصحاح تدل على ذلك أيضاً .

« المبحث الثالث » في الأحاديث التي زعموا أنها ناسخة لحكم المتعة - أمعنا النظر فيها فوجدناها أحاديث ملفقة وضعها المتأخرون عن زمن الخلفاء الأربعة ، تصحيحاً لرأي من حرّمها ، وقد استقصيناها في رسالتنا الموسومة بالنجعة في أحكام المتعة ، فأثبتنا من طريق خصومنا تضعيف تلك الأحاديث (وإن أخرجها الشيخان) ونقلنا كلمات البعض من أئمتهم في الجرح والتعديل الدالة على ذلك - على أن تلك الأحاديث الملفقة تناقض صحاحنا المتواترة ، من طريق العترة الطاهرة بل تناقض ما سمعته من صحاحهم الدالة على دوام حلها ، واستمرار إباحتها - ومن تدبرها وجدها تناقض نفسها بنفسها ، وقد فصلنا

ذلك كله في نجمعتنا بما لا مزيد عليه - وأنت هداك الله سمعت النص من جابر بن عبد الله ، على أن التحريم والنهي إنما كان من عمر في بادرة بدرت من ابن حريث ، واستسمع كلام عمران بن حصين ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وأمير المؤمنين ، فقراء صريحاً بأن التحريم لم يكن بناسخ شرعي ، وإنما كان بنهي الخليفة الثاني - ومحال أن يكون ثمة ناسخ ، فيجلبونه ، وهم من علمت منزلتهم من رسول الله وما لزمته لهم له (ص) وحرصهم على اخذ العلم منه - على أنه لو كان هناك ناسخ لنبيهم اليه بعض المطلعين عليه ، وحيث لم يعارضهم أحد من الصحابة فيما كانوا ينسبونه من التحريم إلى عمر ، علمنا أنهم أجمع معترفون بذلك ، مقرون بأن لا ناسخ من الله تعالى ، ولا من رسوله (ص) ، كما لا يخفى - على أن عمر نفسه لم يدع النسخ كما استسمع من كلامه الصريح في اسناد التحريم والنهي إلى نفسه ، ولو كان هناك ناسخ لأسند التحريم إلى الله تعالى أو إلى الرسول (ص) فان ذلك أبلغ في الزجر وأولى بالذكر - ومن غرائب الأمور دعواهم النسخ بقوله تعالى « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم » بزعم انها ليست بزوجة ، ولا ملك يمين (قالوا) أما كونها ليست بملك يمين فسلم ، وأما كونها ليست بزوجة ، فلائها لا نفقة لها ، ولا إرث ، ولا ليلة ، والجواب أنها زوجة شرعية ، بعقد نكاح شرعي ، اما عدم النفقة والارث والليلة فانما هو بأدلة خاصة تخصص العمومات الواردة في أحكام الزوجات ، كما بيناه فيما علقناه على صفحة ٥٤ من هذه الفصول - على ان هذه الآية مكية نزلت قبل الهجرة بالاتفاق فلا يمكن ان تكون ناسخة لباحة المتعة المشروعة في المدينة بعد الهجرة

بالاجماع - ومن عجيب أمر هؤلاء المتكلمين ، ان يقولوا بأن آية (المؤمنون) ناسخة لمتعة ، إذ ليست بزوجة ولا ملك يمين ، فاذا قلنا لهم ، ولم لا تكون ناسخة لنكاح الاماء المملوكات لغير النكاح ، وهو لسن زوجات للنكاح ولا ملك يمين له؟ قالوا حينئذ : إن آية المؤمنين مكية ونكاح الاماء المذكورات إنما شرع بقوله تعالى « في سورة النساء وهي مدنية » - فمن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات فيما ملكت أيانكم - الآية والمكي لا يمكن أن يكون ناسخاً للمدني ، لوجوب تقدم المنسوخ على الناسخ - يقولون هذا وينسون أن المتعة إنما شرعت في المدينة بقوله تعالى « في سورة النساء أيضاً » فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن - وقد منينا بقوم لا يتدبرون فانا لله وإنا اليه راجعون .

(المبحث الرابع) في سير من الأحاديث الدالة على ان التحريم إنما كان من الخليفة الثاني رضي الله عنه .

أخرج مسلم في باب المتعة بالحج والعمرة من صحيحه (١) بالاسناد إلى أبي نضرة ، قال كان ابن عباس يأمر بالمتعة ، وكان ابن الزبير ينهى عنها ، فذكرت ذلك لجابر فقال على يدي دار الحديث ، تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء ، فاتموا الحج والعمرة ، وأبتوا نكاح هذه النساء ، فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجته بالحجارة اه - وهذا كما ترى صريح بما قلناه ، ولا تنس ما ذكرناه في المبحث الثاني من حديث جابر فإنه صريح بذلك أيضاً فراجعوه وتأمل .

وقد استفاض قول الخليفة الثاني وهو على المنبر متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما : متعة الحج ومتعة النساء حتى

نقل الرازي هذا القول عنه ، محتجاً به على حرمة متعة النساء ، فراجع تفسير آيتها من تفسيره الكبير .

والذي نقله متكلم الاشاعرة وحكيمهم ، الامام القوشجي في اواخر مبحث الامامة من شرح التجريد أن عمر قال وهو على المنبر ، أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله (ص) وأنا انهي عنهن وأحرمن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل - ثم اعتذر عنه بأن هذا إنما كان منه على تأول واجتهاد - والأخبار في ذلك كثيرة تضيق هذه الفصول عن استقصائها .

وقد استمتع في أيامه ربيعة بن أمية بن خلف القرشي الجمحي (وهو أخو صفوان) فيما أخرجه الامام مالك (في باب نكاح المتعة من موطأه) عن عروة ابن الزبير ، أن خولة بنت حكيم السامية دخلت على عمر ، فقالت إن ربيعة بن أمية ، استمتع بأمرأة فحملت منه ، فخرج عمر يجر رداءه (من العجلة والغضب) فقال هذه المتعة ولو كنت تقدمت فيها لرجمت اه . أي لو كنت تقدمت في تحریمها والانداز برجم فاعلها قبل هذا لرجمت) إذ كان هذا القول منه قبل نهيه عنها - نص على ذلك ابن عبد البر كما في شرح الزرقاني لهذا الحديث من الموطأ - وربما يكون المراد بقوله (لو كنت تقدمت فيها لرجمت) أنه لو تقدم باقامة الحجة من الكتاب والسنة على نسخها لرجم ، وحيث لا حجة على تحریمها فلا رجم - وكيف كان فكلامه هذا ظاهر بأن التصرف في حكمها إنما هو منه لا من سواه - وخطبته تلك على المنبر نص صريح بذلك ، حيث روى كون المتعتين كانتا على عهد النبي (ص) ولم يرو نهيه عنهما ، بل أسند النهي عنهما الى نفسه ، فقال وأنا أنهي عنهما مقدماً للسند اليه ليكون النهي عنهما مقصوراً عليه ، ولو كان هناك

ناسح لذكره كما لا يخفى .

(المبحث الخامس) في الإشارة إلى يسير ممن تسنى لهم أن ييؤخوا ببعض ما تمكنه نفوسهم من الانكار على تحريمها وهم كثيرون .

فمنهم جابر بن عبدالله الانصاري وقد سمعت حديثه .

ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام فيما أخرجه الامامان الطبري والشعبي ، عند بلوغهما في تفسيريهما الكبيرين إلى آية المتعة من سورة النساء بالاسناد إلى علي (١) قال لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي وهذا المعنى متواتر عنه من طريق أبنائه الميامين .

ومنهم عبدالله بن عباس حيث قال : ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد (ص) لولا نهيه (يعني عمر) عنها ما احتاج إلى الزنى إلا شقي ، أي إلا قليل من الناس ، نقل ذلك عنه ابن الأثير في مادة شقى من النهاية ورواه عنه خلق كثير - وقوله في إباحة المتعة والانكار على من حرّمها متواتر وله في ذلك مع ابن الزبير وغيره نوادر يطول المقام بذكرها وقد أخرج مسلم بعضها عن جابر فراجع صفحتي ٥٨ و ٦١ من كتابنا هذا .

ومنهم عبدالله بن عمر كما هو ثابت عنه - أخرج الامام احمد في صفحة ٩٥ من الجزء الثاني من مسنده من حديث عبدالله بن عمر قال : سأل رجل ابن عمر عن متعة النساء فقال والله ما كنا على عهد رسول الله (ص) زانين ولا مساكين ثم قال والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر اه .

«١» ونقله الرازي في صفحة ٢٠٠ من الجزء ٣ من تفسيره عن تفسير الطبري .

ونقل العلامة في نهج الصدق ، والشهيد الثاني في نكاح المتعة من روضته البهية عن صحيح الترمذی ، أن رجلا من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء فقال هي حلال ، فقال إن أباك قد نهى عنها ، فقال ابن عمر : أريت إن كان أبي نهى عنها ، وصنعها رسول الله (ص) أترك السنة ، وتتبع قول أبي ؟ اه .

ومنهم عبدالله بن مسعود ، كما هو مقرر معلوم ، أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين ، واللفظ للأول في الصفحة الثانية أو الثالثة من كتاب النكاح عن عبدالله « ابن مسعود » قال كنا نغزو مع رسول الله « ص » وليس لنا شيء (١) فقلنا ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالشوب ثم قرأ علينا « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين اه .

وانت تعلم ان استشاده بالآية دال على قوله باباحة المتعة وإنكاره على من حرمها كما صرح به كل من شرح صحيح البخاري .

ومنهم عمران بن حصين فيما صح عنه ، وقد نقل فخر الدين الرازي اثناء بحثه عن حكم متعة النساء في تفسير آيتها من تفسيره الكبير عن عمران بن حصين قال انزل الله في المتعة آية ، وما نسخها بآية أخرى وامرنا رسول الله « ص » بالمتعة وما نهانا عنها ، ثم قال رجل برأيه ما شاء « قال الرازي » يريد عمر اه .

« ١ » يعني ليس لنا شيء من المال ولفظه في صحيح مسلم وليس لنا نساء فيكون الظاهر من رواية البخاري أن المرخص به إنما هو كون الشوب أجرة المتعة بدلا عن النقود وتكون المتعة مشروعة قبل ذلك والظاهر من رواية مسلم أن المرخص به نفس المتعة ويمكن دعوى ظهور الروایتين بهذا المعنى .

وأخرج البخاري عن عمران بن حصين ، قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ، ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرمها ، ولم ينه عنها حتى مات (ص) ، قال رجل برأيه ما شاء اه .

وأخرج أحمد (١) في مسنده من طريق عمران القصير عن أبي رجاء عن عمران بن حصين ، قال نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى ، وعملنا بها مع رسول الله (ص) فلم تنزل آية تنسخها ، ولم ينه عنها النبي حتى مات «ص» اه وأمر المأمون أيام خلافته فمؤدي بتحليل المتعة ، فدخل عليه محمد بن منصور وأبو العيناء فوجداه يستاك ويقول (٢) وهو متغيظ متعتان كانتا على عهد رسول الله «ص» وعلى عهد أبي بكر وأنا أنهي عنهما - ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله «ص» وأبو بكر ، فأراد محمد بن منصور أن يكلمه ، فأوماً إليه أبو العيناء ، وقال رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن ، فلم يكلمه ، ودخل عليه يحيى بن أكرم فخوفه من الفتنة وذكر له ان الناس يرونه قد أحدث في الاسلام بسبب هذا النداء حدثاً عظيماً ، لا ترتضيه الخاصة ، ولا تصبر عليه العامة ، إذ لافرق عندهم بين النداء باباحة المتعة والنداء باباحة الزنى ، ولم يزل به حتى صرف عزمته احتياطاً على ملسكه واشفاقاً على نفسه .

* * *

(١) في صفحة ٤٣٦ من الجزء ٤ - وأخرج أيضاً في صفحة ٤٣٨ من الجزء ٤ من طريق حميد عن الحسن عن عمران مثله ،

(٢) فيما نقله ابن خلكان في ترجمة يحيى بن أكرم من وفيات الاعيان لـ كنه لم ينقل حديث يحيى بن أكرم مع المأمون على وجهه والصحيح ما نقلناه .

خاتمة

قال العسكري « فيما نقله السيوطي عنه في ترجمة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء » هو أول من سمي أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » وأول من عس بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب في الحمر ثمانين ، وأول من حرم المتعة . الخ - والذين صرحوا بهذا من اعلام السلف والخلف لا يحيط بهم هذا الاملاء ، وفي هذا القدر كفاية إذ تبين به أن تحريم المتعنين إنما كان عن اجتهاد محض ، وتأول صرف وقد قوبل بالاذعان ولم يندد به من الجمهور إنسان ، فثبت ما أردناه في هذه العجالة وتم ما أفردنا له هذه الرسالة من معذرة المجتهدين ونجاة المتأولين من المسلمين والحمد لله رب العالمين - ولنرجع إلى ما كنا فيه من موارد تأولهم فنقول عطفاً على ما سبق .

ومنها تأولهم في اذان الصبح حيث تصرفوا فيه فنظموا في سلك فصوله فصلاً لم يكن أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الا وهو نداء مؤذنيهم « الصلاة خير من النوم » بل لم يكن أيام أبي بكر وإنما امر به الخليفة الثاني فيما دلت عليه الأحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة - وحسبك من غيرها ما أخرجه الامام مالك في باب ما جاء في النداء للصلاة من موطأ من انه بلغه ان المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه للصلاة الصبح فوجده نائماً فقال الصلاة خير من النوم فأمره عمر ان يجعلها في نداء الصبح انتهى بلفظه - وقال العلامة الزرقاني عند بلوغه الى هذا الحديث من شرح الموطأ ما هذا لفظه : هذا البلاغ أخرجه الدارقطني في السنن من طريق وكيع في مصنفه ، عن العمري عن نافع عن ابن

عمر عن عمر - (قال) وأخرج عن سفيان عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر عن عمر ، انه قال لمؤذنه إذا بلغت حي على الفلاح في الفجر فقل الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم اهـ .

قلت واخرجه ابن ابي شيبة من حديث هشام بن عروة ، ورواه جماعة آخرون يطول المقام بذكرهم .

وأنت تعلم أن لا عين ولا أثر لهذه الكلمة فيما هو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من كيفية الأذان ، فراجع إن شئت كتاب الأذان في الجزء الأول من صحيح البخاري ، وباب صفة الأذان وهو في أول كتاب الصلاة من صحيح مسلم ، تعلم حقيقة ما نقول - وأيضاً ذكرنا في أصل مشروعية الأذان (١) قضية تمنعها الإمامية حاصلها أن عبدالله بن زيد بن ثعلبة الأنصاري رأى ليلة فيما يراه النائم شخصاً علمه الأذان والاقامة فلما انتبه قبل الفجر ، وقص الرؤيا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أمره أن يلقن بلالاً ما حفظه في تلك الرؤيا ، وأمر بلالاً أن ينادي به أول الفجر ، ففعل ذلك وشرع الأذان بهذا الطيف فيما زعموا - ونحن نظرنا فيما نقلوه من تلقين عبدالله لبلال فلم نجد فيه (مع كونه أذاناً للفجر) الصلاة خير من النوم ، والأدلة على كون هذه الكلمة ليست من الله تعالى ولا من رسوله (ص) كثيرة وما ذكرناه كاف لإثبات تأولهم في الأذان واف بمعصرة المتأولين في كل زمان .

(١) ذكر هذه القضية مالك في موطاه على سبيل الاجمال ، وفصلها كل من ابن عبد البر والزرقلاني في شرحيهما ، وأوردوها الخافي في باب بدء الأذان ومشروعيتها من الجزء الثاني من سيرته - وكل من ذكر عبدالله بن زيد من أهل التراجم أشار إلى هذه القضية وربما سموه صاحب الأذان ، وأصحابنا ينكرونها ويعيدونها من المحال .

ومنها تأولهم في اسقاط حي على خير العمل من الأذان والاقامة ، وذلك انهم كانوا يرغبون في إعلام العامة بأن خير العمل إنما هو الجهاد في سبيل الله ، ليشتاقوا اليه وتعكف همهم عليه ، والنداء على الصلاة بخير العمل في كل يوم خمس مرات (١) ينافي ذلك .

بل ربما رأوا أن في بقاء هذه الكلمة في الأذان والاقامة ، تثبيطاً للعامة عن الجهاد ، إذ لو عرفوا أن الصلاة خير العمل ، مع ما فيها من الدعة والسلامة ، لاقتصروا في ابتغاء الثواب عليها ، وأعرضوا عن خطر الجهاد المفضول بالنسبة اليها ، وكانت همهم ولي الأمر يومئذ « عمر بن الخطاب (رض) » مصروفة إلى الاستيلاء على ممالك الأرض ، وعزائمه مقصورة على امتلاكها في الطول والعرض .

وفتح الممالك لا يكون إلا بتشويق الجند إلى التورط في سبيله بالمهالك ، بحيث يشربون في قلوبهم الجهاد حتى يعتقدوا أنه خير عمل يرجونه يوم المعاد ولذا ترجح في نظره اسقاط هذه الكلمة تقديماً لتلك المصلحة على التعبد بما جاء به الشرع الأقدس فقال وهو على المنبر « كما نص عليه القوشجي في أواخر مباحث الامامة من شرح التجريد وهو من أئمة المتكلمين على مذهب الاشاعرة » ثلاث « كن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنا أنهي عنهم وأحرمن واعاقب عليهم : متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل (٢)

وتبعه في اسقاطها عامة من تأخر عنه من المسلمين ، حاشا أهل البيت ومن

(١) بل كل مسلم ملتزم بالسنة يقولها كل يوم عشر مرات .

(٢) واعتذر بعد أن أرسله عنه إرسال المسلمات بأنه قد اجتهد في ذلك .

يرى رأيهم ، فان حي على خير العمل من شعارهم ، كما هو بديهي من مذهبهم حتى ان شهيد فنج (الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليهم السلام) لما ظهر بالمدينة أيام الهادي (١) من ملوك العباسيين ، أمر المؤذن أن ينادي بها ففعل ، نص على ذلك أبو الفرج الاصفهاني ، حيث ذكر صاحب فنج ومقتله ، في كتابه مقاتل الطالبين . وذكر العلامة الحلي في باب بدء الاذان ومشروعيته في صفحة ١١٠ من الجزء الثاني من سيرته ، أن ابن عمر (رض) والامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام كانا يقولان في الاذان (بعد حي على الفلاح) حي على خير العمل اه .

قلت وهذا متواتر عن أئمة أهل البيت ، فراجع حديثهم في كتاب وسائل الشيعة إلى احكام الشريعة لتكون على بصيرة من مذهبهم . ونحن الآن في أن السلف تأولوا ، فأسقطوا فصلا من الاذان والاقامة فلم يقدح ذلك (عند الجمهور) في تبوءهم منصة الخلافة وأريكة الامامة ، فكيف لا يكون المتأول بعدهم معذوراً ، أم كيف لا يكون مثاباً مأجوراً ، فاحكموا بالعدل أيها المنصفون .

ومنها صلاة التراويح (٢) إذ لم تكن أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا في ولاية أبي بكر ، وإنما سنّها الخليفة الثاني سنة ١٤ للهجرة بالاجماع نصّ العسكري على ذلك في أوائله ، ونقله السيوطي في الفصل الذي عقده لخلافة

(١) مضل الناس قد سموه هاد كما قد سمي الأعمى بصيراً

(٢) هي نافذة رمضان جماعة وإنما سميت تراويح للاستراحة فيها بعد كل أربع ركعات ونحن نصلي نافذة رمضان فرادى كما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

عمر من كتابه تاريخ الخلفاء (١) .

وقال ابن عبد البر ، في ترجمة عمر من الاستيعاب : وهو الذي نوّر شهر الصوم بصلاة الاشفاق فيه .

وقال العلامة أبو الوليد محمد بن الشحنة ، حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه « روضة المناظر » (٢) هو أول من نهى عن بيع امهات الأولاد ، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز وأول من جمع الناس على امام يصلي بهم التراويح الخ ، ولما ذكر السيوطي في كتابه « تاريخ الخلفاء » أوّلّيات عمر نقلاً عن العسكري ، قال : هو أول من سمي أمير المؤمنين ، إلى أن قال وأول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » وأول من حرم المتعة وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات الخ - وقال محمد بن سعد « حيث ترجمة عمر في الجزء الثالث من الطبقات » وهو أول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » وجمع الناس على ذلك وكتب به إلى البلدان وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة ، وجعل للناس بالمدينة قارئين ، قارئاً يصلي « التراويح » بالرجال ، وقارئاً يصلي بالنساء ... الخ .

وأخرج البخاري « في أواخر الجزء الأول من صحيحه » ، في كتاب صلاة التراويح « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » قال « فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر (رض)

(١) في صفحة ٥١ .

(٢) عرفت سابقاً أنه مطبوع في هامش ابن الأثير ومات له عنه هناموجود

في صفحة ١٢٢ من جزء ١١ .

وصدرأ من خلافة عمر اه .

وأخرج مسلم « في باب الترغيب في قيام رمضان من الجزء الأول من صحيحه » أن رسول الله «ص» كان يرغب في قيام رمضان ، من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة ، فيقول من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، (قال : فتوفي «ص» والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرأ من خلافة عمر على ذلك اه .

وأخرج البخاري في كتاب صلاة التراويح من صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد - القاري (١) .

قال خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون إلى أن قال ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارى واحد كان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، « قال » ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر (رض) نعمت البدعة هذه. الحديث وقال العلامة القسطلاني « في أول الصفحة الرابعة من الجزء الخامس من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري عند بلوغه إلى قول عمر في هذا الحديث « نعمت البدعة هذه » ما هذا نصه : سماها بدعة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسن لهم الاجتماع لها ، ولا كانت في زمن الصديق ، ولا أول الليل ، ولا كل ليلة ، ولا هذا العدد الخ .

وفي تحفة الباري مثله فراجع — وهذا أمر لا يناقش فيه أحد من

(١) عبد القاري بتأوين عبد وتشد يد باء القاري نسبة إلى قاره وهو ابن ديش

ابن محم بن غالب المدني كان عبد الرحمن هذا عامل عمر على بيت المال وهو حليف بنى زهرة روى عن عمر ، وأبي طلحة ، وأبي أيوب ، وأبي هريرة ، وروى عنه ابنه ، محمد ، والزهرى ، ويحيى بن جعدة بن هيرة ، مات سنة ثمانين ، وله ثمان وسبعون سنة

المسلمين ، وحسبك به دليلا على معذرة التأولين .

ومنها تأو لهم آية الزكاة ، إذ أسقطوا منها سهم المؤلفة قلوبهم مع نص الكتاب والسنة على ثبوته ، وكونه معلوماً بحكم الضرورة من دين الاسلام ، وقد أجمعت كلمة المسلمين ، واتفقت جميع طوائفهم ، على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يعطيهم منها حتى لحق بربه عز وجل ، وأنه لم يعهد إلى أحد من بعده بأسقاط سهمهم ، وقد ذكر (١) صاحب كتاب الجوهرة النيرة ، على مختصر القدوري (٢) في الفقه الحنفي

(١) وذكر المؤرخون نظير هذه الحكاية أيضاً ، إذ قالوا جاء عبيدة بن حصين والأقرع بن حابس إلى أبي بكر ، فقالا له إن عندنا أرضاً سبخة ، ليس فيها كلاً ولا منفعة ، فإن رأيت أن تنقطعناهما لعل الله ان ينفع بها بعد اليوم ، فقال أبو بكر لمن حوله ما تقولون ؟ قالوا لا باس ، فكتب لهما بها كتاباً فانطلقا إلى عمر ، ليشهد لهما فيه ، فأخذه منهما ثم نقل فيه فحاه ، فتذمرا وقالوا له مقالة سيئة ، ثم ذهبا إلى أبي بكر وهما يتذمرا فقالا والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر فقال بل هو وجاء عمر حتى وقف على أبي بكر وهو مغضب فقال اخبرني عن هذه الأرض التي اقطعتهما هذين أهى لك خاصة أم بين المسلمين ؟ فقال بل بين المسلمين فقال ما حملك على ان تخصص بها هذين ؟ قال استشرت الذين حولي فقال اوكل المسلمين وسعتهم مشورة ورضا ؟ فقال أبو بكر « رض » فقد كنت قلت لك انك أقوى على هذا الأمر مني لكنك غلبتني .

نقل هذه القضية ابن أبي الحديد في الجزء الثاني عشر من شرح الشريح في صفحة ١٠٨ من المجلد الثالث والعشقلاني في ترجمة عبيدة من اصابته وغيرهما - وليته كان يوم السقيفة وسح كل المسلمين مشورة وياحبذا لو تأنى حتى يفرغ بنو هاشم من امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) هو من أشهر الكتب الحنفية يتبركون به والمصنفه شان عظيم وما نقلناه هنا عنه مصرح به في كلمات المحدثين والفقهاء كما لا يخفى .

في صفحة ١٦٤ من جزئه الأول أن المؤلف قلوبهم ، جاءوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر رضي الله عنه ليكتب لهم بعادتهم فكتب لهم بذلك فذهبوا بالكتاب إلى عمر (رض) ليأخذوا خطه على الصحيفة ، فمزقها وقال : لا حاجة لنا بكم ، فقد أعز الله الاسلام ، وأغنى عنكم ، فإن أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم ، فرجعوا إلى أبي بكر ، فقالوا له أنت الخليفة أم هو ؟ فقال بل هو إن شاء الله وأمضى ما فعله عمر واستقر الأمر من يومها عند الجمهور على اسقاط هذا السهم بحيث لا تبرأ الذمة عندهم باعطاء المؤلف قلوبهم من الزكاة .

ومنها تأولهم آية الخمس ، وهي قوله تعالى في سورة الأنفال « واعلموا أنما غنمتم (١) من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله (٢) وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » حيث صرفوا الخمس إلى خلاف منطوقها .

فذهب الامام مالك « كما هو معلوم من مذهبه » إلى أن الخمس بأسره مفوض إلى السلطان يصرفه كيف شاء ، وأنه لا حق لأحد بالمطالبة فيه ، وذهب الامام أبو حنيفة « كما هو بديهي من مذهبه » إلى أنه يقسم ثلاثة أسهم فيعطى لمطلق أيتام المسلمين سهم ، ولمطلق مساكينهم سهم ، ولمطلق أبناء السبيل منهم سهم ، ولا فرق عنده في ذلك بين ذي القربى منهم وغيره .

(١) الغنيمة لغة هي الفوز بالشيء وذلك أعم من غنائم دار الحرب وبهذا تعلم دلالة الآية على مذهبنا في الخمس .

(٢) معنى هذا الشرط أن الخمس مصروف إلى هذه الوجوه الستة فاقطعوا عنه اطعامكم وأدركه لأربابه ان كنتم آمنتم بالله وفيه من البعث على أداء الخمس والإنذار لتأريكه ما لا تسع بيانه عبارة .

وأنت ترى نص الكتاب ، قد فرض لذي القربى في الخمس حقاً قصره عليهم ، وتعلم ان السنة المطهرة قد جعلت لهم فيه سهماً لن تبرأ الذمة إلا بدفعه اليهم ، وقد أجمع كافة أهل القبلة من أهل كل مذهب منهم ونحلة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يختص بسهم من الخمس ويخص منه أقاربه بسهم آخر ، ولم يعهد بتغيير ذلك إلى أحد ، حتى لحق بربه عز وجل ، فلما ولي أبو بكر (رض) تأول الأدلة فأسقط سهم النبي صلى الله عليه وآله ، وسهم ذوي القربى ، ومنع « كما في تفسير هذه الآية من الكشف وغيره » بني هاشم من الخمس — وفي أواخر باب غزوة خيبر من صحيح البخاري ، في صفحة ٣٦ من حزنه الثالث ، أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فأبى أبو بكر أن يدفع إليها شيئاً ، فوجدت عليه فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ، ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليها . الحديث — وهو موجود أيضاً في باب قول النبي لا نورت ، ما تركناه فهو صدقة ، من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من جزئه الثاني ، وفي مواضع أخر من الصحيحين كما لا يخفى .

وأخرج مسلم في أواخر كتاب الجهاد والسير ، من الجزء الثاني من صحيحه ، عن قيس بن سعد عن يزيد بن هرمز ، قال كتب نجدة ابن عامر (الحروري الخارجي) إلى ابن عباس ، قال (يزيد بن هرمز) فشهدت ابن عباس حين قرأ كتابه ، وحين كتب جوابه (قال) فقال ابن عباس

تأروهم في صلاة الجنائز حيث اقتصرُوا فيها على أربع تكبيرات ٧٥

والله لولا أن أُرده عن تننٍ يقع فيه ، ما كتبت إليه ، ولا نعمة عين ، قال
فكتب إليه إنك سألت عن سهم ذي القربى الذين ذكر الله : من هم : وإنا كنا
نرى أن قرابة رسول الله (ص) هم نحن ، فأبى ذلك علينا قومنا الحديث (١) .
وأخرجه أيضاً الإمام أحمد ، من حديث ابن عباس في أواخر صفحة ٢٩٤
من الجزء الأول من مسنده ورواه المحدثون بطرق كلها صحيحة - وهذا هو
مذهب أهل البيت ، والمتواتر عن أئمتهم عليهم السلام .

ومنها اقتصارهم في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، كما هو معلوم من
فقه أهل المذاهب الأربعة وسيرتهم ، وأول من جمع الناس على ذلك عمر بن
الخطاب (رض) كما نص عليه جماعة كثيرون ، منهم السيوطي حيث ذكر
أوليات عمر في تاريخ الخلفاء ، وابن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث
سنة ٢٣ من تاريخه روضة المناظر (٢) وغيرهما من أهل الأخبار .

وبذلك على تأولهم في هذه المسألة ، ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من
حديث زيد بن أرقم في صفحة ٣٧٠ من الجزء الرابع من مسنده ، عن عبد الأعلى
قال صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمساً فقام إليه أبو عيسى
عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فأخذ بيده فقال : نسيت ، قال : لا ولكن صليت
خلف أبي القاسم خليلي صلى الله عليه وآله وسلم فكبر خمساً فلا أتركها أبداً اهـ .

(١) فراجع في أول صفحة ١٠٥ من ج ٢ من صحيح مسلم المطبوع سنة

١٣٢٧ على ثقة الحلبي وأخويه .

(٢) وهو مطبوع في هامش ابن الأثير وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة

ومنها تأولهم في البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثاني ، حتى أخرج الطبري عند ذكر وفاة أبي بكر في حواش سنة ١٣ من الجزء الرابع من تاريخه بالاسناد الى سعيد بن المسيب ، قال لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام يبأبها فنهاهن عن البكاء على أبي بكر فأبين أن ينتهين فقال عمر لهشام بن الوليد ادخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر إني أخرج عليك بيتي فقال عمر لهشام ادخل فقد أدت لك فدخل هشام فأخرج أم فروة اخت أبي بكر الى عمر فعلاها بالدرة فضر بها ضربات فتفرق النوح حين سمعوا ذلك اه - هذا مع ما أخرجه الامام احمد من حديث ابن عباس في صفحة ٣٣٥ من الجزء الأول من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكاء النساء عاليا قال فجعل عمر يضربهن بسوطه فقال النبي دعهن يبكين ، وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي قال فجعل النبي يمسح عين فاطمة بشوبه رحمة لها اه .

وأخرج احمد أيضاً من حديث أبي هريرة في صفحة ٣٣٣ من الجزء الثاني من مسنده حديثاً جاء فيه انه مر على رسول الله جنازة معها بواكي فمهرهن عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : دعهن فان النفس مصابة والعين دامعة .

وأخرج الامام احمد من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من مسنده قال رجع رسول الله من احد فجعلت نساء الانصار يبكين على من قتل من ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ولكن حمزة لا بواكي له (قال) ثم نام فانتبه وهن يبكين حمزة (قال) : فهن اليوم اذا

بكين يندبن حمزة اهـ - وهذا الحديث مستفيض بين المسلمين ، وقد ذكره ابن جرير ، وابن الاثير ، وصاحب العقد الفريد ، وجميع اهل السير والاخبار - وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب نقلا عن الواقدي ، قال لم تبك امرأة من الانصار على ميت بعد قول رسول الله (لكن حمزة لا بواكي له) الى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة - وذكر ابن عبد البر في ترجمة جعفر من استيعابه ، قال : لما جاء النبي « ص » نعي جعفر أتى امرأته اسماء بنت عيسى فعزاها (قال) : ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه فقال رسول الله (ص) على مثل جعفر فلتبك البواكي .

واخرج البخاري في الصفحة الثالثة من ابواب الجنائز من صحيحه انه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على زيد وجعفر ، وذكر ابن عبد البر في ترجمة زيد من استيعابه انه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على جعفر وزيد ، وقال أخواي ومؤنساي ومحدثاي - وبكى على ولده ابراهيم فقال له عبدالرحمن بن عوف (كما في الجزء الاول من صحيح البخاري) وانت يا رسول . قال يا بن عوف انها رحمة ثم اتبعها (يعني عبرته) بأخرى فقال إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون - وقد علم الناس كافة بكاءه على عمه حمزة حتى قال ابن عبد البر في ترجمته من الاستيعاب لما رأى النبي حمزة قتيلا بكى ، فلما رأى ما مثل به شق - وذكر الواقدي (كما في أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلد الثالث من شرح النهج أن النبي (ص) كان يومئذ إذا بكت صفة يبكي ، وإذا نشجت ينشج . قال : وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله - وبكى صلى الله عليه وآله على صبي مات لاحدى بناته . فقال له سعد : (كما في صحيح البخاري ومسلم)

ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء اهـ - الى ما لا يحصى من قبيل هذه الاحاديث المشهورة ، مما لا يمكن استقصاؤه وفي هذا المقدار كفاية .

وأما ما جاء في الصحيحين من أن الميت يعذب ببكاء اهله عليه ، وفي رواية بعض بكاء اهله عليه ، وفي رواية ببكاء الحي ، وفي رواية يعذب في قبره بما نوح عليه ، وفي رواية من يُبك عليه يعذب فانه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل . قال الفاضل النووي (عند ذكر هذه الروايات في باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه من شرح صحيح مسلم) : هذه الروايات كلها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبدالله (قال) وانكرت عائشة عليهما ، ونسبتها الى النسيان والاشتباه واحتجت بقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » - قلت : وانكر هذه الروايات أيضاً ابن عباس واحتج على خطأ راويها ، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما ، وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض حتى ناحت على أبيها يوم مات ، فكان بينها وبين عمر ما قد سمعت ، والتفصيل في رسالتنا (الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة) وفي مقدمة مجالسنا الفاخرة (١) في مآتم العترة الطاهرة .

وللسلف تأولات غير الذي ذكرناه كتأخيرهم مقام ابراهيم الى موضعه اليوم (٢) وكان ملصقاً بالبيت ، وتوسعتهم المسجد الحرام سنة ١٧ للهجرة

(١) المطبوعة سنة ١٣٣٢ . (٢) أخره الخليفة الثاني كما هو

مستفيض عنه ، فراجع صفحة ١١٣ من المجلد الثالث من شرح النهج الحديدي طبع مصر ومادة الديك من حياة الحيوان للفاضل الدميري . وقال ابن سعد في ترجمة عمر من طبقاته ما هذا لفظه : وهو الذي أخر مقام ابراهيم الى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت اهـ - ونقل السيوطي ذلك في احوال عمر من تاريخ الخلفاء .

بإضافة دور جماعة من حوله اليه ، وكانوا أبوا بيعها فهدمها الخليفة الثاني عليهم (١) ووضع أثمانها في بيت المال حتى أخذوها ، وكحكمه على اليمانيين بدية أبي خراش الهذلي الشاعر الصحابي المشهور (٢) إذ باتوا ضيوفاً عنده ، فذهب يستقي لهم فمات من حيلة نهشته في الطريق ، وكفنيه نصر بن الحجاج بن علابط السلمي الى البصرة (٣) إذ تغنت به امرأة في دارها وكان في غاية من الحسن والجمال (٤) وكقضايه المختلفة في ميراث الجد مع الأخوة (٥) حتى رجع الى رأي زيد ابن ثابت الأنصاري .

وكتأوله آية التجسس ، إذ رأى فيه صلاح المملكة ونفع الرعية ، فكان يتجسس نهاراً ويعس ليلاً ، حتى ذكر الغزالي في احياء العلوم (٦) انه سمع وهو يعس بالمدينة صوت رجل يتغنى في بيته فتسور عليه ، فوجد عنده امرأة (١) نص على ذلك جميع ارباب السير كابن الأثير في حوادث تلك السنة من كامله وغيره .

(٢) ذكر هذه القضية ابن عبد البر في ترجمة أبي خراش من كتاب الكنى من الاستيعاب ونقلها عنه الدميري في مادة الحية من كتاب حياة الحيوان .

(٣) هذه القضية مستفيضة فراجع صفحة ٩٩ من المجلد الثالث من شرح ابن أبي الحديد طبع مصر تجد تفصيلها ، وقد ذكرها ابن خلكان في ترجمة نصر بن الحجاج من وفياته تفصيلاً .

(٤) وكفنيه ضييع النيمي الى البصرة أيضاً بعد ضربه الضرب المبرح إذ سأله عن تفسير آية من القرآن في قضية ذكرها ابن أبي الحديد في صفحة ١٢٢ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة .

(٥) روى ذلك طارق بن شهاب الزهري والتفصيل في مادة الحية من حياة الحيوان للدميري .

(٦) في صفحة ١٧٣ من الجزء الثاني المطبوع في هامشه كتاب عوارف المعارف .

وعنده خمر فقال : يا عدو الله أظننت أن الله يترك وأنت على معصيته ؟ فقال : إن كنت عصيتُ الله في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث قال الله ولا تجسوسوا وقد تجسست ، وقال : وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، وقد تسورت عليّ وقال : لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم الآيه ، وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام . فقال عمر (رض) : هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ قال : نعم ، فتركه وخرج ، الى غير ذلك من مصاديق اجتهاداته وموارد تأولاته التي عدل بها عن ظواهر الأدلة حرصاً على توطيد دعائم السياسة وابتغاء لتنظيم شؤونها ، وتقديماً لمصلحة المملكة ، وإيثاراً لتقوية الشوكة من وضعه الخراج على السواد ، وكيفية ترتيبه للجزية وعهده بالشورى على الوجه المعلوم ، وقوله (١) : يومئذ لو كان سالم (ابن معقل مولى أبي حذيفة) حياً استخلفته مع انعقاد الاجماع (٢) نصاً وفتوى على عدم جواز عقد الامامة لمثله ضرورة انه من اهل فارس ، إماماً من اصطرخ أو من كرمد ، استقرته زوجة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكانت من الأنصار .

(١) هذا القول متواتر عنه ، وهو موجود في كامل ابن الأثير وغيره من كتب السير والأخبار حتى صرح ابن عبد البر ، حيث أورد هذه المتالة في ترجمة سالم من استيعابه بأنها عن رأى رآه عمر واجتهاد أدى اليه نظره - وأخرج أحمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من مسنده أنه قال لو أدركني أحد رجلين لو ثق به سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة .

(٢) صرح بانعقاد الإجماع على ذلك جماعة كثيرون ، منهم النووي في أول كتاب الإمارة من شرحه لصحيح مسلم ، ولو راجعت ذلك الكتاب في صحيح مسلم لازددت بصيرة في أئمتك الاثني عشر عليهم السلام .

تأويل

أفادتنا سيرة بعض الصحابة أنهم إنما كانوا يتعبدون بالنصوص ، ويحمدون عليها ، إذا كانت متمحضة للدين ، مختصة بالشؤون الأخروية ، كنصبه صلى الله عليه وآله وسلم ، على صوم شهر رمضان دون غيره واستقبال القبلة في الصلاة لا غيرها ، ونحو ذلك من أوامره ، المتمحضة للنفع الأخروي ، أما ما كان منها متعلقاً بالسياسة ، كالولايات والتأثيرات ، وتدير قواعد الدولة ، وتقرير شؤون المملكة وتسريب الجيش ، فانهم لم يكونوا يرون التعبد به ، والالتزام في جميع الأحوال بالعمل على مقتضاه بل جعلوا لأفكارهم فيه مسرحة للبحث ، ومجالاً للنظر والاجتهاد فكانوا إذا رأوا في خلافه رفعاً لكيانهم أو نفعاً في سلطانهم عدلوا عنه إلى ما يرفعون به كيانهم أو ينتفعون به في سلطانهم - ولذلك عدل هؤلاء في الخلافة عن وليها المنصوص عليه من نبيها فجعلوها للخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم) واحداً بعد واحد ، مع عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها إلى أخيه ووليه ، ووارثه ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. لم يكونوا غائبين عن عهد النبي بها إليه ، ولا جاهلين بنصوصه (١) المتواترة عليه ، وكانت تترى من مبدأ أمره (بأبي وأمي) إلى آخر عمره كما أوضحناه ، في مراجعاتنا الأزهرية وفي سبيل المؤمنين وإنما غلب على ظنهم أن العرب

(١) لم نذكر شيئاً من هذه النصوص هنا ، إكتفاء بمراجعاتنا الأزهرية ومناظراتنا المصرية ، وقد استقصتها بأسانيدنا المعتبرة عند أهل السنة ، وسنطبع تلك المناظرات ، وكل قريب آت إلا أن يشاء الله تعالى .

لا تخضع لعلي ولا ترتضيه مالمالكاً لأزمة الحكم عليها حيث أنه وترها في سبيل الله وسفك دماءها بسيفه في إعلاء كلمة الله ، وكشف القناع منابداً لها في نصرته الحق حتى ظهر أمر الله على رغم كل عات كفور .

فهم لا يطيعونه إلا عنوة ، ولا يخضعون لامامته إلا بالقوة وقد عصبوا به كل دم أراقه الاسلام أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم جرياً على عادتهم في أمثال ذلك ، إذ لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في عشيرته احد يستحق ان تعصب به تلك الدماء عند العرب غيره ، لأنه الأمثل في عشيرته والأفضل في قبيلته ، ولذلك تربصوا به الدوائر ، وقلبوا له الأمور ، واضمروا له ولذريته كل حسيكة ووثبوا عليهم كل وثبة وكان ما كان مما طار في الاجواء وطبق رزؤه الارض والسماء .

وأيضاً فان قريشاً خاصة ، والعرب عامة ، كانت تنقم من علي شدة وطأته على أعداء الله ونكال وقعته فيمن يتعدى حدود الله أو يهتك حرمانه عز وجل وكانت ترهب من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وتحشى عدله في الرعية ، ومساواته بين الناس في كل قضية ولم يكن لها فيه مطمع ولا لأحد عنده هودة ، فالقوي العزيز عنده ضعيف ذليل ، حتى يأخذ منه الحق والضعيف الذليل عنده قوي عزيز حتى يأخذ له بحقه فمتى تخضع الاعراب لمثله ، (وهم أشد كفراً ونفاقاً واجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) « ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » وفيها بظانة لا يألونهم خبالاً .

على أن قريشاً وسائر العرب كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله ، حيث بلغ في علمه وعمله رتبة عند الله ورسوله تقاصر عنها الأقران ،

وترأّجّع عنها الاكفاء ، ونال من الله ورسوله بسوابقه وخصائصه منزلة تشرّب اليها أعناق الأماني وشأوا تنقطع دونه هوادي المطامع وبذلك دبت عقارب الحسد له في قلوب المنافقين واجتمعت على نقض مجده كلمة الفاسقين والناكثين والقاسطين والمارقين فاتخذوا النص ظهرياً وكان لديهم نسياً منسياً .

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر على أن قريشاً وسائر العرب كانوا قد تشوفوا الى تداول الخلافة بين قبائلهم واشترأت الى ذلك أطعاهم فامضوا نياتهم عليه ووجهوا عزائمهم اليه فتصافقوا على تناسي النص وعدم ذكره بالمرّة وتبايعوا على صرف الخلافة من أول ايامها عن واياها المنصوص عليه من نبينا فجعلوها بالاختيار والانتخاب ليكون لكل حي من أحباؤهم أمل في الوصول اليها ولو بعد حين ولو عملوا بالنص فقدموا علياً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خرجت الخلافة من عترته الطاهرة حيث قرنما يوم الغدير وغيره بمحكم الكتاب وجعلها قدوة لأولي الالباب الى يوم الحساب - وما كانت العرب لتصبر على حصر الخلافة في بيت مخصوص بعد أن طمحت اليها الأبصار من كافة قبائلها وحامت عليها النفوس من جميع احيائها .

وقد هزأت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس ومن ألم بتاريخ قريش والعرب في صدر الاسلام يعلم أنهم لم يخضعوا للنبوّة الهاشمية إلا بعد أن تهشموا ولم يبق فيهم من رفق فكيف يرضون باجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم وقد قال الخليفة الثاني لابن عباس في كلام دار بينهما إن قريشاً كرهت أن تجتمع فيكم

النبوة والخلافة فتجحفون على الناس .

والسلف الصالح لم يتسنَّ له أن يقهرهم يومئذٍ على التعبد بالنص فرقاً من انقلابهم إذا قاومهم وخشية من سوء عواقب الاختلاف في تلك الحال وقد ظهر النفاق بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقويت بفقدته شوكة المنافقين وعتت نفوس الكافرين وتضعفت أركان الدين وانخلعت قلوب المسلمين حيث صاروا بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب كاسرة ووحوش ضارية وقد ارتدت طوائف من العرب وهمت بالردة أخرى وعظم قلق السلف الصالح على الاسلام واشتد فرقههم على أمة سيد الأنام فصبروا على مخالفة النص بقيا على المسلمين واحتياطا على الدين - صبروا وفي أعينهم من ذلك قذى وفي حلوهم منه شجى كما قالوا عليهم السلام - وأشفق علي أمير المؤمنين أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس مخافة البائقة وفساد العاجلة والآجلة والقلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا ، يعضون عليهم الأنامل من الغيظ واهل الردة على ما بينا والأنصار قد خانوا المهاجرين ، وانحازوا عنهم يقولون منا أمير ومنكم أمير . و فدعاه النظر للدين إلى الكف عن الاظهار ، والتجافي عن الأمور وعلم أن طلب الخلافة والحال هذه ، يستوجب التغيرير في الدين والخطر بالأمة فاختر الكف ضنا بالدين ، وإيثاراً للآجلة على العاجلة .

غير أنه قعد في بيته (ولم يبايع ، حتى أخرجوه كرهاً) احتفاظاً بحقه ، واحتجاجاً على من عدل عنه ، ولو أسرع إلى البيعة ما تمت له حجة ، ولا سطع له برهان ، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه من إمرة المؤمنين ، فدل ذلك على إصالة رأيه ورجاحة حلمه ، وسعة صدره ، وشدة زهده ، وفرط سماحه ، وقلة حرصه ، - ومتى سخطت نفس امرئ

عن هذا الخطب الجليل والأمر الجزيل ينزل من الله تعالى بغاية منازل الدين ، وإنما كانت غايته مما فعل أربح الحالين له ، وأعود المقصودين عليه .
أما الخليفة الأول وأتباعه رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقد تأولوا النص عليه بالخلافة للأسباب التي قدمناها ، ولا عجب منه في ذلك بعد الذي نبهناك إليه من عدم تعبدكم بما كان من نصوصه صلى الله عليه وآله وسلم ، متعلقاً بالسياسات والتأثيرات وتدير قواعد الدولة وتقرير شؤون المملكة ، وإليك (مضافاً الى ما تلوناه) نبذة من موارد تأولهم تكون نموذجاً لرأيهم في تلك النصوص وحسبك بها أدلة على معذرة التأولين ، وهي كثيرة .

فمنها سرية أسامة بن زيد بن حارثة الى غزو الروم ، وهي آخر السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد اهتم فيها (بأبي وأمي) اهتماماً عظيماً ، فأمر اصحابه بالتهيؤ لها وحضهم على ذلك ، ثم عبأهم بنفسه الزكية إرهافاً لغزائهم واستنهاضاً لهممهم فلم يبق احداً من وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر (١) وأبي عبيدة وسعد وامثالهم (١) اجمع اهل السير والأخبار على أن ابا بكر وعمر (رض) كانا في الجيش ، وارسلا ذلك في كتبهم ارسال المسلمات ، وهذا مما لم يختلفوا فيه ، فراجع ماشرت من الكتب المشتملة على هذه السرية ، كطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري وابن الأثير والسيرة الحلبية والسيرة الدحلانية وغيرها لتعلم ذلك وقد اورد الحلبي حيث ذكر هذه السرية في الجزء الثالث من سيرته - حكاية طريقة نوردها بعين لفظه ، قال إن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي وخلفه اربع مائة من العلماء واصحاب الطيالة ، فقال المهدي ، أف لهذه العشائين - أي للحبي - اما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ، ثم التفت اليه المهدي ، وقال كم سمكت يا فتى فقال سني اطل الله بقاء أمير المؤمنين سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله (ص) جيشاً فيه ابو بكر وعمر - فقال تقدم بارك الله فيك (قال الحلبي) وكان سنه سبع عشرة سنة ا هـ .

إلا وقد عبأه بالجيش (١) وكان ذلك لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة (٢) فلما كان من الغد دعا أسامة ، فقال له سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحاً على اهل أبني (٣) وحرقت عليهم ، وأسرع السير لتسبق الأخبار فان اظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء . وقدم العيون والطلائع معك — فلما كان يوم الثامن والعشرين من صفر ، بدأ به صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت فخم (بأبي وأمي) وصدع ، فلما أصبح يوم التاسع والعشرين ووجدهم مثقلين خرج اليهم فخصهم على السير ، وعقد صلى الله عليه وآله وسلم اللواء لأسامة بيده الشريفة ، تحريكاً لحيتهم وإرهاقاً لعزيمتهم ثم قال اغز بسم الله وفي سبيل الله ، وقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقوداً ، فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف ثم تفاقلوا هناك ، فلم يبرحوا — مع ما وعده ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب إسرعهم كقوله صلى الله عليه وآله وسلم أغز صباحاً على اهل أبني ، وقوله وأسرع السير لتسبق الأخبار ، إلى كثير من امثال هذه الاوامر (١) كان عمر يقول لأسامة مات رسول الله (ص) وانت على أمير نقل ذلك عنه جماعة من الاعلام كالحلبى في سرية أسامة من سيرته الحلبية وغير واحد من المحدثين والمؤرخين .

(٢) هذا بناء على ما صرح به كثير من اعلام السنة كابن سعد في سرية أسامة من طبقاته والحلبى والدحلانى في هذه السرية من سيرتهم ما وقد اعتمدنا في شؤون هذه السرية على هاتين السيرتين .

(٣) أبني بضم الهمزة وسكون الباء ثم نون مفتوحة بعدها الف مقصورة ناحية بالتماء من ارض سوريا بين عسقلان والرملة وهى قرب موة التى استشهد عندها زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب ذو الجناحين فى الجنة عليه السلام .

التي لم يعملوا بها في تلك السرية — وطعن قوم منهم في تأمير أسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه ، وقالوا في ذلك فأكثرُوا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالامارة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له يومئذ فقد وليتكَ هذا الجيش ، ورأوه يعقد له لواء الامارة (وهو محموم) بيد الشريفة فلم يمنعهم ذلك من الطعن في تأميره حتى غضب صلى الله عليه وآله وسلم ، من طعنهم غضباً شديداً فخرج (بأبي وأمي) معصب الرأس (١) مدثراً بقطيفته محمواً ألباً وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول ، قبل وفاته (بأبي وأمي) بيومين (٢) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال (فيما اجمع اهل الأخبار على نقله ، واتفق أولو العلم على صدوره : ايها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة ، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله وأيم الله إن كان خليفاً بالامارة ، وإن ابنه من بعده خليف بها وحضهم على المبادرة الى السير فجعلوا يودعونه يخرجون إلى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل ثم ثقل (بأبي وأمي) في مرضه فجعل يقول جهزوا جيش أسامة أنفذوا جيش أسامة أرسلوا بعث أسامة — يكرر ذلك وهم مشاقلون ، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول

(١) كل من ذكر هذه السرية من المحدثين وأهل السير والأخبار نقل طعنهم في تأمير أسامة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم غضب غضباً شديداً فخرج على الكييفية التي ذكرناها فخطب الخطبة التي أوردناها فراجع سرية أسامة من طبقات ابن سعد وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها من المؤلفات في هذا الموضوع .

(٢) هذا بناء على ما ذكره الحلبي والدحلاني في سيرتيهما ورواه المحدثون من اهل السنة كابن سعد في سرية أسامة من طبقاته وهي في آخر القسم الاول من الجزء الثاني من الطبقات .

دخل أسامة من معسكره على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بالسير قائلاً له اغدُ على بركة الله تعالى فودعه وخرج إلى العسكر ، ثم رجع ومعه عمر وابو عبيدة فانتبهوا إليه (بأبي وأمي) وهو يجود بنفسه فتوفي (روحي وأرواح العالمين له الفداء) في ذلك اليوم (١) فرجع الجيش باللواء إلى المدينة الطيبة - ثم عزموا على الغاء البعث بالمرّة ، وكلوا أبا بكر في ذلك واصرروا عليه غاية الاصرار ، مع ما رأوه بعيونهم من اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في انفاذه وعنايته الثامة في تعجيل إرساله ونصوصه المتوالية في الاسراع به على وجه يسبق الأخبار وبذله الوسع في ذلك منذ عبأه بنفسه وعهد إلى أسامة في أمره وعقد لواءه بيده إلى أن احتضر (بأبي وأمي) فقال إغدُ على بركة الله تعالى كما سمعت ولولا الخليفة لأجمعوا يومئذ على رد البعث وحل اللواء لكانه أباي عليهم ذلك ، فلما رأوا منه العزم على إرسال البعث جاءه عمر بن الخطاب حينئذ يلتمس منه بلسان الأنصار أن يعزل أسامة ويولي غيره — هذا ولم يطل العهد منهم بغضب النبي وانزعاجه من طعنهم في تأمير أسامة ولا بخروجه من بيته بسبب ذلك مجموعاً مألوماً معصباً مدّبراً يرسف في مشيته ورجله لا تكاد تقله مما كان به من لغوب فصعد المنبر وهو يتنفس الصعداء ويعالج البرحاء فقال أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله وإيم الله إن كان خليقاً بالامارة وإن ابنه من بعده خليق بها فأكد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) وهذا أيضاً بناء على ما في سيرتي الحلبي والدحلاني ورواية المحدثين من أهل السنة كابن سعد وغيره والمأثور عندنا أنه توفي « ص » لليلتين بقيتا من صفر .

الحكم بالقسم وإنَّ واسمية الجملة ولام التأكيد ليقنعوا عما كانوا عليه فلم يقلعوا
 لكن الخليفة أبى أن يجيبهم الى عزل أسامة ، كما أبى أن يجيبهم إلى إلغاء البعث ،
 ووثب فأخذ بلحية عمر (١) فقال شككتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتأمرني أن أنزعه — ولما سيروا الجيش
 (وما كادوا يفعلون) خرج اسامة في ثلاثة آلاف مقاتل فيهم ألف فرس (٢)
 وتحلف عنه جماعة ممن عبأهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في جيشه ،
 وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم جهزوا جيش اسامة لعن الله من تحلف عنه (٣)
 وانت تعلم أنهم إنما تثاقفوا عن السير أولاً وتحلفوا عن الجيش أخيراً ،
 ليحكموا قواعد سياستهم ، وقيموا عمدتها ترجيحاً منهم لذلك على
 التباعد بالنص ، حيث رأوه أولى بالمحافظة ، وأحق بالرعاية ، إذ لا يفوت

(١) نقله الحلبي والدحلاني في سيرتيهما وابن جرير الطبري في أحداث سنة ١١
 من تاريخه وغير واحد من اهل الاخبار .

(٢) فشن الغارة على اهل أبى خرق منازلهم وقطع نخلم وأجال الخيل في
 عرصاتهم وقتل من قتل منهم واسر من اسر وقتل يومئذ قاتل ابيه ولم يقتل والحمد
 لله رب العالمين من المسلمين احد وكان اسامة يومئذ على فرس ابيه شعارهم
 يا منصور امت « وهو شعار النبى «ص» يوم بدر » وأسهم للنارس سهمين وللراجل
 سهماً واحداً واخذ لنفسه مثل ذلك .

(٣) ارسل هذه الكلمة ارسل المسلمات جماعة من أعلام الأثبات كالامام ابى
 الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في المقدمة الرابعة من المقدمات التى ذكرها في
 اوائل كتابه الملل والنحل — وأخرجها ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهوى في
 كتاب السقيفة بالاسناد المرفوع الى رسول الله «ص» ونقلها عنه جماعة من اهل
 الاخبار كالعلامة المعتزلي الحنفى في آخر صفحة ٢٠ من المجلد ٢ من شرحه لنهيج
 البلاغة طبع مصر .

البعث بتثاقلهم عن السير ، ولا بتخلف من تخلف منهم عن الجيش — أما الخلافة فانها تنصرف عنهم لا محالة ، إذا انصرفوا إلى الغزوة قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم — وكان (بأبي وأمي) أراد أن تخلو منهم العاصمة ، فيصفوا الأمر من بعده لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب على سكون وطمأنينة ، فاذا رجعوا وقد أبرم عهد الخلافة وأحكم لعليّ عقدها ، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد — وإنما أمر عليهم اسامة وهو ابن سبع عشرة سنة «١» لئلا لأعنة البعض ، وردا لجماح أهل الجمال منهم واحتياطاً على الأمن في المستقبل من نزاع أهل التنافس لو أمر أحدهم كما لا يخفى لكونهم فطنوا إلى كل ما دبر (ص) فطعنوا في تأمير اسامة ، وتثاقلوا عن السير معه فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بربه فهموا حينئذ بالغاء البعث وحل اللواء تارة وب عزل اسامة أخرى ، ثم تخلف كثير منهم عن الجيش كما سمعت فهذه خمسة أمور في هذه السرية لم يتعبدوا فيها بالنصوص الجليلة إيثراً لرأيهم في الأمور السياسية وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبد بنصوصه صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها رزية يوم الخميس ، وهي من الرزايا الفادحة ، والقضايا الثابتة نقلها أهل السير والأخبار ، وأخرجها المحدثون كافة بالطرق المجمع على صحتها وحسبك منها ما أخرجه البخاري ، في باب قول المريض قوموا عني ، من كتاب الرضى من صحيحه «٢» بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

«١» على الأظهر وقيل كان ابن ثمان عشرة سنة وقيل ابن تسع عشرة سنة وقيل ابن عشرين سنة ولا قائل بأن عمره كان أكثر من ذلك .
«٢» راجع صفحة ٥ من الجزء ٤ من الصحيح .

وفي البيت رجال ، فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (ص) هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا (١) بعده فقال عمر : إن النبي قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (ص) ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قوموا قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، من اختلافهم ولغظهم — اهـ .

وهذا الحديث مما لا كلام في صحته وقد أورده البخاري في كتاب العلم ايضاً من صحيحه (٢) ، وفي مواضع أخر يعرفها المتتبعون . وأخرجه مسلم في آخر الوصية من صحيحه (٣) ورواه أحمد من حديث ابن عباس في مسنده (٤) وسأر الحديثين ، وقد تصرفوا فيه إذ نقلوه بالمعنى ولفظه الثابت عن عمر رضي الله عنه ، إن النبي يهجر لكتبتهم ذكروا أنه قال ، إن النبي قد غلب عليه الوجد ، تهذيباً للعبارة ، وتقليلاً لما يستهجن منها ويدل على ذلك ، ما أخرجه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة (٥) بالاسناد إلى عبد الله بن عباس ، قال لما حضرت رسول الله الوفاة ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال رسول الله (ص) ائتوني بدواة وصحيفة اكتب كتاباً لا تضلوا بعده (قال) فقال

(١) بحذف النون مجزوماً لكونه جواباً ثانياً لهم

(٢) في صفحة ٢٢ من جزئه الأول

(٣) في صفحة ١٤ من جزئه الثاني

(٤) راجع صفحة ٣٢ من جزئه الأول

(٥) كما في صفحة ٢٠ من المجلد الثاني من شرح النهج للعلامة المعتزلي طبع مصر

عمر كلمة معناها أن الوجد قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال عندنا القرآن ، حسبنا كتاب الله فاختلف من في البيت واختصموا فمن قائل قربوا يكتب لكم النبي ومن قائل ما قال عمر ، فلما كثروا اللغط واللغو والاختلاف ، غضب صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال قوموا . الحديث .

وتراه صريحاً بأنهم إنما نقلوا معارضة عمر بالمعنى لا بعين لفظه — ويدللك على هذا أيضاً ، أن المحدثين حيث لم يصرحوا باسم المعارض يومئذ لرسول الله (ص) نقلوا الحديث بعين لفظه — قال البخاري في باب جوائز الوفد ، من كتاب الجهاد والسير من صحيحه (١) حدثنا قبيصة ، حدثنا ابن عيينة عن سلمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال اشتد برسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » وجعه يوم الخميس ، فقال ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً فتنزعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا هجر رسول الله (ص) قال : دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعونني اليه ، (قال) واوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم (قال) ونسيت الثالثة (٢) — وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً ، في آخر كتاب الوصية من صحيحه واحمد من حديث ابن عباس في مسنده (٣) ونقله كافة المحدثين .

(١) في صفحة ١١٨ من جزئه الثاني

(٢) الثالثة ليست الا الأمر الذي أراد - بأبي وأمي - أن يكتبه حفظاً لهم من الضلال ، فصدّره عن كتابته ، وهو العهد لعلي بالخلافة من بعده لكن السياسة في تلك الاوقات اضطرت رواة الحديث الى القول بأنهم قد نسوا ذلك فانا لله وإنا اليه راجعون .

(٣) راجع صفحة ٢٢٢ من جزئه الأول

وأخرج مسلم في كتاب الوصية ، من الصحيح عن سعيد بن جبير ، من طريق آخر ، عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال : قال رسول الله «ص» اتوني بالكشف والدواة ، أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا إن رسول الله «ص» يهجر اهـ «١» — ومن ألم بمجموع ما حول هذه الرزية من الأحاديث يعلم أن أول من قال يومئذٍ هجر رسول الله «ص» إنما هو الخليفة الثاني رضي الله عنه ، ثم نسج على منواله من الحاضرين من كانوا يرون رأيه ، ويؤثرون هواه كما يدل عليه الحديث الأول الذي رواه البخاري بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وقد سمعت قول ابن عباس فيه ، فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر .

وكيف كان فانهم لم يتعبدوا هنا بنصه الذي لو تعبدوا به لأمنوا من الضلال بل لم يكتفوا بعدم الامتثال لأمره ، حتى ردوا عليه بقولهم حسبنا كتاب الله ، كما يزيف احداً رأي الآخر كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم بمكان كتاب الله منهم ، أو أنهم أعلم منه بخواص كتاب الله وفوائده وليتهم اكتفوا بهذا كله ولم يفاجئوه بكلمتهم تلك وهو محتضر « بأبي وأمي » بينهم وأي كلمة كانت منهم وداعاً له صلى الله عليه وآله وسلم — وكانهم « حيث لم يأخذوا بهذا النص ! كسقاء منهم بكتاب الله على ما زعموا » لم يسمعوا هتاف الكتاب آناء

«١» وأخرج هذا الحديث بهذه الألفاظ أحمد في صفحة ٣٥٥ من الجزء الأول

من مسنده وغير واحد من الأثبات .

الليل وأطراف النهار في انديتهم قائلًا « وما آتاكم الرسولوا فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وكأنهم « حيث قالوا كلمتهم تلك » لم يقرأوا قوله تعالى « إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مسكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون » وقوله عز من قائل « إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين » وقوله سبحانه وتعالى « ماض صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى » الى كثير من هذه الآيات المحكمة ، المنصوص فيها على عصمة قوله من الهجر « صلى الله عليه وآله وسلم » على أن العقل يستقل بذلك ويحكم جازمًا به كما لا يخفى على أولي الأبواب ، لكن القوم علموا أنه صلى الله عليه وآله وسلم يريد توثيق العهد الى علي بالخلافة وتأكيده النص بها عليه خاصة وعلى الأئمة من عترته عامة ، احتياطًا على أمته ، ومبالغة في النصح لها واهتمامًا في شأن خلفائه بتسجيل عهده اليهم بالخلافة خطأ بعد أن أعلنه قولًا وفعلاً فصدوه عن هذه المهمة بكلماتهم هذه ، كما اعترف به الخليفة الثاني في كلام دارينيه وبين ابن عباس « ١ » وأنت « هداك الله » إذا تأملت في قوله (ص) اثنتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده وقوله في حديث الثقلين إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي تعلم أن الرمي في الحديثين واحد وأنه (ص) إنما أراد في مرضه (بأبي وأمي) أن يكتب لهم تفصيل ما اوجبه عليهم في حديث الثقلين = وإنما عدل عن ذلك لأن كلمتهم التي فاجأوه

« ١ » راجع الجزء ١٢ من شرح النهج الحديدي تجد ذلك في السطر ٢٧ من

بها اضطرتة الى العدول ، إذ لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى اختلاف الأمة من بعده في أنه هجر فيما كتبه فيه (والعياذ بالله) أو لم يهجر ، كما اختلفوا في ذلك ، فاختصموا واكثروا اللغط نصب عينيه ، فلم يتسنَّ له يومئذ أكثر من طردهم من مجلسه ، فقال قوموا عني كما سمعت - ولواصر فكتب الكتاب للجوا في قولهم هجر ولأوغل اشياهم في إثبات هجره (والعياذ بالله) فسطروا به اساطيرهم وملاؤا منه طواميرهم رداً على علي وشيعته إذا احتجوا بذلك الكتاب لهذا اقتضت حكمته البالغة ، أن يضرب صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك الكتاب صنحا لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم بابا الى الطعن في نبوته (نستجير بالله) وقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم أن أولياء علي خاضعون لخلافته ، كتب ذلك الكتاب أولم يكتب وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبره لو كتب فالحكمة والحال هذه توجب تركه اذ لا أثر له ، بعد تلك المعارضة سوى وقوع الفتنة كما لا يخفى - ومن تأمل احوالهم زمن النبي (ص) فضلاً عن ايام خلافتهم علم أنهم كانوا كما نبهناك اليه .

ألا تراه ، يوم تبوك كيف انكروا إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يومئذ) بنحر إبلهم وأكل لحومها إذ أملقوا في تلك الغزوة وجاعوا فانكر عمر (رضي الله عنه) ذلك وقال : ما بقاؤكم بعد ابلكم والقضية ثابتة معروفة ، اخرجها البخاري في باب حمل الزاد في الغزو من كتاب الجهاد والسير ، من الجزء الأول من صحيحه ، ورواها سائر الحديثين .

وانكروا عليه صلح الحديبية ، بتلك العبارات المزعجة ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم مأموراً به والحكمة كانت فيه بالغة ، إذ دخل

بسببه في الدين اضعاف ما دخل فيه قبل ذلك ، فكان في الواقع فتحاً مبيناً (١) ونصراً عزيزاً ، بيد ان ابا حفص (رضي الله عنه) لم يدرك يؤمئذ حكمته واعتقده خطة خسف ، فأنكره جهرة وصادر به علانية والقضية مشهورة وحسبك منها ما اخرج به مسلم في باب صلح الحديبية من الجزء الأول من صحيحه ، ان عمر بن الخطاب قال يومئذ ، ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال رسول الله (ص) بلى ، قال : اليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال بلى ، قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال (ص) يا ابن الخطاب إني رسول الله ، ولن يضيعني الله ابدا قال فانطلق عمر « رض » فلم يصبر متغيضا ، فأتي ابا بكر « رضي الله عنه » فقال يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال بلى ، قال اليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال بلى ، قال فعلى م نعطي الدنية في ديننا ، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله ابدا الحديث . واخرجه غير واحد من المحدثين بلهجة أشد مما سمعت — وأخرج البخاري في آخر كتاب الشروط « ٢ » من صحيحه ، حديثاً جاء فيه أن عمر « رض » قال فقلت ألسنت نبي الله حقاً ؟ قال بلى ، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ، قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذن قال « ص » إني رسول الله ولست

« ١ » وفيه انزل الله تعالى إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً عن الشعبي وغيره كما في الكشف وغيره وعن موسى بن عقبة (كما في الكشف ايضاً) اقبل رسول الله (ص) من الحديبية راجعاً فقال رجل من اصحابه ، ما هذا بفتح ، لقد صدونا ، عن البيت وصد هدينا ، فبلغ النبي « ص » ذلك ، فقال بئس الكلام هذا : بل هو اعظم الفتوح الحديث .

أعصيه وهو ناصري ، قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ، قال بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام ، قلت لا قال فانك آتية ومطوف به ، قال فأتيت أبا بكر ، فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا ؟ قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال ؟ بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذن قال ايها الرجل إنه لرسول الله ، وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بعرزه (١) فوالله إنه على الحق فقلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتية ومطوف به (قال) عمر (رض) فعملت لذلك عمالا (٢) قال فلما فرغ (رسول الله «ص») من قضية الكتاب (الذي كتبه يومئذ في الصلح) قال صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ، ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات : الحديث — واخرجه الإمام احمد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسنده (٣) — وذكر الحلي في غزوة الحديبية من سيرته (٤) أن عمر «رض» جعل يردد على رسول الله «ص» الكلام ، فقال له ابو عبيدة بن الجراح ، ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله «ص» يقول ما يقول ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال الحلي وقال رسول الله (ص)

(١) الغرز ركاب من جلد يضع الراكب رجلاه فيه ، فيكون المعنى اعتلق به ، وأمسكه واتبع قوله وفعله ولا تخالفه فاستمرار له الغرز كالذي يمسك بركاب الركاب ويسير بسيره — وفي القاموس غرز كسمع اطاع السلطان بعد عصيان وعلى هذا فنفظ غرزه هنا مصدر غرز فيكون المعنى استمسك بطاعته بعد العصيان .
(٢) لا تخفى دلالة كلمته هذه على أن أعماله كانت عظيمة وبسببها لم يمتثلوا أمره اياهم بالانحر حتى أمرهم بذلك ثلاثا كما ستسمعه في الأصل .

(٣) راجع آخر الصفحة ٢٣٠ من جزئه الرابع (٤) في الصفحة ١٩ من الجزء ٣

يومئذ يا عمر إني رضيتُ وتأنى — ونقل الحلبي وغيره أن عمر (رض) كان بعد ذلك يقول : ما زلت اصوم واتصدق واصلي واعتق ، مخافة كلامي الذي تكلمت به الى آخر ما هو ماثور عنه في هذه القضية .

وانكر رضي الله عنه يوم بدر ، اخذ الفداء من الأسرى واطلاق سراحهم وكان من رأيه ، أن يعمد حمزة الى اخيه العباس فيقتله ، ويأخذ علي أخاه عقيلا فيقتله ، وهكذا كل مسلم له قرابة في أسرى المشركين يقتله بيده ، حتى لا يبقى منهم احد فأعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الرأي ، تعبدا بالوحي الموافق للرحمة والحكمة (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى) لكن الجاهلين بعصمته وحكمته (لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما) كان الحق في هذه الواقعة مع عمر (رض) ، معتمدين في ذلك على أحاديث اختلقها بعض المنافقين من اعداء الله ورسوله (ما أنزل الله بها من سلطان) « فما قدروا الله حق قدره » وقد أمعنوا في التيه وأوغلوا في الجهل ، وتسكعوا في تفسير قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يشخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) حيث اشتبهت عليهم في هذه الآية معالم القصد ، وعميت لديهم فيها وجوه الرشد ، فقالوا بنزولها في التنديد برسول الله (ص) واصحابه ، حيث آثروا (بزعم هؤلاء الجهلاء) عرض الدنيا على الآخرة ، فاتخذوا الأسرى واخذوا منهم الفداء قبل ان يشخنوا في الارض ، وزعموا انه لم يسلم يومئذ من الخطيئة إلا عمر رضي الله عنه ، وأنه لو نزل العذاب لم يقلت منه إلا ابن الخطاب ورووا في ذلك من الروايات الموضوعة ما شاء جهلهم ، واقتضاه

نفاق الواضعين وعداوتهم .

و كذب من زعم أنه (ص) اتخذ الأسرى واخذ منهم الفداء ، قبل أن يشخن في الارض فانه (بأبي وأمي) إنما فعل ذلك بعد أن أئخن في الارض ، وقتل صناديد قریش وطواغيتها . كأبي جهل . وعتبة . وشيبة . والوليد . وحنظلة الى سبعين من رؤس الكفر ، وزعماء الضلال ، كما هو معلوم بالضرورة الأولية ، فكيف يمكن بعد هذا أن يتناوله (صلى الله عليه وآله وسلم) اللوم المذكور في الآية ، (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) .

والصواب أن الآية إنما نزلت في التنديد بالذين كانوا يودون العير واصحابه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله في هذه الواقعة عز من قائل (واذا يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد استشار اصحابه ، فقال لهم (١) إن القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول ، فما تقولون — العير أحب اليكم ، أم النفير ؟ قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو وقال بعضهم حين رآه (ص) مصراً على القتال : هلا ذكرت لنا القتال لنتأهب له إنا خرجنا للعير لا للقتال فتغير وجه رسول الله (ص) فأنزل الله تعالى : (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون يحادلونك في الحق بعدماتين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) وحيث اراد الله عز وجل أن يقنعهم بمعذرة النبي (ص) في اصراره على القتال وعدم مبالاة بالعير وأصحابه قال

(١) كما في السيرتين الحلبية والدحلانية وغيرهما من الكتب المشتملة على ذكر

هذه الواقعة .

عز من قائل (ما كان لنبي) من الأنبياء المرسلين قبل نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ان يكون له أسرى حتى يشخن في الارض) فنبيكم لا يكون له اسرى ، حتى يشخن في الارض على سنن غيره من الأنبياء (عليهم السلام) ، ولذلك لم يبال إذ فاته اسر أبي سفيان واصحابه ، حين هربوا بعيرهم الى مكة ، لكنكم انتم (تريدون) اذ تودون اخذ العير ، واسر اصحابه (عرض الدنيا والله يريد الآخرة) باستئصال ذات الشوكة من اعدائه (والله عزيز حكيم) والعزة والحكمة تقتضيان يومئذ اجتثاث عز العدو واطفاء جمرته ، ثم قال تنديداً بهم وتهديداً لهم (لولا كتاب من الله سبق) في علمه الأزلي بأن يمنعكم من اخذ العير واسر اصحابه ، لأسرتم القوم واخذتم عيرهم ، ولو فعلتم ذلك (لمسكم فيما اخذتم) قبل أن تشخنوا في الارض (عذاب عظيم) هذا معنى الآية الكريمة « ١ » وحاشا لله ان يريد منها ما ذكره أولئك الجهلاء .

بقي هنا امر نذبيك اليه ، لتكون على يقين بمعذرة التأولين ، وهو ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لأصحابه « ٢ » (يوم التقى الجمعان في بدر) قد عرفت رجالاً من بني هاشم وغيرهم أخرجوا إكراها ، فمن لقي منكم احداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فانه أخرج كرها — نهى عن قتل بني هاشم عموماً ، وعن قتل العباس منهم بالخصوص ، حين كانوا في ساحة القتال لكونهم مكروهين على ذلك ، فالعجب ممن اقترح

« ١ » ويجوز ان يكون المعنى « لولا كتاب من الله سبق » في علمه الأزلي بأن لا يعذبكم والنبي فيكم كما صرحت به محكمات الفرقان « لمسكم فيما اخذتم » به من الرأي والعزم في شأن العير واصحابه « عذاب عظيم » .

« ٢ » كما في تاريخي ابن جرير وابن الاثير وسيرتي الدحلاني والهامي وغيرها .

بعدها عليه (بأبي هو وأمي) أن يُقتل العباس وعقيلًا، بيدي أخويهما حمزة وعلي
 فهل هذا من مظاهر رفقه بالنبي وأهل بيته (ص)، أو من موارد تعبد بنصوصه
 المقدسة؟! كلا بل هو من الشواهد على أنه كان يؤثر رأيه على التعبد بها كما لا يخفى
 وقد استاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من نهبي النبي (ص)، عن قتل
 العباس، وسائر بني هاشم حتى قال (كما في تاريخي ابن الأثير وابن جرير
 وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها) أتقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا، ونترك العباس،
 والله لئن لقيته لألجئته بالسيف فبلغ النبي ذلك، فقال لعمر رضي الله عنه، يا أبا
 حفص أما تسمع قول أبي حذيفة، أ يضرب وجه عم رسول الله بالسيف —
 فانظر كيف استنجد له للدفاع عن عمه، وأعجب من اقتراحه بعد ذلك عليه قتله —
 وقد ذكر المؤرخون كافة أنه لما أمسى العباس مأسوراً، بات رسول الله (بأبي
 هو وأمي) ساهراً، فقال له أصحابه يا رسول الله مالك لا تنام؟ فقال سمعت
 تصور العباس في وثاقه فمنع مني النوم، فقاموا إليه فأطلقوه فنام رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم — وان رحمته (ص) للعالمين ورأفته بالمؤمنين واشفاقه على
 عشيرته الأقربين، وخصوصاً على أبي الفضل صمو أبيه، والبقية من أهليه لما هو
 غني عن البيان ومن ذا يحبل حرصه يومئذ على سلامتهم ورغبته التامة في بقائهم
 ليفوزوا بعد ذلك بخدمته وكانوا في الواقع مؤمنين، لكنهم لم يتمكنوا من
 الهجرة إليه فأكروهوا على الخروج كما نص عليه النبي (ص) فاقتراح قتلهم،
 والحال هذه اكبر شاهد على أنهم كانوا يؤثرون إراداتهم في مثل هذا المقام على
 التعبد بإرادته وأوامره عليه وآله الصلاة والسلام.

ولهم في أحد حالات تشهد بما قلناه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم ، قد استقبل المدينة في هذه الغزوة وترك أحداً خلف ظهره وجعل الرماة وراءه وكانوا خمسين رجلاً امر عليهم عبد الله بن جبير رحمه الله وقال له (فيما نص عليه المحدثون والمؤرخون كافة) إنضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت «١» مكانك إن كانت لنا أو علينا وحضهم على ذلك بما لا مزيد عليه وشدد عليهم الأمر في طاعة أميرهم عبد الله — لكنهم (وأأسفاه) لم يتعبدوا يومئذ بأوامره ونواهيهِ (ص) ، ترجيحاً لأرائهم عليها وذلك حيث حمي الوطيس ، واشتد بأس المسلمين بسطوة حيدرة الكرار على فيالق المشركين ، وصولته على أصحاب لوائهم وهم ثمانية من بني عبد الدار ، كانوا أسود الوقائع واحلاس الخيل وتأسعهم عبدهم صواب كان من طينتهم وعلى شاكلتهم فقتلهم أمير المؤمنين «٢» واحداً بعد واحد وبقي لوائهم مطروحاً على الأرض لا يدنو منه أحد فانكشف الكفار حينئذ عن المسلمين هاربين على غير انتظام ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون ما تركوه من أسلحة وامتعة وذخائر ومؤون ، فلما نظر الرماة إلى المسلمين وقد اكسبوا على الغنائم دفعهم الطمع في النهب إلى مفارقة محلبهم «٣» الذي أمروا أن لا يفارقوه فنباهم أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ، فلم ينتهوا وقالوا ما مقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون فقال عبد الله «٤» والله لا أجاوز

«١» راجع تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما تجد قوله - ص - هذا بعينه وكل من أرخ وقعة أحد ذكره أو أشار إليه .

«٢» نص ابن الأثير في غزوة أحد من كامله ، على أن الذي قتل أصحاب اللواء يومئذ علي بن أبي طالب وصرح بذلك غير واحد من المؤرخين والمحدثين .

«٣» كما في غزوة أحد من تاريخ ابن الأثير وغيره من سائر كتب السير والأخبار

«٤» كما في تاريخ ابن الأثير وغيره .

امر رسول الله (ص) وثبت مكانه مع اقل من عشرة فنظر خالد بن الوليد الحزومي الى قلة من في الجبل من الرماة فسكر بالخييل عليهم «١» ومعه عكرمة بن ابي جهل ، فقتلوه ومثلوا بعبد الله بن جبير فأخرجوا حشوة بطنه وهجموا على المسلمين وهم غافلون وتنادوا بشعارهم يا للعزى يا لهبل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون فكان البلاء وقتل حمزة سيد الشهداء وسبعون من صناديد المهاجرين والانصار واصيب النبي (بأبي وأبي) بجروح يقرح القلوب ذكرها ، ويهيج الأحزان بيانها فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وإنما كان هذا البلاء كله بعدم تعبدكم بأوامره ونواهيه المقدسه عفا الله تعالى عنهم .

ولهم ثمة واقعة ثانية قدموا فيها رأيهم ايضا ، وهي اعظم من الأولى وذلك أنه لما اشتد البلاء بهجوم خالد على المسلمين تركوا سيد الانبياء بين أولئك الاعداء ، واسلموه لأحقادهم البدرية وضغائنهم الكفرية وفروا مصعدين لا يلبون على احد والرسول يدعوهم في أخرامهم فلا يلبون كما حكاه الله عز وجل حيث يقول «٢» (إذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في أخرامكم فأتائبكم غمًا بغم) ولم يثبت معه إلا نفر يسير لا يزيدون على اربعة عشر رجلاً «٣» يحمل لواءهم علي بن ابي طالب «٤» وله ثمة مواقف شكرها الله له ورسوله وجبريل والمؤمنون ،

«١» صرح بهذا كل من أرخ عزوة أحد فراجع ما شئت من كتب السير والأخبار
«٢» أجمع المفسرون والمحدثون والمؤرخون على نزول هذه الآية في هذه الواقعة
«٣» كما في تاريخ ابن الأثير وغيره

«٤» لا كلام في أن حامل لواء المسلمين يوم أحد إنما كان أولاً مصعب بن عمير فلما استشهد رحمه الله حملة علي بانفاق اهل الاخبار ولم يزل يومئذ حاملاً له حتى انتهى القتال .

حيث قام في نصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ساقه وشد لها حيازيمه فحمل على جموع الأعداء حملته العظيمة فكشفهم عن النبي وقد أثنى (بأبي وأمي) فجعل تارة يدافع عنه الأعداء وأخرى ينقل له الماء من المهراس في درقته فيغسل جرحه « ١ » وجعل صلى الله عليه وآله وسلم كلما أبصر جماعة من الأعداء يقول اكنفنيهم يا علي « ٢ » فيشد عليهم بسيفه فلا يرجع حتى يفرق شملهم ويمزق جمعهم وقد عجبت بذلك ملائكة السماء من مواساته فقال جبرائيل عليه السلام « ٣ » يا رسول الله هذه المواساة فقال « ص » إنه مني وأنا منه فقال جبرائيل عليه السلام وأنا منكم كما سمعوا حينئذ مناديا ينادي لا سيف إلا ذو الفقار « ٤ » ولا فتى إلا علي — شطبنا القلم عن المقصود فلنعد إليه فنقل : إن القوم اساموا رسول الله « ص » واوغلوا في الهرب حتى قال المحدثون والمؤرخون واللفظ لابن الأثير في كامله : قد انتهت الهزيمة بجماعة المسلمين وفيهم عثمان بن عفان وغيره الى الاحوص فأقاموا به ثلاثاً ثم أتوا النبي « ص » فقال لهم حين رآهم : لقد ذهبتم فيها عريضة — هذا مع ما سمعوه من النواهي الصريحة في تحريم ذلك وسبك منها قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحماً فلا تولوهم الأدبار » الآية

« ١ » كل من أرخ غزوة احد من الأولين والآخرين ذكر نقل علي الماء من المهراس بدرقته الى رسول الله « ص » فراجع

« ٢ » راجع غزوة أحد من تاريخ ابن الأثير وغيره

« ٣ » كما في تاريخ ابن الأثير وابن جرير وسيرتي الحبشي والدحلاني وغيرها

« ٤ » راجع غزوة أحد من تاريخ ابن جرير وابن الأثير والسيرة الحلبية

وغيرها تجد هذا النداء

وهناك نص آخر عدل البعض عن العمل به ايضا ، وذلك انه لما اشتد البلاء ، وعظم الخطب بفرار المسلمين ارهف المشركون لقتل رسول الله (ص) غرار عزمهم وارصدوا لذلك جميع اهلهم فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك ، كانوا كالفدائية في هذا السبيل وهم عبد الله بن شهاب الزهري ، وعتبة بن ابي وقاص وابن قاة الليثي وأبي بن خلف وعبد الله بن حميد الاسدي القرشي ، لعنهم الله واخزاهم فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميمونة واما عتبة فرماه (تبت يداه) بأربعة أحجار فكسر ربايعيته وشق شفته واما ابن قاة (قاتله الله) فكلم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها ، وعلاه بالسيف (شات يداه) فلم يطق أن يقطع فسقط (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الارض واما أبي بن خلف فشد عليه بحريته فأخذها رسول الله منه وقتله بها ، وأما عبد الله بن حميد فقتله أبو دجانة الانصاري ، شكر الله سعيه واعلا في الجنان مقامه فانه ممن أبلى يومئذ بلاء حسنا ثم حمل ابن قاة على مصعب بن عمير وهو يظنه رسول الله (ص) فقتله ورجع الى قريش يبشرهم بقتل محمد فجعل الناس يقولون قتل محمد قتل محمد فاحلعت قلوب المسلمين جزعا ، وكادت نفوسهم أن تزهق هلعاً واوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين لا يرتابون في قتل رسول الله (ص) وقد سقط في ايديهم وكان أول من عرف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حي ، كعب بن مالك ، قال (١) فناديت يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسو الله حي لم يقتل فأشار اليه النبي (ص) أن انصت مخافة ان يسمعه العدو فيشب عليه ، فسكت الرجل ثم اشرف ابو سفيان على المسلمين فقال أفي القوم محمد ، فقال

(١) كما في غزوة احد من تاريخ ابن الاثير وغيره

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجيبوه (١) مخافة أن يعرف أنه حي فيشد عليه بمن معه من اعداء الله ورسوله ، ثم نادى أنشدك الله يا عمر اقتلنا محمدا ، فقال عمر (٢) اللهم لا وإنه والله ليسمع كلامك ، فقال أبو سفيان انت اصدق من ابن قامة — وانت تراه قد أجاب ابا سفيان مع نبيه (ص) اياهم عن جوابه وما ذاك إلا لكونه متأولا وحسبك بهذا دليلا على معذرة المتأولين .

وانكر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات المنافق ابن ابي حيث جاء ابنه فقال يا رسول الله أعطني قميصك اكفنه فيه ، وصل عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه وقال إذا فرغت منه فأذنا ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم ، حينئذ قد نهى عن الصلاة على المنافقين (٣) وكانت الحكمة فيما فعله (ص) بالغة وقد قيل له (ص) (٤) لم وجهت قميصك اليه يكفن فيه ، فقال إن قميحي ان تغني عنه من الله شيئا ، واني أومل أن يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير فروي أنه أسلم بهذا السبب الف من الخزرج (٥) ولكن عمر رضي الله عنه لم يدرك الحكمة

(١) كما في غزوة احد من تاريخي ابن الاثير وابن جرير ومن طبقات ابن سعد ومن السيرتين الحلبية والدحلانية وسائر الكتب المشتملة على هذه الغزوة .

(٢) فيما رواه عنه كل من أرخ غزوة أحد ، كابن سعد في طبقاته وابن جرير وابن الاثير وسائر اهل السير والأخبار .

(٣) فيما رواه اصحابنا عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) ونقله صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وجابر وقتادة .

(٤) في رواية ذكرها صاحب مجمع البيان في تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ﴾ من سورة النوبة .

(٥) نقل الامام الطبرسي هذه الرواية في تفسير الآية من مجمع البيان عن الزجاج

منعهم أبا هريرة أن يفعل ما أمر به وعدم قتلهم من أمروا بقتله ١٠٧

فما فعله رسول الله (ص) فأنكر عليه فعله حتى جذبه بردائه وهو واقف للصلاة عليه والقضية ثابتة أخرجها البخاري في الصفحة الثانية من كتاب اللباس من صحيحه «١» ورواها كافة محدثي السنة ومؤرخيهم وقد بلغت الفحة هنا بعض الجاهلين ، مبلغاً لا يليق بنبي دين ، والاولى بفصولنا الاعراض عن فضولهم .

وانكر عليه أمره صلى الله عليه وآله وسلم ، أبا هريرة أن يبشر بالجنة كل من لقيه من اهل التوحيد حيث اقتضت الحكمة يومئذ تنشيط الموحدين وتشويق الناس الى التوحيد وترغيبهم في الاسلام بتسهيل الأمر عليهم وكانت الحاجة في تلك الأوقات الى ذلك شديدة فأنكر عمر ذلك ، وضرب أبا هريرة (وهو رسول النبي «ص» ردعاً له عن اداء ما أمره به رسول الله ص) ضربة خراً بها الى الارض والقضية ثابتة ، فراجعها في صحيح مسلم «٢» .

وترك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قتل رجل أمرهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله واخبرهم أنه لو قتل ما اختلف بعده اثنان ، في قضية مستفيضة ، أخرجها المحدثون بأسانيدهم المعتبرة ونقاها اهل السير والأخبار — وحسبك منها ما اخرج به الامام احمد بن حنبل في صفحة ١٥ من الجزء الثالث من مسنده ، من حديث ابي سعيد الخدري ، قال ان أبا بكر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا ، فاذا رجل متخضع حسن الهيئة يصلي

«١» في اول صفحة ١٨ من جزئه الرابع

«٢» في باب من اتى الله بالايمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار

وهو في أوائل الجزء الأول من الصحيح

فقال له النبي (ص) اذهب اليه فاقتله ، قال فذهب اليه ابو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله فرجع الى رسول الله (ص) قال فقال النبي (ص) لعمر اذهب فاقتله فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه ابو بكر قال فكره أن يقتله قال فرجع ، فقال يا رسول الله إني رأيته يصلي متخشعاً فكرهت أن اقتله قال يا علي اذهب فاقتله قال فذهب علي فلم يره ، فرجع علي فقال يا رسول الله إنه لم يره ، قال فقال النبي (ص) ان هذا واصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه ، فاقتلوهم : هم شر البرية اهـ .

واخرج ابو يعلى في مسنده (كما في ترجمة ذي الشدية من اصابة ابن حجر) عن أنس قال كان في عهد رسول الله رجل يعجبنا تعبداه واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته ، فلم يعرفه فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل ، قلنا هو هذا قال إنكم لتتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان ، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنشدك الله ، هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني ، أو خير مني ، قال اللهم نعم ثم دخل يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يقتل الرجل فقال ابو بكر انا ، فدخل عليه فوجده يصلي ، فقال سبحان الله اقتل رجلاً يصلي؟! فخرج فقال رسول الله (ص) ما فعلت قال كرهت أن اقتله وهو يصلي ، وانت قد نهيت عن قتل المصلين قال من يقتل الرجل ؟ قال عمر انا فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر — ابو بكر افضل مني ، فخرج فقال له النبي صلى

الله عليه وآله وسلم مهيم ، قال وجدته واضعا جيبته لله ، فكرهت أن اقتله فقال من يقتل الرجل ، فقال علي أنا فقال (ص) انت إن ادركته فدخل عليه فوجده قد خرج ، فرجع الى رسول الله (ص) فقال مهيم قال وجدته قد خرج قال لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان ، الحديث ، واخرجه الحافظ محمد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من تفاسير يعقوب بن سفيان ومقاتل بن سليمان ويوسف القطان ، والقاسم بن سلام . ومقاتل بن حيان . وعلي بن حرب والسدي . ومجاهد . وقتادة . ووكيعة . وابن جريح — وارسله ارسال المسلمات جماعة من الأثبات . كابن عبد ربه الاندلسي . عند انتهائه الى القول في اصحاب الاهواء من الجزء الأول من عقده الفريد ، وقد جاء في آخر ما حكاه في هذه القضية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال إن هذا لأول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنا ، إن بني اسرائيل افرقت اثنين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفرق ثلاثا وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة (١) واحدة اهـ .

وقريب من هذه القضية ما أخرجه الامام احمد ، من حديث علي (في صفحة ١٥٥ من مسنده) قال جاء النبي (ص) ، أناس من قریش فقالوا يا محمد إنا جيرانك وحلفائك ، وإن ناسا من عبيدنا قد أتوك ، ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه إنما فروا من ضياعنا واموالنا ، فأرددهم إلينا ، فقال لأبي بكر ما تقول قال صدقوا إنهم جيرانك قال فتغير وجه النبي (ص) ثم قال لعمر ما تقول ، قال صدقوا إنهم لجيرانك وحلفائك

(١) فرقة وشيعة لفظان « بحساب الجمل » مترادفان لأن كلا منهما ٣٨٥ وهذا

كما تتفأل به تلك الفرقة

فتغير وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان بعضهم يلزمه في الصدقات قال الله تعالى (ومنهم من يلزمك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) واخرج البخاري (١) عن عبد الله بن مسعود قال قسم النبي (ص) قسمة ، كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار ، والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله ، قلت أما أنا لأقولن للنبي (ص) ، فأتيته وهو في أصحابه فساررتة فشق ذلك على النبي (ص) وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم أكن اخبرته ثم قال قد أؤذي موسى (ع) بأكثر من ذلك فصبر اه .

واخرج البخاري ايضاً (٢) عن عبد الله ، قال لما كان يوم حنين أثر النبي (ص) أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل ، واعطى عيينة مثل ذلك ، واعطى أناساً من اشراف العرب فأثرهم في القسمة (تأليفاً لقلوبهم وقلوب عشائهم وترغيباً لهم في الاسلام) فقال رجل والله إن هذه القسمة ماعدل بها فقلت والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتيته فأخبرته فقال : فمن يعدل اذا لم يعدل الله (٣) ورسوله رحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر اه .

(١) في باب الصبر على الأذى من كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع

من صحيحه

(٢) في اواخر كتاب الجهاد والسير في صفحة ١٣٢ من الجزء الثاني من صحيحه

وهناك عدة احاديث بهذا المعنى

(٣) قوله إذا لم يعدل الله ورسوله نص بأنه ﴿ بأبي وإمي ﴾ كان مأموراً من الله

تعالى بتلك القسمة التي انكرها المنافقون الجاهلون بحكمته البالغة ﴿ ان هو الا

وحي يوحى ﴾

واخرج الامام احمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من الجزء الأول من مسنده ،
عن الأعمش عن شقيق عن سلمان بن ربيعة ، قال سمعت عمر يقول قسم رسول
الله قسمة ، فقلت يا رسول الله لغير هؤلاء احق منهم أهل الصفة ، قال فقال
رسول الله إنكم تسألوني بالفحش الحديث .

و كان بعضهم يتنزه عن الشيء يرخص فيه رسول الله ويفعله صلى الله عليه
وآله وسلم ، — اخرج البخاري (١) عن عائشة ، قالت صنع النبي (ص) شيئاً
فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي (ص) فخطب فحمد الله ثم قال ما بال
اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله واشدهم له خشية اه .
وسأل رسول الله (ص) ، حاطب بن بلتعة حين ارسل صحيفته الى المشركين
فقال له ما حملك على ما صنعت قال أردت أن يكون لي عند القوم يد ، يدفع
بها عن اهلي ومالي وليس من اصحابك احد إلا له هناك من قومه من يدفع الله
به عن اهله وماله فقال رسول الله (ص) صدق لا تقولوا له إلا خيراً فقال عمر
قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، دعني فلا ضرب عنقه : الحديث اخرجه البخاري
في آخر كتاب استتابة المرتدين من الجزء الرابع من صحيحه وفي مواضع آخر
من الصحيح ولا يخفى ما فيه من الدلالة على ما قلناه — ولو اردنا استيفاء
ما كان من هذا القليل من موارد تأولهم في مقابل الدليل ، لطال الباب وخرجنا
عن خطاة الكتاب فعمسك تقنع بعد هذا بمعذرة المتأولين وتقلع عما ابتدعه
طغام المرجفين .

وإن اردت المزيد وابتغيت التأكيد فإذني مضافا الى ما تلوناه

(١) في كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه

وعلاوة على ما أسلفناه ، دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً لا ترتاب بعده في معذرة المتأولين ولا تشك في نجاتهم يوم الدين وحاصله أن الجمهور اجمعوا على خلافة عثمان ، منذ بويع حتى قتل مع ما كان في أيامه من الاحداث التي لولا حمله فيها على التأول لبطلت امامته وسقط عن اريكة الخلافة وحسبك من تلك الاحداث ما هو معلوم بالتواتر وضرورة التاريخ وسأتلو عليك يسيراً منها نقلاً من كتاب الملل والنحل للشهرستاني بعين لفظه : قال « ١ » منها رده الحكم بن أمية الى المدينة بعد ان طرده النبي عليه السلام وكان يسمى طريد رسول الله ، وبعد أن تشفع الى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أيام خلافتيهما فما اجاباه الى ذلك ونفاه عمر من مقامه اربعين فرسخاً (قال) ومنها نفاه اباذر الى الربرة ، وتزويجه مروان بن الحكم بنته ، وتسليمه خمس غنائم افريقية له ، وقد بلغت مئتي الف دينار (قال) ومنها ايواؤه عبد الله بن سعيد بن أبي سرح ، بعد أن اهدر النبي عليه السلام دمه وتوليته اياه مصر بأعمالها ، وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى احدث ما احدث ، الى غير ذلك مما تقوموا عليه اهـ .

قلت كاحراقه المصاحف جمعا للناس على قراءة واحدة ، كما هو مقرر معلوم ، وقد نص عليه المؤرخون وارسله ابن الأثير في كامله ارسال المسلمات « ٢ » وكحماية الحمى ، واعطائه المقاتلة من مال الصدقة ، وايشاره اهل بيته بالأموال وضربه عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ، وعدم

« ١ » في اثناء الخلاف التاسع من الاختلافات التي اوردها في المقدمة الرابعة من المقدمات الخمس التي جعلها في اول كتابه « الملل والنحل » فراجع

« ٢ » وذلك حيث ذكر غزوة حذيفة الباب وأمر المصاحف في صفحة ٤٢ من

أقامته الحد على عبيد الله بن عمر ، قاتل الهرمزان وكتابه الى اهل مصر بقتل محمد بن ابي بكر وجماعة آخرين من فضلاء المسلمين .

ومن موارد تأوله أنه كان إذا خرج من مكة الى عرفات يتم فيها وفي منى صلاة الظهرين والعشاء مع أن النبي (ص) وأبا بكر وعمر كانوا اذا خرجوا اليها يقصرون صلاتهم فيهما ، بل كان عثمان أول امارته يقصر ايضاً روى ذلك البخاري في باب الصلاة بمنى من كتاب الحج من صحيحه (١)

وانت تعلم أن عذر في كل هذه الأمور كونه متأولاً مجتهداً ، وبهذا حفظت عندهم عدالته وإمامته فمن بعدها لا يقول بمعذرة المتأولين ؟ .

والأبلغ من هذا كله في معذرة المتأولين ، اجماعهم على عدالة كثير من المجليين عليه ، كعائشة وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وعمرو بن العاص وغيرهم ، ضرورة أنه لا يتسنى لهم الحكم بامامة المقتول ، وعدالة من أمر بقتله ، ونبزه باسم اليهود (فقال اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً اقتلوا نعثلاً فقد كفر) — الإبناء على ما قلناه .

وان أردت المزيد ، فأعق رقبتيك من رق التقليد وانظر فيما كان من عائشة وطلحة أيام عثمان من تأليب الناس عليه ، وما كان منهما بعد قتله ، وانعقاد البيعة لأمر المؤمنين ، من الذهاب إلى البصرة طلباً لشار عثمان فهم غير مصيبين في إحدى الحالين ، أو في كليهما قطعاً ، لكن الجمهور عذروهم أولاً وآخرأ ، وذلك ليس إلا لما قلناه ، وبه يتم ما اردناه .

وإن اوجست في نفسك ريبة فيما نقول ، فانظر إلى ما كان من طلحة

(١) وأخرجه مسلم في باب قصر الصلاة بمنى من كتاب صلاة المسافرين من الجزء الأول من صحيحه بأسانيد متعددة وطرق مختلفة

والزبير وعائشة في البصرة مع عثمان بن حنيف الانصاري ، وحكيم بن جيلة العبدى وغيرهما من شيعة علي عليه السلام مما لا يخلو منه كتاب من كتب الأخبار وقد اشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار ، من القتل الذريع والنهب الفظيع والمثلة بعثمان بن حنيف حيا « ١ » هذا كله قبل مجيء أمير المؤمنين عليه السلام الى البصرة ثم جاء :

فكان ما كان مما لست اذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر فهل تجد وجها للجزم بعدالة هؤلاء ، والقطع بمعذرتهم إلا ما يذكره الجمهور من تأولهم في كل ما فعلوه وبه يتجلى لك عذر المتأولين .
دع كل ما ذكرناه ، وعرج على رأي الجمهور في معاوية تجد هناك معذرة المتأولين قالبا حسيا ، وتلفها امامك شخصاً مرئياً ، فانه لما كان متأولاً على زعمهم ، لم يقدح في عدالته عندهم الحاقه زياداً بأبيه (أبي سفيان) بدعوى أنه عاهر سمية وهي على فراش عبيد مستنداً في ذلك إلى شهادة أبي مريم القواد الحمار مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الولد للفراش وللعاهر الحجر « ٢ » .

« ١ » ان أردت التفصيل فعليك بتاريخ ابن جرير أو كامل ابن الاثير أو ما شئت من كتب الاخبار

« ٢ » هذا الحديث متواتر قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حين ترفع اليه سعد بن أبي وقاص ، وعبد بن زمعة ، في غلام عهد عتبة بن أبي وقاص الى أخيه سعد أنه ابنه بسفاح الجاهلية ، فقال سعد يا رسول الله انه ابن اخى وقصد عهد به إلى ، وعليه شبهه وقال عبيد بن زمعة إنه أخى وابن أبى ، ولد على فراشه من جاريته ، فنظر النبي - ص - الى الغلام ، فرأى عليه شبه عتبة يدياً ولم يلحقه مع ذلك به وإنما ألحقه بزمعة ، وقال الولد للفراش وللعاهر الحجر أخرج البخارى هذه -

وقوله من حديث «۱» ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ، وقوله تعالى (ادعوهم لآبائهم هو أفسط عند الله) وكان فعله هذا أول عمل جاهليّ عمل به في الاسلام علانية فلم يقدح مع ذلك عند الجمهور في عدالته ولم يمنع محمد بن اسماعيل البخاري عن الاحتجاج به في صحيحه «۲» .

وايضاً لم يחדش في وثاقته عندهم بالخلافة إلى ابنه يزيد ، وهو صبي يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ولا يعرف من الدين موطيء قدمه مع معرفته بليله ونهاره واعلانه واسراره وعلمه بمنزلة الحسين عليه السلام من الله عز وجل ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله ومحلّه في نفوس المؤمنين على أنه كان يومئذ في المهاجرين والأنصار وبقية البدرين واهل بيعة الرضوان جـم غفير وعدد كثير كلهم قارى للقرآن عالم بمواقع الأحكام خبير بالسياسة حقيق على رأي الجمهور بالخلافة والرياسة فلم يراع سابقتهم في الاسلام ولا عناءهم في تأييد الدين وأمر عليهم شريّره المستهتك وسكيره المفضوح فكان منه في طف كربلاء مع سيد شباب اهل الجنة وخامس اصحاب الكساء ما اشكل النبيين وأبكى الصخر الأصم دما ورحى المدينة الطيبة بمجرم

— القضية بهذه المكيفية في ثلاثة مواضع من كتاب البيوع في اول الجزء الثاني من صحيحه — واخرجه مسلم بطرق مختلفة في باب الولد للفراس من كتاب الرضاع من صحيحه «۱» اخرجه البخارى في باب النجش من كتاب البيوع في صفحة ۱۲ من الجزء

الثاني من صحيحه

«۲» جميع المحدثين من اهل السنة يحتجون بمعاوية ويعتمدون عليه في مسايندهم وصحاحهم ، أما البخارى فتد احتج به في كتاب الجهاد والسير في باب قوله تعالى فان لله خمسة وللرسول من صحيحه واحتج به ايضاً في اول باب وصل الشعر من كتاب اللباس وفي مواضع آخر لا تخفى على المستبصر

ابن عقبة وكان ابوه معاوية قد عهد «١» بذلك اليه كما نص عليه جماعة «٢» فكانت امور تكاد السماوات يتفطرن منها وسبك انهم اباحوا المدينة المنورة ثلاثة ايام حتى اقتض فيها الف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار كما نص عليه السيوطي في تاريخ الخلفاء وعلمه جميع الناس «٣» وقتل يومئذ من المهاجرين والأنصار وأبناءهم وسائر المسلمين اللائذين بضريح سيد النبيين صلى الله عليه وآله ١٠٧٨٠ رجلا، ولم يبق بعدها بدري «٤» وقتل من النساء والصبيان عدد كثير، وكان الجندي يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من أمه ويضرب به

«١» غير مبال بدعاء النبي صلى الله عليه وآله على من اخاف اهل المدينة ولا مكترث بقوله - من - من اخاف اهل المدينة اخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا - اخرجه احمد من حديث السائب بن خلاد بطريقين في صفحة ٥٦ من الجزء ٤ من مسنده

«٣» منهم الامام ابن جرير الطبري في الصفحة الأخيرة من حوادث سنة ٦٣ في اوائل الجزء ٧ من تاريخه وابن عبد ربه المالكي حيث ذكر وقعة الحرة في الجزء الثاني من العقد الفريد

«٣» حتى قال ابن الطقطقي في صفحة ١٠٧ من تاريخه المعروف بالتخري ما هذا لفظه : فقتل ان الرجل من اهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول اهلها اقتضت في وقعة الحرة اه وقال الفاضل الشبراوي في صفحة ٦٦ من كتابه الانتحاف واقتض فيها نحو الف بكر وحمل فيها من النساء اللاتي لا أزواج لهن نحو من ألف امرأة ونال ابن خلكان وقد ذكر الحرة في ترجمة يزيد بن القعقاع القاري المدني من وفياته ما هذا لفظه : كان يزيد بن معاوية في مدة ولايته قد سير الى المدينة جيشاً مقدمه مسلم بن عقبة المرى فنهبها واخرج اهلها الى هذه الحرة فكانت الوقعة بها وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ حتى قيل انه بعد وقعة الحرة ولدت اكثر من ألف بكر من أهل المدينة بسبب ما جرى فيها من الفجور «٤» نص على ذلك ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة وغير واحد من اهل الأخبار

الحائط فينتشر دماغه على الارض ، وأمه تنظر اليه « ١ » ثم امروا بالبيعة ليزيد ، على أنهم خول وعبيد إن شاء استرق وإن شاء اعتق ، فبايعوه على ذلك واموالهم مسلوكة ورحالهم منهوبة ودماؤهم مسفوكة ونساؤهم مهتوكة ، وبعث مجرم بن عقبة برؤوس اهل المدينة الى يزيد ، فلما القيت بين يديه قال :

ليت اشياخي يبدر شهدوا : الأبيات « ٢ » .

ثم توجه مجرم لقتال ابن الزبير فهلك في الطريق ، وتأمر بعده الحصين بن نمير بعهد من يزيد ، فأقبل حتى نزل على مكة المعظمة ونصب عليها العرادات والمجانيق « ٣ » وفرض على اصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها ، فحاصروهم بقية الحرم وصفر وشهري ربيع ، يغدون على القتال ويروحون ، حتى جاءهم موت يزيدو كانت المجانيق اصابت جانب البيت فهدمته مع الحريق الذي اصابه . وفضائع يزيد من أول عمره إلى انتهاء أمره ، أكثر من أن تحويها الدفاتر ، أو تحصيلها الأفلام والمحابر قد شوّهت وجه التاريخ وقبحت صحائف السير ، وكان ابوه يرى كلابه وقروده ، وصقوره وفهوده ويطلع على خموره ونجوره ، ويشاهد الفضائع من كل أموره ويعاين لعبه مع الغواني ، ويعرف خبثه بكل المعاني ويعلم أنه ممن لا يؤتمن على نقيير ولا يؤلى أمر قطمير فكيف رفعه والحال هذه الى أوج الخلافة ، وأحله عرش الملك والامامة وملكه رقاب المسلمين ،

« ١ » راجع صفحة ٢٠٠ من كتاب الامامة والسياسة للامام ابن قتيبة الدينوري

« ٢ » ارسال رؤوس اهل المدينة الى يزيد وانشاده أبيات ابن الزبير مشهور مستفيض وقد ذكره ابن عبد ربه في أواخر وقعة الحرة من العقد الفريد ونقل هناك

اعتراف يزيد بارتداده عن الإسلام

« ٣ » ذكر ذلك ابن قتيبة في صفحة ٢١٤ من كتابه الامامة والسياسة

وسلطه على احكام الدنيا والدين ، فغش بذلك أمته ولم ينصح رعيته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما اخرجه البخاري في الورقة الأولى من كتاب الأحكام من صحيحه « ١ » ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما اخرجه احمد من حديث ابى بكر في صفحة ٦ من الجزء الأول من مسنده : من ولي من أمور المسلمين شيئاً فأمر عليهم احداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم . فيما اخرجه البخاري في تلك الورقة ايضاً : ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة والجمهور يعذرونه في ذلك بناء على اجتتهاده كما عذر بعضهم في وقعتي الطف والحرة أ كثر اولاده « ٢ » .

« ١ » في صفحة ٢٥٠ من جزئه الرابع

« ٢ » بل اعتمد قوم من الجمهور أن يزيد كان من أولياء الله ، وأن من توقف فيه وثقه الله على نار جهنم فراجع ما حكاه ابن تيمية عنهم في الرسالة ٧ من مجموعة الرسائل الكبرى في صفحة ٣٠٠ من جزئها الأول ونقل القسطلاني في باب ما قيل في قتال الروم من كتاب الجهاد من ارشاد السارى في شرح صحيح البخارى في صفحة ٢٣٠ من جزئه السادس عن المهلب انه كان يقول بثبوت خلافة يزيد وانه من اهل الجنة ونقل ابن خلدون في صفحة ٢٤١ أثناء الفصل الذى عتمده في مقدمته لولاية العهد عن الفاضل ابى بكر بن العربى المالكي أنه قال فى كتابه الذى سماه بالعواصم والقواصم ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده (ص) وذكر ابن الأثير فى عدة حوادث سنة ٥٨٣ فى آخر ورقة من الجزء ١١ من كامله أن فى تلك السنة مات عبد المغيث بن زهير ببغداد قال وكان من اعيان الخنابلة قد سمع الحديث الكثير وصنف كتاباً فى فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب وقد رد عليه ابو الفرج ابن الجوزى —

وعذروه ايضاً في قتله عباد الله الصالحين ، كعمرو بن الحق الخزاعي وكان بحيث ابلته العبادة ورأسه أول رأس حمل في الاسلام ، قتله (وهو من خيار الصحابة) بحبه علياً عليه السلام ، وكحجر بن عدي السكندي ، وكان من فضلاء الصحابة ايضاً ، قتله واصحابه البررة الاتقياء إذ لم يلعنوا له علياً عليه السلام ومعاوية هو الذي قتل الحسن سلام الله عليه ، بسم دسه اليه ، فسقته إياه بنت الأشعث عليها اللعنة — علم بذلك كافة اهل البيت وشيعتهم ، واعترف به جماعة من غيرهم ، قال ابو الحسن المدائني (كما في أوائل الجزء ١٦ من شرح النهج لابن ابي الحديد في الصفحة ٤ من المجلد ٤ طبع مصر) كانت وفاة الحسن سنة ٤٩ و كان مريضاً ٤٠ يوماً وكان سنه ٤٧ سنة ، دس اليه معاوية سماً على يد جعدة بنت الأشعث ، وقال لها ان قتلته بالسم فلك مائة الف ، وازوجك يزيد فلما مات وفي لها بالمال ولم يزوجها من يزيد وقال أخشى ان تصنعي بابني ما صنعت بابن رسول الله (ص) اه — ونقل المدائني عن الحصين بن المنذر الرقاشي (كما في صفحة ٧ من المجلد الرابع من شرح النهج طبع مصر ايضاً) أنه كان يقول والله ما وفي معاوية للحسن بشيء مما أعطاه قتل حجرأ واصحابه وبايع لابنه يزيد ، وسم الحسن اه — وقال ابو الفرج الاصفهاني المرواني في كتابه (مقاتل الطالبيين) حيث ذكر السبب في وفاة الحسن عليه السلام ما هذا لفظه : واراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء اثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن ابي وقاص ، فدس اليهما سماً فماتا منه الخ — وفي صفحة ١٧ من

— وكان بينهما عداوة اه — قلت والذين عذروا يزيد من اوليائه واعتذروا عنه كثيرون منهم ابن تيمية فيما تقدمت اليه الإشارة من رسالته السابعة والغزالي في الآفة الثامنة من كتاب آفات اللسان من احياء العلوم في صفحة ١١٢ من جزئه الثالث

المجلد ٤ من شرح ابن أبي الحديد طبع مصر ما يلفت الأنظار في هذا المقام ، فراجع له لتعلم ما قلناه وروى ابن عبد البر في ترجمة الحسن من استيعابه عن قتادة وأبي بكر بن حفص أن بنت الأشعث سقت الحسن بن علي السم ، ثم قال وقالت طائفة كان ذلك منها بتدسيس معاوية اليها وما بذل لها في ذلك اه — والأخبار في ذلك لا تحملها هذه العجالة .

ولو أردنا أن نستوفي في من قتلهم معاوية من المصالحين وأولياء الله «١» صبراً وإبادهم غدرًا واستأصلهم عتوًّا ، وطحنهم حرباً وسمل أعينهم ظلمًا وقطع أيديهم وأرجلهم بغياً ، واستل السنة لهم تنطق بالحق عناداً واسقط شهادتهم زوراً ، وتقوّل عليهم افتراء ، وطلق حلائلهم مكرًا وأخذ أموالهم سلبًا ، وصاح في حجراتهم نهبًا وهدم دورهم عيشًا ، واقصاهم نفياً وأوسعهم ذلاً وضيق عليهم حبساً ودفنهم أحياء ولعنهم على المنابر أمواتاً — لأنفسنا الحابر واستغرقنا الصحف والدفاتر ثم لم نبذل غايتنا المقصودة ولم نظفر بضاللتنا المنشودة وكذلك لو أردنا أن نتصدى للأحكام التي بدّها والحدود التي عطّلها والبوائق التي ارتكبتها والفواقر التي احتق بها والدواهي التي حدثت في زمانه والغاشمين الذين أشركهم في سلطانه كابن شعبة وابن العاص وابن سعيد وابن أرتاة وابن جندب ومروان وابن السمط وزيد وابن مرجانة والوليد الذين فعلوا الأفاعيل وقهروا الأمة

«١» لم يقتصر معاوية على قتل أولياء الله في سبيل سياسته حتى قتل في ذلك أخص أوليائه به وأشدهم ملازمة له . عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حارب معه في صفين وحالفه على عداوة أمير المؤمنين ثم بعدها باعه بالتأفة الزهيد . وقتله مخافة أن ترغب الناس به عن يزيد وقصته مشهورة عند أهل الأخبار ، مستفيضة بين أهل السير والآثار . فراجع ترجمة عبد الرحمن من الاستيعاب تجد التفاصيل

بالأباطيل وساموا عباد الله سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ،
وحسبك ما اجمع اهل الأخبار على نقله واتفق أهل العلم على صدوره من بعثه
بسرّاً سنة أربعين لاستئصال من في اليمن من عباد الله الصالحين فراجع ما شئت
من كتب الأخبار ولا حظ ما يحضرك مما يشتمل على أحداث تلك السنة من
كتب الآثار ، لتعلم فظاعة هذه الواقعة ، وتعرف كنه ما كان يوم هذه الفاجعة ،
من قتل الشيوخ الرضع وذبح الاطفال الرضع ونهب الأموال وسبي العيال ،
وما ينس فلا ينس ما فعله يومئذ بنساء همدان ، إذ سباهن فأقن (كما في ترجمة
بسر من الاستيعاب) في السوق . وكشف عن سوقهن فأيتهن كانت اعظم
ساقا اشترت على عظم ساقها ، قال في الاستيعاب فكان أول مسلمات سبين في
الاسلام وما ادري هذه افطع وأوجع ، أم ما فعله بطفلي عبيد الله بن العباس ،
وكان عبيد الله يومئذ عاملاً لأمر المؤمنين على اليمن فهرب اليه من بسر ،
واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي وكان جد الطفلين لأمهاتهن فقتله بسر
فيمن قتلهم يومئذ من الألوف المؤلفة من خيار الناس ، وقتل ابنه ، وبحث عن
الطفلين فوجدهما عند رجل من كنانة في البادية ، فلما أراد بسر قتلها قال له
الكناني (كما في تاريخ ابن الأثير) لم تقتلها وهما طفلان لا ذنب لهما ، فان
كنت قاتلها فاقتلني معها ، فقتله ثم ذبحهما بين يدي أمهاتهن (١) فهامت على وجهها
جنونا مما نالها و كانت تأتي الموسم تنشداهما فتقول :

يا من احسّ بابنيّ اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من احسّ بابنيّ اللذين هما مسخ العظام فمخى اليوم مزدهف

(١) كذا في ترجمة بسر من الاستيعاب

يا من احس بابني اللذين هما قلبي وسمعي فقلبي اليوم محتطف
من دلّ والهة حيرى مدلهة (١) على صيين ذلاًّ إذ غدا السلف
نبئت بسرا وما صدقت مازعموا من إفكهم ومن الأثم الذي اقترفوا
أخى (٢) على ودجى ابني مرهنة مشحوزة وكذاك الأثم يقترف
وقالت له امرأة من كنانة لما ذبحهما (كما في تاريخ ابن الأثير) يا هذا
قتلت الرجال ، فعلى م تقتل هذين ؟ ! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية
والاسلام ، والله يا ابن ابى اوطاة إن سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير ،
والشيخ الكبير ، ونزع الرحمة وعقوق الأرحام لسلطان سوء ، قال ابن الأثير
فلما سمع أمير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديداً ، ودعا على بسر ، فقال اللهم
اسلبه دينه وعقله ، قال فأصابه ذلك فكان يهذي بالسيف فيؤتى بسيف من
خشب ، ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه ، ولم يزل كذلك حتى
مات اه — الى غير ذلك من بوائق معاوية واعوانه وجرائم وزرائه ومقوّة
سلطانه وكان احدهم يقتل الألوف من افاضل الرجال ويعمل الاعمال التي يهتز
منها عرش العظمة والجلال ثم لا يستعظم ما احتقب ، ولا يتأثم مما ارتكب .

اخرج الامام الطبري في احداث سنة خمسين من تاريخه (٣) بالاسناد الى
محمد بن سليم ، قال سألت أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل احداً ، قال وهل
يحصى من قتلهم سمرة بن جندب استخلفه زياد على البصرة (ستة اشهر حين
كان والياً عليها وعلى الكوفة من قبل معاوية) وآتى الكوفة فجاء وقد قتل

(١) الذاهبة العقل

(٢) كذا في رواية ابن الأثير وفي رواية الاستيعاب وبنى الفداء انحى

(٣) في صفحة ١٢٢ من جزئه السادس

ثمانية آلاف من الناس ، فقال له (زياد) هل تخاف أن تكون قتلت احداً بريئاً ؟ قال لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت ا هـ .

واخرج هناك ايضاً بالاسناد الى ابي سوار العدوي قال قتل سمرة من قومي في غداة سبعة واربعين رجلاً قد جمع القرآن ا هـ — واخرج هناك ايضاً باسناده عن عوف ، قال اقبل سمرة من المدينة ، فلما كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقتهم ففاجأ اول الخيل فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة (عبثاً وعتوآ) قال ثم مضت الخيل فأثى عليه سمرة بن جندب وهو متشطح بدمه ، فقال ما هذا ؟ قيل اصابته اوائل خيل الأمير ، قال (عتوآ واستكباراً) اذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا استئنا ا هـ — وهذه القضايا من المتفق على صدورهما من سمرة نقلها كل من أرخ حوادث سنة الحسين ، كابن جرير وابن الأثير واماثلها ، — واذا كانت هذه أعمال سمرة في ستة أشهر وهو ثقة البخاري ، ودليله على دين الباري قد احتج به في الورقة الثالثة من كتاب بدء الخلق من صحيحه « ١ » .

« ١ » في آخر صفحة ١٣٨ من جزئه الثاني قبل باب ما جاء في صفة الجنة باربعة احاديث واحتج به في موارد يعرفها المتتبع ونص الامام محمد بن القيسراني في كتابه « الجمع بين كتابي ابي نصر السكلاباذي وابي بكر الأصفهاني » على احتجاج البخاري ومسلم كليهما في سمرة بن جندب مع ماله من الأعمال فراجع احواله في الجزء الرابع من شرح النهج للعلامة ابن ابي الحديد في السطر الأول من صفحة ٣٦٣ من المجلد الأول طبع مصر لتعلم الحقيقة ولو سبرت من قبل تلك الصفحة الى ما بعدها بوريقات لعلمت احوال جملة من رجال البخاري كابن العاص والمغيرة ومروان وابي هريرة وغيرهم من عمال معاوية واوليائه

وجزم بعدالته «١» في ظاهر القول وصريحه ، فما ظنك بأعمال زياد بن سمية الخيث الفاسق باجماع البرية وقد ولاد معاوية (كما نص عليه الطبري «٢» في احداث سنة خمسين من تاريخه) اعمال الكوفة والبصرة والمشرق كله ، وسجستان وفارس والسند والهند ، فكم حرة في تلك الولاية هتكت وكم حرمة لله انتهكت ، وكم دماء زكية سفكت وكم شرعة اندرست وكم بدعة أسست وكم أعين سملت وايد وارجل قطعت و . . . الى ما لا يحصى من الأعمال البربرية والفظائع الأموية التي تقشعر لها جلود البرية ، ويتصدع بها قلب الانسانية لكن الجمهور لما بنوا على اجتهاد معاوية عذروه في اعمال عماله ولم يخذش في عدالته عندهم بوائقه ولا بوائق رجاله .

وعذروه ايضاً في حربه علياً عليه السلام ، وهو اخو النبي ووصيه ونفسه في آية المباهلة ووليه بعد انعقاد البيعة له حتى قتل من المسلمين ألوف مؤلفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، (فيما أخرجه البخاري «٣») ومسلم في صحيحهما) سباب المسلم فسق ، وقتاله كفر «٤» وقال صل الله عليه وآله وسلم
«١» مع ما ثبت عنه من المساري التي من جملتها بيع الخمر على عهد عمر فيما رواه المحدثون واخرجه احمد بن حنبل من حديث عمر بن الخطاب في صفحة ٢٥ من الجزء الاول من مسنده قال ذكر لعمر أن سمرة باع خمرأ فقال قاتل الله سمرة إن رسول الله قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها
«٢» في صفحة ١٣٤ من جزئه السادس

«٣» راجع من صحيح البخاري باب قول النبي «ص» لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض من كتاب الفتن في الجزء الرابع وراجع من صحيح مسلم كتاب الإيمان .

«٤» فان قلت كيف قاتل علي عليه السلام كلا من اهل الشام والبصرة والنهروان وهم مسلمون — قلت إنما قاتلهم عملاً بتموله تعالى فقتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر —

يوم جليل علياً وفاطمة والحسن والحسين بالكساء فيما ذكره ابن حجر في صواعقه «١» وأبو بكر بن شهاب الدين في رشفته من جملة حديث أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم «٢» وقال صلى الله عليه وآله وسلم حرب علي حربي وسلمه سلمي إلى غير ذلك من الصحاح التي لا حاجة إلى إيرادها لتواترها بين المسلمين .

وعذروه أيضاً في لعنه بقنوت الصلاة ، رجلاً اذهب عنهم الرجس مُحْكَم التنزيل وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر ربه الجليل ، أولئك الذين فرض الله موتهم وأوجب الرسول ولايتهم وهم أحد الثقلين اللذين لا يضل من تمسك بهما ، ولا يهتدي إلى الله من ضل عنها ألا وهم أمير المؤمنين أخو الرسول ووليه وصاحب العناء بتأسيس دينه ووصيه ومن شهد الرسول بأنه يجب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله وأنه منه بمنزلة هارون من

— الله ولا ريب لبعض معاوية واتحابه بدليل قتلهم لهيار ، على أن بغيتهم أوضح من النهار وايضاً أخرج مسلم في باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع من كتاب الإمامة من صحيحه عن عرجة ، قال سمعت رسول الله «ص» يقول من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم ، فاقتلوه اهـ وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من الاستيعاب ما هذا لفظه وروى من حديث علي ومن حديث ابن مسعود ومن حديث أني أيوب الأنصاري أنه «يعني علياً» أمر بقتال الناكثين «يوم الجمل» والفاستين «يوم صفين» والمارقين «يوم النهروان» قال وروى عنه أنه قال ما وجدت إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله اهـ .

«١» في الآية الأولى من الآيات التي أوردها في الفصل الأول من الباب الحادي عشر «٢» وأخرج أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٣ من الجزء الثاني من مسنده أن رسول الله «ص» نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم

موسى ، وولده سبطا رسول الله وريحائناه الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة — ولعن معهم عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة مع ما علم من وجوب تعظيمهم بحكم الضرورة من دين الاسلام وما ثبت بالعيان من شرف مقامهم لدى سيد الانام ، وكيف لا يكونون كذلك وهم اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وما اكتفى بذلك حتى امر بلعن أمير المؤمنين عليه السلام في كل كورة وترك ذلك سنة على اعداها في كل عيد وجمعة وما زالت الخطباء في جميع الأنحاء تعد تلك البدعة المكفرة جزء من الخطبة الى سنة ٩٩ فازالها خير بني مروان . عمر بن عبد العزيز وهذا كله معلوم بالضرورة مقطوع فيه بحكم البداهة قد اجمع اهل العلم على صدوره واتفقت كلمة اهل السير على نقله فراجع ما شئت من كتب الاخبار لتعلم ان المسألة كضوء النهار وكان الحسن قد شرط على معاوية إذ اصطاحا شروطاً منها ان لا يشتم أباه فلم يجبه الى هذه . واجابه الى ما سواها فطلب الحسن ان لا يشتم علياً وهو يسمع (قال ابن الاثير وابن جرير وابو الفداء وابن الشحنة وكل من ذكر صالح معاوية والحسن) فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به اه — بل شتم علياً والحسن ، على منبر الكوفة فقام الحسين ليرد عليه فأجلسه الحسن عليها السلام ، ثم قام (بأبي وأمي) فنضح معاوية والقمه حجراً ، وهذه القضية ذكرها ابو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين وكثير من اهل السير والأخبار ولم يزل معاوية يلعن أمير المؤمنين امام البر والفاجر ويحمل عليها الأصغر والأكبر حتى أمر سعد بن أبي وقاص فيما اخرجه مسلم في باب فضائل علي من صحيحه بالاسناد إلى عامر بن سعد ، قال أمر معاوية بن ابي سفيان سعد ابن ابي وقاص فقال ما منعك أن تسب أبا تراب فقال أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن أسبه لأن تكون لي واحدة منهم أحب إلي من حمر النعم ، الحديث (١) وأمر الأحنف بن قيس فقال له (كما نص عليه جماعة منهم أبو الفداء في أحداث سنة ٦٧ من تاريخه) والله لتصعدن المنبر وتبلغنه طوعاً أو كرهاً ، فكان بينهما كلام أفضى الى خوف معاوية من الفضيحة اذا استوى الأحنف على المنبر فأعذاه من ذلك ، وقد علم الناس كافة أن معاوية لم يقتل حجراً واصحابه الأبدال ، إلا لا متناعهم عن لعن أمير المؤمنين وسيد الوصيين ولو أجابوه الى لعنه لحقت دماؤهم فراجع مقتل حجر في أول الجزء ١٦ من كتاب الأغاني لأبي الفرج المرواني وفي أحداث سنة ٥١ من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وغيرهما لتعلم الحقيقة ، وتعرف أن عبد الرحمن بن حسان الغنزي لما أبى وامتنع من لعن علي عليه السلام في مجلس معاوية ، أرسله إلى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة ، فدفنه حياً ، وما زال يلعن علياً على رؤوس الأشهاد ، ويحمل على لعنه بالترهيب والترغيب كافة العباد ، في كافة البلاد ، هذا مع ما صح من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من سب علياً فقد سبني ، أخرجه الحاكم وصححه وهو عندنا من المتواترات وأخرج النسائي في صفحة ١٧ من الخصائص العلوية وابن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده من حديث أم سلمة عن عبد الله أو أبي عبد الله الجذلي ، قال دخلت على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول الله فيكم ؟ قلت معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها ، قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من سب علياً فقد سبني (٢) اهـ

(١) وأخرجه النسائي في الصفحة الثمانية من الخصائص العلوية وهو منقول عن الترمذي وعن الجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة
(٢) هذه الفضيلة من خصائص أمير المؤمنين ولذلك أوردها النسائي في خصائصه وبها وبأمثالها نسكفر الخوارج واشباههم

وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من استيعابه ما هذا لفظه : وقال صلى الله عليه (وآله) وسلم ، من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني ، ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله اه (١) — وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الطبراني وغيره ما بال أقوام يبغضون علياً ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن فارق علياً فقد فارقني إن علياً مني وأنا منه ، خلق من طينتي وخلق من طينة إبراهيم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم يا بريده أما علمت أن لعلي ، أفضل من الجارية التي اخذ ، وهو وليكم بعدي — وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرها (كما في الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق) عن عمران بن حصين أن رسول الله قال ما تريدون من علي ما تريدون من علي ، ما تريدون من علي ، إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي .

وفي ترجمة علي (ع) من الاستيعاب ما هذا نصه : وروى طائفة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال لعلي رضي الله عنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ، قال وكان علي رضي الله عنه يقول والله إنه لعهد النبي الأُمِّي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق اه — قلت وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه وقد تواتر قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، من كنت مولاه فعلي مولاه (٢) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره

(١) وأخرج ابن خالويه في كتاب الآل عن ابن عباس وأبو يعلى والبراز عن سعد بن أبي وقاص والطبراني عن أم سلمة نحوه

(٢) قد اعترف صاحب الفتاوى الحامدية بتواتره وعنده من المتواترات في رساليه المختصرة الموسومة بالصلاة الفاخرة بالأحاديث المتواترة وكذلك الحافظ السيوطي وغيره

واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دارا ه .

ومقامنا لا يسع استقصاء ما جاء في وجوب موالاته ولا يفي باستيفاء ما دل على تحريم معاداته فنلفت الراغب في ذلك من اخواننا المسلمين الى ما أودعناه في كتابنا سبيل المؤمنين فانه متكفل بالتفصيل متعهد باقامة البرهان والدليل على أن هذا المقدار كاف لأولي الأبصار ، وإذا صح اجتهد معاوية في مقابل هذه الأحاديث الصحيحة وجاز تأوله في عرض تلك النصوص الصريحة ، فتأول من يستفرغ وسعه في التعبد بالأدلة ويستغرق جهده في العمل بقواعد الملة أولى بالصحة وأحق بالجواز على أن أفعاله لم تكن إلا لطلب الملك (١) وانتزاعه من اهله وعداوته لعلي إنما هي ناشئة عن الأحقاد البدرية والضغائن الجاهلية ، وأما المتأولة من فقراء المسلمين ومساكين اهل الدين فانه لا طمع لهم بملك ، ولا أمل لهم بسلطان ولا ثار لهم يطلبونه ولا غرض لهم سوى الحق يقصدونه وقد اقتفوا أثر البرهان واتبعوا أدلة أهل الايمان فان اصابوا فأجورون وإن اخطأوا فعدورون وهذا آخر ما أردناه في هذا الفصل فاحكموا ايها المنصفون بالعدل والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى ورحمة الله وبركاته .

(١) وقد صرح معاوية به يوم النخيلة حيث قال من جملة خطبة خطبها يومئذ والله اني ما فائدةكم لتصلوا ولا تصوموا ولا تهجوا ولا تزكوا وانما قاله لكم لأنامر عليكم وقد اعطاني الله ذلك واتم كارهون رواه الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد ابن سويد ونقله اهل الاخبار وكان عبد الرحمن بن شريك اذا حدث بذلك يقول هذا والله التيهك فراجع صفحة ١٦ من المجلد ٤ من شرح النهج الحديدي المطبوع في مصر

فصل

٩

فيمين أفقى بكفر الشيعة وتفصيل ما استدلل به على ذلك ، والغرض استئصال بذور الشقاق بإيضاح خطأه واجتثاث ارومة الافتراق ببيان اشتباهه ، حرصاً على أن لا يُكَلَّ بضاعه ، واتقاءً من تصديقه واتباعه ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما وجدناه في باب الردة والتعزير من الفتاوى الحامدية وتنقيحها ، بامضاء الشيخ نوح الحنفي لاشتهار هذين السكتايين ورجوع من بأيديهم منصب الفتوى في المملكة المحروسة اليهما .

قال في جواب من سأله عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم .
 أعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة والبعاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والالحاد ، ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم ، فهو كافر مثلهم ، (قال) وسبب وجوب قتالهم وجواز قتلهم البغي والكفر معاً ، أما البغي فأنهم خرجوا عن طاعة الامام خلد الله تعالى ملكه إلى يوم القيامة وقد قال الله تعالى : (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) ، والأمر للوجوب فينبغي للمسلمين إذا دعاهم الامام إلى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيد المرسلين ، أن لا يتأخروا عنه بل يجب عليهم أن يعينوه ويقاتلوهم معه ، (قال) وأما الكفر فمن وجوه ، منها أنهم يستخفون بالدين ، ويستهنئون بالشرع المبين ومنها أنهم يمينون العلم والعلماء ومنها أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ومنها أنهم ينكرون خلافة الشيخين ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين

ومنها أنهم يطوّلون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها ويتكلمون في حقها مالا يليق بشأنها (من أمر الافك) مع أن الله تعالى أنزل عدة آيات في براءتها (قال والله يعلم أنه كاذب فيما قال) فهم كفرون بتكذيب القرآن العظيم وسابون النبي ضمناً بنسبتهم الى اهل بيته هذا الأمر العظيم ومنها أنهم يسبون الشيخين سوّد الله وجوههم في الدارين إلى أن قال فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا ، ثم حكم باسترقاق نسائهم وذرائعهم اهـ .

قلت هذا الذي لا تبرك الابل على مثله ، هذا الذي لا تقوم السماء والارض بحمله ، هذا الذي لا يتسنى للغيور أن يقيم في أرض ينشر فيه ، هذا الذي لا يستطيع الحي أن يستظل بسماء تشرق شمسها على معتقديه ، هذا الذي ما أنزل الله به من سلطان ، هذا الذي يأباه الله ورسوله وكل ذي وجدان ، هذا هو الاختلاف الذي ليس بعده ائتلاف ، هذا هو الاقتراق الذي ليس بعده اتفاق هذا هو المحاربة التي ليس بعدها مصاحبة ، هذا والله الافك والبهتان ، هذا والله الظلم والعدوان .

بجذك قل لي هل درى صاحب الفتوى أي دماء من اهل الشهادتين سفكها وأي حرائر قانتات هتكها وأي حرمت لله عز وجل انتهكها وأي صبية من بني الاسلام سلبها وأي اموال من كيات نهبها ، وأي ديار معمورة بالصلاة وتلاوة القرآن خربها ، وأي كبديل رسول الله بذلك فراها وأي عين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفتواه أقذاها وأي فتنة بين المسلمين أججها وأي حرب بينهم ألجها واسرجها وأي شوكة لهم بذلك كسرهما وأي دولة لأعدائهم أعزها ونصرها وأي مخالفة لحكم الله ارتكبتها وأي أوزار بتكفيره للمسلمين احتجبها (ومن لم يحكم بما أنزل

الله فأولئك هم الكافرون) ولو درى الى أي غاية بلغ الشيعة في المحافظة على قوانين الدين ونواميس الشريعة أو علم الى أي أوج ارتقوا في الاحتياط بالأحكام أو الى أي حد انتهوا في التمسك بثقلي سيد الأنام ، أو الى أي مرتبة اخذوا بالسنة السنية ، أو الى أي مقدار اقتدوا بالعترة الطاهرة الزكية ، لدعا بالويل والثبور وتمنى أن يكون قبل هذه البائقة من اهل القبور .

ظن الرجل أنه قضى على الشيعة بعداونه وزعم أنه اسقطهم بافكه وبهتانه فطاش سهمه وضلت مطيته ، بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه .

أجل والله ما قضى إلا على مروءته ولا أسقط بأ كاذبية غير أمانته وقد افتضح بين علماء العالم ، واتضح تحامله بالزور لدى فضلاء بني آدم وكان كبغضي الأنبياء إذ سطوروا الأساطير اقترأ عليهم وأعداء الأوصياء إذ ملأوا الطوامير في نسبة الأباطيل اليهم ، فما أثر ذلك فيهم إلا رفعة ، ولا ازدادت شرائعهم إلا عزاً ومنعة ، (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) كان العزم على أن نربأ عن مناقشته ولا نلوّث اليراع بمحاسبته لوضوح اقترائه وظهور ظلمه واعتدائه ، لكن اقتدينا بالكتاب الكريم والذكر الحكيم ، إذ تصدى للرد على كل أفاك أثيم فقال جل وعلا : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) الى غير ذلك مما كان في التنزيل من هذا القليل - ذكر الرجل لوجوب قتال الشيعة وجواز قتلهم سببين (البغي والكفر) وقد علم الله ورسوله وأولو الفضل من عباده أنه ظلم الشيعة بذلك وبغى عليهم كما افك اعداء الأنبياء إذ نسبوا السحر

والجنون اليهم ، ونحن نناشدكم الله أيها الناس متى كانت الشيعة غير خاضعة للسلطان وفي أي جهة من مملكته المحروسة كان ذلك منهم ، وبما بغوا عليه أرايتموهم تأخروا عن اداء الخراج أو توقفوا عن دفع الضرائب والأعشار والاعانات أو تخلفوا عن جهاد عدوه أو قصرُوا عن طليعة عساكره أو تقهقروا عن مقدمة جنوده أو خانوه في خدمة أو كفروا له نعمة ، كلا والله ما كان ذلك منهم ولا هو جائز عندهم والناصب الكاذب يعلم براءتهم منه (١) ويقطع بأنهم في غاية البعد عنه ، وإنما أراد اغراء السلطان بهم وحمله على الوقعة فيهم حرصاً على استئصالهم ومبالغة في ابادتهم واحتياطاً على أن لا يكون لهم نصيب من مراحم الدولة ولا حصة من عدل القانون ولا سهم من انصاف الولاة ولا حظ من معاشرة العامة (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) .

وأما قوله بكفرهم فانه قول من لا يخاف من الله سطوة ، ولا يخشى منه نقمة قول لم يرجع فيه الى دين ولا عمل فيه بما تواتر عن سيد النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالاسلام ، على كل من اقام الصلاة وآتى الزكاة وصام الشهر وحج البيت من اهل الشهادتين والايمان باليوم الآخر — وقد افردنا في أوائل هذه الرسالة فصلاً لبيان معنى الاسلام والايمان ، وهو الفصل الثاني منها واوردنا فيه وفي الفصول الثلاثة التي بعده طائفة من الصحاح الحاكمة بما قلناه ، وتكاملنا

(١) يعلم الناصب وغيره أن الشيعة والسنة في الخضوع للسلطان وعدمه على حد سواء لأن من كان منها في مملكته فهو مطيع بحكم الوجدان والعيان ومن كان من كلا الطائفتين في ممالك الأجانب فهو ممنوع عن طاعته وأما شيعة إيران فيكامل أهل السنة في مراكش وأفغان فأى فرق بين الشيعة والسنة في هذا الأمر يا مسليون .

هناك بما يجدر بالباحث المدقق أن يقف عليه فالمرجو من وقف على هذا الفصل مراجعة تلك الفصول ، ليعلم أن قواعد الشريعة تحكم بإيمان الشيعة ويعرف أن الصحاح المتواترة تقضي باحترامهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة .
وأما الوجوه التي اعتمد الناصب عليها في التكفير فإنها من أوضح افراد الافك وافضح انواع التزوير .

إفك لا يكون من صبي يرجى فلاحه ، وزور لا تأتي به أمة وكعاء إلا أن تكون مدخولة العقل ونحن نذكر تلك الوجوه (وهي ستة) ونتكلم في كل منها بما يوجب العلم وتقضي به الأمانة .

الوجه الاول

زعم أن الشيعة يستخف بالدين وتمهز بالشرع المبين ، وهذا قول لا يخفى زوره وإفك لا يمثل ظهوره فان الشيعة أحوط الناس على الدين وأعظمهم تقديساً للشرع المبين وتلك كتبهم في الأصول والفروع والتفسير والحديث تشهد (وقد ملأت ما بين الحافقين) لهم بذلك على أن هذا الأمر غني عن البرهان بعد أن كان شاهده الحس والوجدان .

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا وليته دلنا على الموارد التي استخف بها الشيعة من معالم الدين ، أو اخبرنا عن المقامات التي استهزؤا فيها بالشرع المبين أتراهم استخفوا بالخالق تبارك وتعالى فشبهوه بخلقه تارة ، وجوزوا عليه القبيح أخرى ، أم استخفوا بالأنبيا والأوصياء ، فنسبوا اليهم صلوات الله عليهم ما يليق بالأشقياء أم استخفوا بمقام سيد البشر فقالوا إنه (والعياذ بالله) هجر

كلا والله انهم لأعظم تقديساً لله واكبر تنزيهاً لأنبيائه واكثر تعظيماً لخلفائه ،
واحكم قواعد في الاصول وأشد احتياطاً في الفروع واكثر تثبناً في قبول
الحديث واحرز للواقع في كل ما يرجع للدين ، وانا ألفت الباحث إلى أصول
الامامية وفروعهم ليعلم الحقيقة — على أن من ساح في بلادهم ، وجاس خلال
ديارهم ير مواظبتهم على الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات في
جميع الاحوال رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً ، أحراراً ومماليك ، بحيث
لا يتسامح في ذلك منهم ، إلا من سرى اليه الداء من معاشرة غيرهم ، ومن
ترك فريضة من الصلوات الخمس أو افطر يوماً من شهر رمضان بسلا عذر ، يُعزر
عندهم بخمس وعشرين سوطاً ، فان اعاد عزراً ثانياً فان اعاد قتل والاحوط تأخير
إعدامه الى المرة الرابعة ، ولا يؤخر الى الخامسة (لو لم تكن الحدود معطلة)
باجتماعهم ، هذا في غير المنكر أما المنكر . لوجوب الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو
الخمس أو الحج أو غيرها من الضروريات ، كحرمة الزنى والواط والسرقه
وشرب الخمر والغيبة والنساذ في الارض واشباهها أو الشاك في شيء من ذلك ،
فانه يقتل بمجرد الانكار أو الشك وقد امتازوا بالاستنابة عن الميت في الصلاة
والصوم كما يستنيبون عنه في الحج ، وواجبوا على وليه قضاء ما فاته من الصلاة
والصوم في الجملة ولو علموا أن في ذمته زكاة أو خمساً أو مظالم أخرجوها من
أصل ماله وإن لم يوص بها كسائر الديون ، وهكذا احتياطهم في جميع العبادات
والمعاملات والايقاعات وسائر الشرعيات ، فكيف يتسنى للناصب بعد هذا أن
يرميهم بالاستخفاف بالدين والاستهزاء بالشرع المبين ، نعوذ بالله من سيئات العقل
وقبح الزال وبه نستجير من بوائق العثرة وسوء الخطل ، إنه ارحم الراحمين .

الوجه الثاني

أنهم يهينون العلم والعلماء ، سألتكم أيها المنصفون بالحقيقة التي ضيعها المرجفون هل سمعتم أوحش من هذا العدوان أو بلغكم أخش من هذا البهتان أو رأيتم أحق من هذا الدليل ، أو حدثتم بأسخف من هذا الوجه الساقط الرذيل ، الشيعة يقال ذاك ؟! وهم الذين أسسوا العلوم ومهدوها وأحكموا المعارف وشيدوها وسبقوا بالتأليف فلم يلحقوا وعرجوا الى أوج الفضل فخلقوا فما من علم من العلوم الدينية إلا وهم أصله وفرعه وما من فن من الفنون الاسلامية الا وهم معدنه ونبعه (١) وما أردي بأي شيء اهانوا العلم والمعارف أبا المدارس التي عمروها ، أم بالأوطان التي رغبة في العلم هجروها ، أم بالأعمار التي على التعلم قصروها ، أم بالأفكار التي في خدمة العلم حصروها ، أم بالأموال التي في سبيله اتلفوها ، أم بالقرى التي على طلابه وقفوها ، أم بالقواعد التي احكموها ، والأصول التي ابرموها ، والأحكام التي اقاموا دليلها ، والغاية التي اوضحوا للعالمين سبيلها ??? وما ادري كيف رماهم باهانة العلماء مع شهادة البر والفاجر بأنهم اشد الناس للعلماء تعظيما ، وأعظم

(١) من ابتغى تفصيل هذه الجملة والوقوف على حقيقتها فعليه بكتاب « تأسيس الشيعة » لمؤلفه شيخ المسلمين ومن انتهت اليه النوبة في الاستواء على دست آباءه الطيبين الطاهرين الامام الشريف آية الله ابى محمد الحسن من آل شرف الدين المشهور بالسيّد حسن الصدر الموسوي العاملي السكاظمي فانه متبع الله المسلمين بشريف وجوده تتبع العلوم الدينية ذكرها واستقصى الفنون الاسلامية سبرا واستوفى البحث عن مؤسسيها واستقرأ الكلام في طبقات المصنفين فيها فأثبت بذلك للعيان واظهر بالحس والوجدان سبق الامامية الى جميع الفنون الاسلامية وقد اختصر هذا السفر الثمين في كتاب وسماه بكتاب الشيعة وفنون الاسلام وهو من الكتب المنتشرة بفضل مطبعة العرفان .

العالمين لهم تبجيلا ، لا يرجعون في الحوادث إلا اليهم ، ولا يعولون في أمور الدنيا والدين إلا عليهم .

نعم هناك من قضاة الرشوة وشيوخ الزور وعلماء السوء والمرجفين في المسلمين والناصبين المؤمنين ، من لا يسمع المؤمن تعظيمه ولا تباح له مولاته . فاهانت بالاعراض عنه وعدم اخذ الدين منه واجبة باجماع المسلمين وحكم الضرورة من الدين على أنا ننقض على الناصب بنفسه إذا هان بهذه الفتوى جميع علماء الشيعة وكافة حفاظ الشريعة ، بل أهان بقوله : (ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثاهم) جميع من توقف في هذه المسألة من اهل السنة وجميع من حكم من علمائهم باسلام الشيعة ممن سمعت كلامهم في الفصل المختص بما افق به علماء السنة كما لا يخفى ، ومن وقف على حكم هذا الرجل بكفر من توقف في تكفير الشيعة بعد مراجعة ذلك الفصل وهو الفصل ٦ من الفصول المتقدمة علم أنه قد كفر إمامية أبا حنيفة والاشعري وكفر الامام الشافعي . وسفيان الثوري . وابن ابي ليلى . وداود بن علي . والحسن البصري ، وسعيد بن المسيب . وابن عينة . وابن سيرين . والزهري . وأبا طاهر القزويني والامام السبكي . وأبا المحاسن الروياني . والقدماء من علماء بغداد قاطبة ، وكفر ابن حزم الظاهري . والشيخ الكبير ابن العربي . والعارف الشعراي وصاحب فتح القدير . والملا علي الحنفي . وابن تيمية . وابن عابدين . والمعاصر النبهاني وغيرهم ، إذ حكموا جميعا باسلام كافة اهل الأركان الخمسة من الشيعة وغيرهم ، فان كانت اهانة العلماء كفرا فالناصب من اكفر العالمين ، إذا هان بهذه الفتوى جميع أئمة المسلمين وكافة علماء الموحدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الوجه الثالث

أنهم يستحلون المحرمات ويمتسكون المحرمات ، بالله عليك هل يكون في صفاقة الوجه . وصلاية الحد . وعدم الحياء . والجرأة على الافك أكثر من هذا ؟ نعوذ بالله من الخذلان وبه نستجير من سوء عواقب الظلم والعدوان : سلوا (أيها المسلمون) كتب الامامية متونها وشرورها قديمها وحديثها تخبركم — وصاحب البيت أدري بالذي فيه — أنهم أبعد الناس عن المحرمات واحوط العالمين على الحرمات ألم يحكم فقههم بالجلد والرجم معاً على كل من المحصن إذا زنى ببالغة عاقلة والمحصنة إذا زنى بها البالغ وإن لم يكن عاقلاً ؟ ألم يقض بالقتل على مطلق من زنى بالمرأة مسكرهاً لها وعلى كل من زنى بمحارمه النسبية وعلى الذي إذا زنى بالمسلمة مطلقاً ، ألم يوجب مائة جلدة للمحصن إذا زنى بطفلة أو مجنونة والزانة إذا لم تكن محصنة أو كانت محصنة لكن الزاني بها طفل ، ألم يعلن فقههم بإقامة الحد على الذكر الحر غير المحصن إذا زنى بضربه مائة جلدة وجز رأسه ونفيه سنة كاملة ألم يصرح بضرب المملوك والمملوكة البالغين العاقلين خمسين جلدة إذا زنى أحدهما مطلقاً ألم يعضوا في حد من تحرر بعضه فاجبوا له من حد الأحرار بقدر ما فيه من الحرية ومن حد العبيد بقدر العبودية ، ألم يوجبوا لمن زنى في زمان معظم أو مكان شريف عقوبة زائدة على الحد لهتكه حرمة الزمان أو المكان ، ألم يحكموا على مطلق الحر البالغ إذا لاط بالقتل بالسيف أو بالرجم أو بالقائه من شاهق أو بهدم جدار عليه وهل عرفت انه يجوز إحراقه عندهم ، وهل بلغك أن هذا الحكم ثابت للمحصن وغيره ، ألم يحكموا

بالبقتل كذلك على المفعول به إن كان بالغاً عاقلاً مختاراً ألم يوجبوا تعزير الصبي فاعلاً أو قابلاً وتأديب المجنون فاعلاً أو مفعولاً ، ألم يعلنوا بالحكم بمائة جلدة على كل من الفاعل والقابل مع البلوغ والعقل والاختيار اذا حصل منهما مجرد التفتيخيد او بين الاليتين دون الايقاب ؟ ؟ ؟ (١)

ألم يصرحوا بالحكم بمائة جلدة على كل واحدة من المساحقتين ، ألم يحكموا بخمس وسبعين جلدة على القيادة وثمانين على كل من القذف وتناول المسكر ولو حشيشة ، ألم يحكموا على السارق اول مرة بقطع الأربعة من اصابع يده اليمنى ، فلو سرق ثانياً قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم وفي الثانية يحبس ابداً وفي الرابعة يقتل الى غير ذلك مما لا يسع المقام تفصيله من جزاء المفسد في الارض والمرتد عن الاسلام وبقية الحدود وسائر التعزيرات ، ومن اراد التفصيل فعليه بابوابها من فقه الامامية وحديثهم وقد انتشر منها ببركة الطبع في ايران وفضل المطابع في الهند الوف ومئات مختصرات ومطولات ، فراجعها لتعلم حال الشيعة في انكار المنكرات واستعظام المحرمات ولهم في اهل الكبرياء حكم قد امتازوا به وذلك أن صاحب الكبيرة مطلقاً اذا اقاموا عليه الحد مرتين قتلوه في الثالثة ، وربما احتاطوا بتأخيرها الى الرابعة ولا قائل منهم بتأخيرها الى الخامسة هذا في غير المستحل .

أما المستحل فيقتل عندهم بمجرد الاستحلال .

ناشدتكم الله رب العالمين ، هل يجوز ديناً ام يسوغ مروءة ، ان ترمى الشيعة بعد هذا كله باستحلال المحرمات وهتك الحرمات ، وليت الظالم دلنا على محرم أباحوه أو ارشدنا الى حرمة من حرمت الدين هتكوها

هيات هيات - إنهم أبر من أن يكون ذلك منهم وأجل من أن يؤثر شيء مما هو دونه عنهم ، وإنما وصفهم الناصب بصفاته والزمهم بذنوبه وموبقاته إذ استحل بهذه الفتوى أنواعا من المحرمات واستباح أقساما من الحرمات ، استحل الكذب والبهتان ، استحل الظلم والعدوان ، استحل تكفير المؤمنين ، استحل إيقاد الحرب بين المسلمين ، استحل قتل الشيعة وهم ركن الاسلام ، استحل نهب مالهم وهو الحرام ، استحل سبي المسلمات القانتات ، استحل اطفال المسلمين وهتك الحرمات وقد اباد بهذه الفتوى من مؤمني حلب اربعين ألفا او يزيدون وانتهيت اموالهم واخرج الباقون منهم من ديارهم الى نبل ، والنغالة وام العمدة واللبوز والفوعة وقراها ، وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر « بسبب هذه الفتوى » جبل عامل سنة ١١٤٧ فانتبهت الحرمات ، واستباح الحرمات « يوم وقعة انصار » وقتل وسلب ، وخرّب ونهب واسر ألفا واربع مائة من المؤمنين فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف بيروت الى غير ذلك مما كان بسبب هذه الفتوى من الفظائع والفجائع على أنها في ذاتها بائقة الدهر وفاقرة الظهر الحكم لله والمصير اليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الوجه الرابع

إنهم ينكرون خلافة الشيخين ، ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين (١) والجواب انه لا ينكر استخلاف الشيخين رضي الله عنهما ذو شعور ،

(١) لم يأت بهذه الفترة « اعنى قوله ويريدون ان يوقعوا في الدين الشين » الا لمجرد السجع والا فقد عرفت انهم احوط الناس على الدين

ولا يرتاب فيه ذو وجدان وقد امتدت إمارتهما من سنة ١١ الى سنة ٢٣ وفتحت بها الفتوحات ، وضرب الدين فيها بجرانه على ان خلافتها من الشؤون السياسية التي خرجت بانقضائها وتصرمها عن محل الابتلاء فأبي وجه لتنافر المسلمين اليوم بسببها واي ثمرة عملية تترتب فعلا على الاعتقاد بها .

فهلما يا قومنا للنظر في سياستنا الحاضرة وعرجوا عما كان من شؤون السياسة الغابرة فان الاحوال حرجة والمآزق ضيقة لا يناسبها نبش الدفائن ، ولا يليق بها إثارة الضغائن ، وقد آن للمسلمين ان يلتفتوا الى ما حلّ بهم من هذه المناذات والمشاغبات التي غادرتهم طعمة الوحوش وفرائس الحشرات .

واي وجه لتكفير المسلمين بانكار سياسة خالية وخلافة ماضية قد اجمع اهل القبلة على انها ليست من اصول الدين ، وتصافقوا على انها ليست مما بني الاسلام عليه ونحن نظرننا فيما صح عند اهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من تفسير معنى الاسلام والايمان ، فلم نجد (١) مقيداً بها وتتبعنا الامور التي جعلها صلى الله عليه وآله وسلم سببا في احترام الدماء والأعراض والاموال فلم تكن (٢) من جملتها ، واستقرأنا من نصوصه شرائط دخول الجنة فلم نجد (٣) في زمرتها ، فأبي مانع بعد هذا من جريان الاجتهاد فيها ، وأي دليل على كفر المتأولين من منكريها فان القوم لم تكن بينهم وبين الحق عداوة . وإنما قادتهم الأدلة الشرعية

(١) راجع الفصل ٢ المعقود لبيان معنى الاسلام من هذه الرسالة

(٢) راجع الفصل ٣ المختص باحترام الموحدين من هذه الرسالة

(٣) راجع الفصل ٥ المتعلق بنجاة الموحدين من هذه الرسالة

إلى القطع باشتراط أمور في القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله والمستوي على مراقبة الخلافة عنه ، كعدم سبق الكفر منه على الإيمان و كعصمته والعهد اليه وعدم كونه مفضولا ، واستدلوا على هذه الشروط بأدلة (من الكتاب والسنة والعقل) كثيرة لا يسع المقام بيانها . وقد استقصيناها في كتابنا « سبيل المؤمنين » وهبها شهاباً (كما تقول) لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه لأنها من الكتاب والسنة ، وقد الجأت إلى القطع بما صار إليه فان كان مصيباً والا فقد اجمع المسلمون على معذرة من تأول (في غير أصول الدين) وإن أخطأ كما سمعته في فصل المتأولين على أنه لا وجه للتكفير بانكارها حتى لو فرضنا أنها من اصول الدين عندهم لأنها ليست من الضروريات التي يرجع انكارها إلى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا هي في نظر منكريها من الأمور التي قد انعقد الاجماع عليها وقد سبقوا بشبهة من الكتاب والسنة تمنعهم من الاعتقاد بها ، ألا ترى أن الشيعة لم تكفر أهل السنة بانكارها إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مع أن إمامتهم من اصول الدين على رأي الشيعة وكذلك العدلية (من الشيعة والمعتزلة) لم تكفر طائفة الاشاعرة بانكارها العدل مع أنه من الأصول عندهم أيضاً . وقد تأول في إنكار هذه الخلافة سعد بن عباد وجاب ابن المنذر الأنصاريان وتختلف عنها جماعة وأكره عليها آخرون ، كما ذكرناه في فصل المتأولين فلم يكفر احد من أولئك بما كان منه ولا فسق بما تواتر من القول والفعل عنه ، فكيف يكفر هؤلاء وحكم الله واحد ، يا ايها المنصفون على أن الاحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة والصحيح الوافرة من طريق أهل السنة ، ألجأت هؤلاء إلى

القطع بعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى علي من بعده فدانوا بما رأوا أنه الحق من دين الاسلام ، فهم معذورون بل مأجورون إن أصابوا بذلك وإن اخطأوا بالاجماع قال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من الجزء الثالث من فصله ما هذا نصه : وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا ينسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا ، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فانه مأجور على كل حال إن أصاب فأجران ، وإن اخطأ فأجر واحد (قال) وهذا قول ابن ابي ايلي . وابي حنيفة . والشافعي . وسفيان الثوري وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك اصلاً — قلت إجماع الصحابة وهؤلاء الأئمة يقطع دابر المشاغين ، وينقض اساس المجازفين ضرورة أن القائلين بخلاف علي ، والمنكرين لغيره لم يقولوا هذا القول ولم يعتقدوا هذا الأمر إلا بعد الاجتهاد التام واستفراغ الوسع والطاقة وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة ، ولقد عز عليهم فراق اخوانهم من اهل السنة في هذه المسألة وقاسوا في سبيلها من انواع البلايا وانسام المحن والرزايا ما قد علمه جميع الناس ولكن ما يصنعون فيما يرونه الحق ويقطعون بأنه عين الصواب وقد صرح بمعذرتهم وكونهم مأجورين جماعة من افاضل المعاصرين كالعلامة القاسمي الدمشقي حيث قال في ميزان الجرح والتعديل بعد ذكر الشيعة واحتجاج مسلم بهم في صحيحه ما هذا لفظه : لأن مجتهدي كل فرقة من فرق الاسلام مأجورون أصابوا أم اخطأوا بنص الحديث النبوي اه — قلت ومن راجع من هذه الرسالة الفصل المشتمل على فتاوى علماء السنة يجدهم مجمعين على ذلك ومن سبر فصل المتأولين لا يرتاب فيه والحمد لله رب العالمين .

الوجه الخامس

أنهم يطولون السننهم على عائشة الصديقة رضي الله عنها ويتكلمون في حقها (من امر الافك والعياذ بالله) مالا يليق بشأنها إلى آخر إفكه وبهتانه .

والجواب أنها عند الامامية وفي نفس الأمر والواقع أنقى جيباً واطهر ثوباً ، وأعلى نفساً . وأعلى عرضاً . وأمنع صوتاً . وأرفع جناباً . وأعز خدراً . واسمى مقاماً . من أن يجوز عليها غير النزاهة أو يمكن في حقها إلا العفة والصيانة ، وكتب الامامية قديمها وحديثها شاهد عدل بما اقول على أن اصولهم في عصمة الأنبياء تحيل ما بهتها به اهل الافك بتاتاً ، وقواعدهم تمنع وقوعه عقلاً ، ولذا صرح فقيه الطائفة وثقتها إستاذنا المقدس الشيخ محمد طه النجفي أعلا الله مقامه وهو على منبر الدرس بوجوب عصمتها من مضمون الافك عملاً بما يستقل بحكمه العقل من وجوب نزاهة الأنبياء عن اقل عائبه ولزوم طهارة اعراضهم عن أدنى وصمة فنحن والله لا نحتاج في براءتها الى دليل ولا نجوز عليها ولا على غيرها من ازواج الأنبياء والأوصياء كل ما كان من هذا القبيل — قال سيدنا الامام الشريف المرتضى علم الهدى في المجلس ٣٨ من الجزء الثاني من أماليه رداً على من نسب الخنا إلى امرأة نوح ما هذا لفظه : إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب (عقلاً) ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعر وتشين وتعرض من القدر وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيماً لهم وتوقيراً ، ونفياً لكل ما ينفر عن القبول منهم إلى آخر كلامه الدال على وجوب نزاهة

امراة نوح وامراة لوط من الحنا وعلى ذلك اجماع مفسري الشيعة ومتكلميهم وسائر علماءهم - نعم ننتقد من أفعال أم المؤمنين خروجها من بيتها بعد قوله تعالى وقرن في بيوتكن ، وركوبها الجمل بعد تحذيرها من ذلك ومحبتها إلى البصرة تقود جيشاً عرمرماً (تطالب على زعمها بدم عثمان وهي التي امالت حرفه وألبت عليه وقالت فيه ما قالت) ونلومها على أفعالها في البصرة (يوم الجمل الأصغر) مع عثمان ابن حنيف وحكيم بن جبلة ونستذكر أعمالها يوم الجمل الأكبر مع أمير المؤمنين ويوم البغل حيث ظنت أن بني هاشم يريدون دفن الحسن المجتبي عند جده (ص) فكان ما كان منها ومن مروان ، بل نعتب عليها في سائر سيرتها ، مع سائر اهل البيت عليهم السلام ، والناصب الكاذب بلغ في عداوة الشيعة الى حد لا يبلغه مسلم وتجشم في بغضهم مسلماً لا يسلكه موحد ، إذ وصم الاسلام واهله (بما اقترأه في هذا الوجه على الشيعة وهم نصف المسلمين) وصمة اقر بها عيون الكافرين وفرى بها مرأى الموحدين وظلم بها أم المؤمنين ، وجميع المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الوجه السادس

أنهم يسبون الشيخين رضي الله تعالى عنهما .
والجواب أن البحث يقع هنا في كل من صغرى هذا الوجه وكبراه ،
وبعبارة أخرى هي اوضح يقع البحث في مقامين .

﴿ المقام الأول ﴾ في أنهم هل يسبون أولاً يسبون؟.

﴿ والثاني ﴾ في أنه هل يكفر الساب (والعياذ بالله) اولاً يكفر

وقد رأيت البحث في المقام الأول عبثاً صرفاً ، ولغواً محضاً ، إذ لا يمكن إذعان الخصم براءة الشيعة من هذا الأمر ، ولو حلفنا له برب الكعبة بل لا يلتفت الى نفيه عنهم ، ولو جئناه بكل آية ، والامامية طالما اذنت فلم يسمع أذناها وشد ما اعلنت فلم يصغ لاعلانها ، فسد هذا الباب اقرب الى الصواب وأولى بأولي الأبواب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

واما المقام الثاني فالحق فيه عدم الكفر ولنا على ذلك أدلة قاطعة وبراهين ساطعة نذكر منها ستة ثم نوكل الحكم بعدها لرأي المنصفين .

﴿ الأول ﴾ الأصل مع عدم ما يدل على الكفر من عقل او نقل او إجماع .

﴿ الثاني ﴾ انا تتبعنا سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما رأيناه يسكفر

احداً بشتم واحد من اصحابه رضي الله عنهم ، وكان الصحابة يتنازعون ويتشائمون على عهده فلم يؤثر عنه تكفير احد منهم بسبب ذلك حتى تشائموا مرة امامه وتضاربوا بالنعال (كما رواه البخاري عنهم في اول كتاب الصلح من صحيحه واخرجه مسلم في آخر باب دعاء النبي (ص) إلى الله من كتاب الجهاد من صحيحه) وتقاتل الاوس والخزرج مرة على عهده صلى الله عليه وآله وسلم ، واخذوا السلاح واصطفوا للقتال كما في آخر صفحة ١٠٧ من الجزء الثاني من السيرة الحلبية وكذا في السيرة الدحلانية وغيرها فأصلح بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يسكفر بذلك احداً منهم وموارد اختلافهم وتشائمهم بل تقاتلهم وتحاربهم مسطورة في كتب الحديث والأخبار . فهل بلغكم تكفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحدهم بهذا السبب أم هل سمعتم ذلك عن احد الصحابة رضي الله عنهم ؟ ؟ وإذا كان القوم لم يثبتوا لأنفسهم هذه المنزلة ، فكيف أثبتوا لهم المجازفون ؟

﴿ الثالث ﴾ ما سمعته (في الفصول الثلاثة المنعقدة لبيان معنى الايمان واحترام الموحدين ونجاتهم) من الأحاديث الصحيحة ، والنصوص المتواترة الصريحة ، فراجعها لتعلم حكمها على مطلق اهل الأركان الخمسة بالايمان والاحترام ودخول الجنة ، ولا يخفى على كل من لحظها بطرفه ، او رمقها ببصره او سمع بيانها او عرف لسانها ، امتناع تقييدها ، واستحالة تخصيصها ولذا أجمع المسلمون على عدم تخصيصها بما اخرجه مسلم في اوائل صحيحه من الأحاديث الظاهرة بكفر التارك للصلاة من المسلمين والمقاتل منهم للمسلم والعبد الآبق ، والنائجة على الميت والطاعن في النسب بل قالوا إن الغرض من هذه الصحاح وأمثالها إنما هو تغليظ الحرمة ، وتفضيع المعصية لا الكفر الحقيقي فلتكن الأخبار المتعلقة في السب مثلاً ، على فرض صحتها ، نظير هذه الصحاح ، ويوضح لك ما نقول اجماع الخلف والسلف من اهل السنة على أن من مات موحداً دخل الجنة ولو عمل من المعاصي ما عمل ، كما ستسمعه عن الفاضل النروي قريباً إن شاء الله تعالى .

﴿ الرابع ﴾ ما اورده القاضي عياض في الباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفا ، أن رجلاً من المسلمين سب أبا بكر بمحضر منه رضي الله عنه فقال ابو برزة الأسلمي يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه ، فقال اجلس ليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اه — واخرجه الامام احمد من حديث ابي بكر في صفحة ٩ من الجزء الأول من مسنده .

بالله عليك إذا كان هذا حكم الصديق في من واجهه بالسب وهذه فتواه فيمن تسور على مقامه بالشتم فمن اين نحكم بعده بالتكفير ، وكيف نقضي بوجوب القتل او نفقي بجواز التعزير أنحن أعرف منه بالأحكام أم أحرص على إقامة الحدود ؟ كلا : بل لو ارتد ذلك الساب لأقام عليه حد المرتدين ، ولو

كفر بها لرتب عليه آثار الكافرين وحاشا أبا بكر من تعطيل حدود الله ، او
تبديل احكامه عز وجل .

وقد اقتدى به في ذلك الصالحون ، ونسج على منواله المتورعون كعمر بن
عبد العزيز حيث كتب اليه عامله بالسكوفة يستشير في قتل رجل سب عمر بن
الخطاب (رض) فكتب اليه (كما في الباب المتقدم ذكره من الشفا) لا يحل
قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس ، إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم فمن سبه فقد حل دمه . واخرج محمد بن سعد في احوال عمر بن عبد
العزيز في صفحة ٢٧٩ من الجزء الخامس من طبقاته بسنده الى سبيل بن ابي صالح
قال : إن عمر بن عبد العزيز قال : لا يقتل احد في سب احد إلا في سب نبي -
واخرج احمد من حديث ابي هريرة في صفحة ٤٣٦ من الجزء الثاني من مسنده
أن رجلا شتم أبا بكر - والنبي (ص) جالس فجعل النبي (ص) يعجب
ويتبسم . . . الحديث .

﴿ الخامس ﴾ اجماع فقهاءهم على أن مجرد السب لا يوجب الكفر وقد نقله
من علماء السنة خلق كثير فمنهم فقيه الحنفية في عصره (الامين) ابن عابدين ،
حيث جزم (في كتابيه رد المحتار وتنبية الولاة) بعدم كفر المتأولين في هذه المسألة
وصرح في كليهما بأن القول بكفرهم مخالف لاجماع الفقهاء مناقض لما في متونهم
وشروحهم فراجع من رد المحتار صفحة ٣٠٢ من جزئها الثالث في باب المرتد
لتعلم الحقيقة .

ومنهم صاحب الاختيار ، حيث قال : - كما نص عليه ابن عابدين فيما اشرنا
اليه من رد المحتار : - اتفق الأئمة على تضليل اهل البدع اجمع وتخطئهم ، وسب
احد من الصحابة وبغضه لا يكون كفراً لكن يضل اهـ .

ومنهم ابن المنذر حيث - صرح كما في رد المحتار ايضاً بما يقتضي نقل إجماع الفقهاء على عدم تكفير الخوارج ، وإن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وكفروا الصحابة رضي الله عنهم (١) .

ومنهم صاحب فتح القدير حيث قطع بعدم كفر احد من اهل البدع ، وإن خالف بيده دليلاً قطعياً كالخوارج الذين يكفرون الصحابة ويسبونهم مثلاً ، وذكر أن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون وإنما هو من كلام غيرهم ، قال : ولا عبرة بغير الفقهاء والمنقول عن الفقهاء ما ذكرناه هـ .

ومنهم ابن حجر حيث قال كما في خاتمة الصواعق ، فذهبنا (فيمن يسب) أنه لا يكفر بذلك هـ .

ومنهم الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول حيث نقل القول بعدم كفر أحد من أهل الأركان الخمسة ، من الروافض وغيرهم عن جمهور العلماء والخلفاء من أيام الصحابة إلى زمنه ، فراجع ما نقلناه عنه في الفصل المعقود لفتاوى علماء السنة ومنهم العارف الشعرائي ، حيث قال في آخر المبحث ٥٨ من يواقيته ما هذا لفظه : فقد علمت يا أخي أن جميع العلماء المتدينين امسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة هـ .

وقد أرسل ابن حزم عدم الكفر ارسال المسلمات فقال في صفحة ٢٥٧ من اواخر الجزء الثالث من فصله ، ما هذا لفظه : وأما من سب أحداً من (١) إذا كان هؤلاء مسلمين ، وقد مرقوا من الدين واستحلوا ما حرم الله من دماء المسلمين فالامر في غيرهم سهل يسير وهذا الإجماع دال على ما هو أعسم من المطلوب مثبت لما هو اعظم من المقصود كما لا يخفى .

الصحابة فان كان جاهلاً فمعدور وإن قامت عليه الحجة فمادى غير معاند فهو فاسق ، كمن زنى او سرق وإن عاند الله تعالى ورسوله في ذلك فهو كافر (قال) وقد قال عمر بحضرة النبي (ص) عن حاطب « وحاطب مهاجري بدر » : دغى اضرب عنق هذا المنافق فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً ، بل كان مخطئاً متأولاً هـ .

قلت وحسبك في عدم كفر الموحدين بمجرد هذا ما هو معلوم بحكم البدهة الأولية من اجماع اهل السنة على ان مطلق الموحدين يدخلون الجنة على كل حال قال الفاضل النووي « في باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً من شرح الصحيح » واعلم ان مذهب اهل السنة وما عليه اهل الحق من الخلف والسلف ، أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً ، الى أن قال فلا يخلد في النار احد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل هـ .

﴿ السادس ﴾ انه لا يفتى بالتكفير عندهم إلا ان يكون الموجب للكفر مجعلاً على ايجابه لذلك قال في شرح تنوير الأبصار : واعلم أنه لا يفتى بكفر مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن ، أو كان في كفره خلاف ولو كان ذلك رواية ضعيفة هـ - وقال الخير الرملي (كما في صفحة ٣٩٨ من الجزء الثالث من رد المحتار) ولو كانت « تلك الرواية » لغير اهل مذهبنا واستدل على ذلك باشتراط كون ما يوجب الكفر مجعلاً على ايجابه لذلك - قلت اذا كان التكفير مشروطاً بهذا فكيف يفتى بالكفر في مسألتنا مع ما سمعت من انعقاد الاجماع على عدم الكفر فيها ولو انكر الخصم ذلك الاجماع فحسبه وجود القائل بعدم التكفير فانه مما لا يمكن انكاره كلاً لا يخفى وقد أغرب الناصب اذ حكم بعدم

قبول توبته مع اجماعهم على قبول توبة من يسب الله عز وجل (١)
 فهل هذا إلا تحامل قبيح ، وظلم صريح ، وجرة على الله عز وجل في
 تبديل احكامه واستخفاف فيما شرع الله سبحانه من حلاله وحرامه وما أراه الا
 مدفوعاً على هذه الفتوى من ملوك الجور تحسیناً لأفعالهم أو مستأجراً عليها من
 ولالة الجنف تصحيحاً لأعمالهم .

ولا غرو فان علماء السوء ، وقضاة الرشوة ، يبدلون احكام الله بالتافه ويبيعون
 الأمة بالنزر القليل .

فقاتل الله الحرص على الدنيا ، وقبح الله التهالك على الخسائس ، ما أشد
 ضررها ، وما افطع خطرهما نبذ أولئك الدجالون حكم الله وراء ظهورهم طمعاً في
 الوظائف ، وحكموا بما تقتضيه سياسة ملوكهم رغبة في المناصب وأرجفوا في
 المؤمنين ، وفرقوا كلمة المسلمين ، ولولاهم لتعارفت الأرواح وائتلفت القلوب ،
 وامتزجت النفوس واتحدت العزائم فلم يطمع بالمسلمين طامع ، ولم يرمقهم من
 النواظر إلا بصر خاشع ولكن وأسفاه استحوذ عليهم أولئك المفسدون الذين
 ينحرون دين الله في سبيل الوظائف ويضحون عباده في طلب القضاء والافناء
 فتناكرت بفتاويهم وجوه المسلمين وتباينت بأراجيفهم رغائب الموحدين ، حتى
 كان من تفرق آرائهم وتضارب أهوائهم ما تصاعدت به الزفرات وفاضت منه
 العبرات ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

(١) نسجوا في هذه الفتوى على منوال اليهود إذ اجمعت اخبارهم على ان من شتم الله
 تعالى يؤدب ومن شتم الأخبار يقتل وقد أنكر ذلك عليهم ابن حزم إذ نقله عنهم في
 صفحة ٢٢١ من الجزء الأول من فصله قبل انتهاء الجزء بورقتين ثم قال فاعجبوا لهذا
 واعلموا أنهم ملحدون لا دين لهم اهـ - قلت وهب ان الرافضي كافر فقد نشأ على مذهبه
 وتدين به من قبل البلوغ فلم لا تقبل توبته كما تقبل توبة المجوس والصابئة يا منصفون

« فصل »

١٠

في الإشارة إلى سير ما نسبته الكذابون إلى الشيعة وبيان براءتهم منه ، والغرض من ذلك استئصال شأفة التنافر واقتلاع بذرة التداير وإزالة كل عثرة في طريق الاجتماع ودك كل عقبة في سبيل الوئام وقبل الشروع في المقصود نقدم جملة لا تتم بدونها الفائدة حاصلها أن في أهل السنة من رعى الإمامية بدواهي وفواقر قد علم اليوم (بفضل المطابع وبركة انتشار الكتب وتقلص العصبية ويزوغ الحقائق أنهم في غاية البعد عنها وتمايم التقديس منها ، والرامون لهم بها على أربعة أقسام) القسم الأول طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد التزلف إلى ملوك بني أمية وسلاطين بني العباس ، إذ كانت الشيعة (بعد صفين والطف) أعداء السياسة الأموية واضداد الدولة العباسية ، يجتهدون في رفضها ، ويعملون على نقضها ، ففتكت بهم الحكام وقتلتهم تحت كل حجر ومدر ، ووازرهم على ذلك القراء المراءون والعلماء الدجالون فبلغوا في تسويد صحائف الشيعة كل مبلغ ، وألصقوا بهم كل عائبة ، تهجيناً لمذهبهم ، وتقييحاً لمشرعهم ، وتصحيحاً لما كان يرتكبه بنو أمية من تقتيل أبنائهم ، واستحياء نسائهم وكانوا ينتظرون النرج بسقوط الدولة الأموية ، فلما ملك بنو العباس نسجوا معهم على ذلك المنوال وعملوا مع أئمة أهل البيت افطع الأعمال حتى قضى (الكاظم) في سجونهم وتجرع (الرضا) كأس السم من يد مأمونهم ، وكرهوا قبر الحسين عليه السلام ، وأبادوا نسل محمد صلى الله عليه وآله

الإشارة إلى من أرجف بالإمامية خوفاً منهم ومن رماهم اشتباهاً منه ١٥٣

فعاد على شيعة أهل البيت ذلك البلاء وحلت بهم من ولاية الدولة العباسية وعلمائها تلك اللاؤاء ، الولاية تغنيهم بسهامها وعلماء التزلف ترميمهم بأقلامها — بيد أن ظلم السيف لم يبق وظلم القلم مسجل ما بقيت كتب الضلال ، فالعقل المثبت لا يصدق في حق الشيعة علماء تلك الدولتين ، ولا يعتني بما كان في أيامهما من الأراجيف فانها أكاذيب أوجبتهما سياسة الملك واقتضتها قواعد الظالمين .

﴿ القسم الثاني ﴾ طائفة من العلماء حماتهم على ذلك مجرد الخوف من ميل الناس إلى الشيعة ، ومحض الخذر من اتباع سائر المسلمين لطريقتهم وكأنهم قد استباحوا بذلك تنفير الناس عنهم بكل طريق ، فقالوا ما قالوا ، ونالوا ما نالوا على علم منهم بأن الإمامية منزهون عما افتروه عليهم مقدسون عما نسبوه إليهم ، إلا في مسألة واحدة تتعلق بمباحث الإمامة والسياسة لا تتحاشى منها ، وهي على قواعد الخصم لا توجب اهتماماً زائداً لو أنصفوا لأنها ليست من الأصول عندهم كما لا يخفى .

﴿ القسم الثالث ﴾ طائفة قد التبس الأمر عليهم لأن اسم الشيعة غير خاص بالإمامية بل مشترك بينها وبين فرق كثيرة ، كالأغاخانية والكيسانية ، والناوسية . والخطابية . والفضحية . والواقفية وغيرها فربما وجدوا اقوالاً منكراً ومذاهباً مكفرة لأحدى تلك الفرق الضالة ، التي يطلق عليها لفظ الشيعة فظنوا أنه مذهب الجميع فأرسلوه عنهم إرسال المسلمات ، وأعانهم على ذلك وغر في صدورهم وغيظ في نفوسهم ، يمنعانهم عن التثبت في النقل .

ولله ورع الإمامية وثبتهم ، إذ يرون الكرامية (وهم طائفة من أهل السنة) يذهبون إلى أن الله سبحانه وتعالى مستقر على العرش ، استقرارك على

الارض ويجدون آخرين يقولون بأنه تعالى بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وعادته الملائكة ويلفون الحائطية والحديثة (وهما فرقان من المعتزلة) يقولون بحلول الله عز وجل في بعض الأنبياء ، مقالة النصارى في ابن مريم عليهما السلام نص على ذلك الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) ومع ذلك لم ينسبوا القولين الأولين إلى مطلق أهل السنة ، ولا ألحقوا المقالة الأخيرة بمطلق المعتزلة ، وإنما نسبوا تلك الأقوال إلى أربابها وقصروها على اصحابها ، فلم ينسب غيرهم مقالة الخطائية والناووسية مثلاً إلى مطلق الشيعة يا منصفون ؟ .

﴿ القسم الرابع ﴾ جماعة قد اعتمدوا في نقل تلك الدواهي والطامات عن الشيعة على من تقدمهم من علماء سلفهم إذ رأوهم ينقلون شيئاً فنقلوه ووجدوا أثراً فاتبعوه ولو رجعوا في معرفة اقوال الامامية إلى علماءهم وأخذوا مذهبهم في الأصول والفروع من مؤلفاتهم ، لكان أقرب إلى الثبوت والورع - وما أدري كيف نبذوا في هذا المقام كتب الامامية على كثرتها وانتشارها واعتمدوا على نقل اعدائهم المرجفين وخصائهم المجازفين الذين تحكوا في تضليلهم وسلقهم بالسنة الاقتراء وهذا عصر لا يصغى فيه إلى من يرسل نقله ارسال الكذابين ، أو يطلق كلامه إطلاق الموهين ، حتى يرشدنا إلى المأخذ ، ويدلنا على المستند ، وقد طبع في اماكن من فارس والهند ، ألوف من مصنفات أصحابنا في الفقه ، والحديث ، والكلام ، والعقائد والتفسير والأصول والأوراد ، والاذكار ، والسلوك ، والأخلاق ، فليطلبها من اراد الاستبصار ، ولا يعول على كتب المبولين الذين بثوا روح البغضاء في جسم المسلمين ، ونقلوا عن الشيعة كل إفك ميين ، واليك منه ما عقد الفصل لذكره .

قال ابن حزم الظاهري في صفحة ١٨٢ من الجزء الرابع من الفصل ما هذا نصه : ومن الإمامية من يجيز نكاح تسع نسوة ، ومنهم من يحرم الكرنب (وهو نوع من السلق يشبه القنبيط) لأنه إنما نبت على دم الحسين (١) ولم يكن قبل ذلك — قلت أما نكاح ما زاد على الأربع ، فاجماع الإمامية قاطبة نصا وفتوى على حرمة وهذا الحكم من ضروريات مذهبهم بحيث لا يشبه فيه أحد منهم ، وأما الكرنب فليس له في كلام الإمامية عنوان مخصوص وحكمه عندهم حكم الخس والفجل واللفت وأشباهها وأنا أنشدكم أيها الباحثون بعزة الحقيقة ، وناموس العدل وشرف الانصاف أن تستقصوا فقه الإمامية وأصولهم وتستقرئوا حديثهم وتفسيرهم وتصفحوا قديم كتبهم وحديثها مختصرها ومطولها متونها وشروحها فإن وجدتم أثراً لما قال فالشيعة ليست على شيء من الحق وإلا فابن حزم وامثاله من اكذب الخلق ، وقد أرجف بالإمامية في غير هذا المقام من فصله إرجافاً لا يصدر من ذي دين وكذب عليهم أكاذيب لا تكون من ذي يقين ، وظلمهم ظلاماً لا يقدم عليه مؤمن بالعباد وبمبتهم بهتان من لا يخشى الله ولا يستحي من العباد ونحن بسبب انتشار كتب الإمامية في غنى عن التصدي لتزييف أقاويله وتكذيب أبائيله على أن الرجل لم يقتصر في ظلمه على الشيعة خاصة بل ظلم أئمة أهل السنة وبهت علماء المعتزلة وكفر كثيراً من السلف ولم يكذب أحد يسلم من أسانه حتى قال ابن العريف (كما في ترجمة علي بن أحمد بن حزم من الوفيات) كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين — وحسبك

(١) الإمامية أجل من أن تعول في احكام الله على الخرافات الباردة والثرهات

المسخنة كهذه الحكاية وامثالها .

ما نقله في شنع المرجئة عن الامام الأشعري واصحابه ، من أن إعلان الكفر باللسان وعبادة الأصنام والاثوثان بلا تقية ولا عذر ، لا ينافيان مقام الولاية لله عز وجل ، فراجع صفحة ٢٠٤ من الجزء ٤ من الفصل ، ونقل في الصفحة الأولى من الجزء ٤ ايضاً عن الباقلاني القول بجواز كل فسق وكفر على الأنبياء ، حاشا الكذب في البلاغ ونقل في صفحة ٢٠٥ من الجزء ٤ ايضاً عن بعض الأشاعرة القول بجواز الكذب في البلاغ على الأنبياء ونقل عن السمناني وهو من أئمة الأشاعرة في صفحة ٢٢٤ من الجزء الرابع تجويز الكفر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونسب إلى محمد بن الحسن بن فورك ، وسليمان بن خلف الباجي وهما من أئمة الأشعرية ، أموراً عظيمة يطول المقام بتعدادها والغرض أن الرجل لا يستحيي من الكذب ولا يتأثم من البهتان وقد أجمع فقهاء عصره (كما في ترجمته من الوفيات) على تفضيله — وذكره ابن خلدون في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشيرة فكان مما قال فيه ونقم الناس عليه واوسعوا مذاهبه استهجاناً وانكاراً وتلقوا كتبه بالاغفال والترك حتى انه ليحظر بيعها في الأسواق ، وربما تمزق في بعض الاحيان اه فلا يغتر احد بما ينقله عن الامامية وغيرهم (يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . على أن الرجل من موالي يزيد بن معاوية ، فلاحظ نسبه في الوفيات ، ولذا فضل أم حبيبة بنت ابي سفيان على ابي بكر وعمر وعثمان حيث تكلم في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة ، واختار تفضيل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، على جميع من عدا الأنبياء من سائر الناس

واعتمد في ذلك على خزعات مسخنة وترهات باردة وتشبث بسفاسف فاضحة وتمويهات واضحة فليراجعها كل مغرور بابن حزم في صفحة ١١٢ وما بعدها إلى صفحة ١٣٤ من الجزء الرابع من الفصل وليعجب وقد ظهر منه في تلك المقامات وما بعدها نصب عظيم لأئمة المؤمنين وعداوة لأهل البيت بالغة حتى فضل صبيها (في صفحة ١٥٢ من الجزء الرابع) على العباس وبنيه وعلى عقيل وبنيه وعلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام وانكر كل فضيلة لأهل البيت فراجع .

ونسج على منواله في بهت الإمامية جماعة كثيرون منهم الشهرستاني في الملل والنحل إذ ألحق بهم كل مستهجن والصق فيهم كل قبيح — ذكر أنهم اختلفوا بعد الإمام أبي محمد الحسن العسكري إحدى عشرة فرقة والله يعلم أنهم لم يفتروا في أصول الدين أو شيء من العقائد وإنما أراد بتفريقهم اطفاء نورهم ، وليته أسند شيئاً من الأقاويل التي نقلها عن تلك الفرق إلى كتاب يتلى ، أو شخص خلقه الله تعالى وليته أخبرنا عن بلاد واحدة من تلك الفرق أو زمانها أو اسمها فانه قال وليس لهم القاب مشهورة ولكننا نذكر اقوالهم — بالله عليك هل سمعت بفرق متخاصمة ونحل آراؤها متعاركة لا يعرف لهم في الاحياء والأموات رجل ولا امرأة ولا يوجد في الخارج لهم مسمى ولا اسم .

وقد نقل عن زرارة بن اعين وهشام بن الحكم (١) ومؤمن الطاق محمد بن النعمان وهشام بن سالم أموراً ترتعد منها الفرائص ، وتقشعر الجلود ،

(١) قد استوفينا الرد في هذه المسألة على الشهرستاني في كتابنا مختصر الكلام

في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام فراجع ما نشر منه في صفحة ١٨٩ وفي صفحة ٢٣١ من المجلد الثاني من العرفان .

فلم يقدح ذلك في سمو مقامهم وعظيم خطرهم عند الله ورسوله والمؤمنين وما أدري كيف اختص الشهرستاني واصحابه بالاطلاع على اقوال هؤلاء الاعلام دوننا ، مع أنهم سلفنا وفرطنا قد بحثنا عن رأيهم وأخذنا من الدين بهديهم فنحن أعرف الناس بمذاهبهم وصحاحنا مشحونة من حديثهم واسفارنا مملوءة من اقوالهم في الكلام والتفسير والفقه واصوله وفي ايدينا جملة احوالهم ، وتفاصيل اخبارهم فلا يجوز أن يخفى علينا من احوالهم ما ظهر لغيرنا ، مع بعده عنهم في المشرب ، ومخالفتهم لهم في المذهب وكونهم ليسوا محلا لا بتلائه في شيء من أمور الدنيا والدين ولو رأيتهم يذهبون إلى ما عزاه الشهرستاني اليهم لبرأنا منهم كما هي سندا فيمن نراه معوجا عن الحق أو منتجها نهج الضلال وقد عرضنا عن بعض اولاد أئمتنا (مع شدة اخلاصنا لهذا البيت الطاهر) وكفرنا جماعة ممن صحبتهم وفسقنا آخرين وضعفنا قوما واسكننا عن قوم آخرين كما يشهد به الخير بطريقتنا ، فلو كان هؤلاء كما ذكره الشهرستاني لم يعظم علينا تكفيرهم ولا لحقناهم بأي الخطاب (محمد بن مقلص الاجدع) وبالمغيرة بن سعيد وعبد الله بن سبا والخثار بن ابي عبيد وامثالهم لكن اعداء اهل البيت عمدوا إلى اكابر اصحابهم فرموهم بهذه الطامات كي يسقطوهم من أعين الناس حسداً منهم وبغيا ثم جاء الشهرستاني فرأى أثراً فاتبعه . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد بلغت القحة ببعض المتعصين إلى رمي التناول (وهم الامامية في عرف سوريا) بانكار الصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر الواجبات حتى نقل ذلك عنهم جودت باشا كما في صفحة ٣٦٦ من الجزء

الرد على من نسب اليهم حرمة لحم الابل وعدم العدة على النساء ١٥٩

الأول من ترجمة كتابه المطبوع في بيروت سنة ١٣٠٨ (١) فاعجبوا لهذه
الاكاذيب الدالة على حق الكاذب وقلة حياته ، نعوذ بالله من الخذلان .

وربما أفك بعض المخرفين فنسب إلى الشيعة أنهم لا يأكلون لحوم الابل ،
هذا مع ما ينحر من الجزر كل يوم في مشاهد الأئمة عليهم السلام وغيرها من
بلاد الامامية ولا سيما في النجف الأشرف وهي عاصمة فقهاءهم على أن من راجع
من فقههم باب الاطعمة والاشربة لا يجدهم يفتنون بكراهة الابل كما يفتنون
بكراهة الخيل والبغال والحمير بل يذكرون الابل في غير المكروه قبل البقر
والغنم والمعز وفي باب الذبابة يصرحون بأن تذكية الابل ينحرها في وهدة البلة
وهذا أمر من الضروريات لا يجمله احد منهم أصلا .

وأعجب من هذا نسبة بعض الآفكين إلى الشيعة عدم إيجاب العدة على
النساء مع أنهم أحوط في هذه المسألة من غيرهم ضرورة أن المتوفى عنها زوجها
تعتد بأربعة اشهر وعشر ليال مبدؤها عندهم علمها بوفاة وعند غيرهم مبدؤها نفس
وفاته وتظهر الثمرة فيما لو علمت اليوم أنه مات منذ اربعة اشهر وعشر ليال أو
اكثر فانها لا تتزوج على رأيهم حتى تتربص المدة وعند غيرهم تتزوج في تلك
الساعة — وأيضاً إذا مات عنها وهي حامل تتربص عندهم بأبعد الأجلين ، من
وضع الحمل ومضي المدة فلو مضت المدة قبل وضع الحمل لا تتزوج عندهم حتى
تضع حملها ، وكذا لو وضعت قبل مضي المدة — وإن أردت التفصيل ،

(١) ذكرنا في كتاب مؤلفي الشيعة كلام جودت واستوفينا المقام في رده فراجع
ما نشر منه في صفحة ١٩٠ من المجلد الثاني من العرفان وقد سمعت في الفصل السابق
حال الامامية في إيجاب الواجبات وتحريم المحرمات فلا وجه للإعادة .

فعليك بفقهِ الامامية وحديثهم وتفسيرهم وقد ملأت انحاء الهند وارجاء فارس وانتشرت في العراقين وسوريا وسائر بلاد الاسلام وأنا ارشدك إلى أسماء بعض ما هو مطبوع منها إكمالاً للفائدة وخدمة للعلم فمن الكتب الفقهية شرائع الاسلام وجواهر الكلام ومسالك الافهام ومدارك الاحكام وكشف اللثام ومفتاح الكرامة وتذكرة العلامة والبرهان القاطع والمختصر النافع والروضة البية في شرح المعية الدمشقية وجامع المقاصد في شرح القواعد إلى ما لا يحصى من الكتب المطولة فضلاً عن المختصرة وحسبك من حديثهم وسائل الشيعة ، إلى احكام الشريعة ومن تفسيرهم مجمع البيان في تفسير القرآن فراجعها لتعلم الحقيقة والله المستعان على ما تصفون .

« فصل ^(١) »

١١

كنّا نظن العصبية العمياء تقلصت وأيامها الوحشية تصرمت وأن المسلمين أحسوا اليوم بما حل بهم من المنازعات والمشاغبات ، التي تركتهم طعمة الوحوش والحشرات وكنّا نقول بزغت الحقائق بفضل المطابع وانتشار كتب الشيعة فلا أفاك ولا بهات ولا راي لهم بعدها بهنات لكن النواصب أبوا إلا إيقاظ الفتنة النائمة وإيقاد الحرب العوان (تفريقاً بين المؤمنين وارضاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا

(١) انما عمدنا هذا الفصل وزدناه فيما زدناه في هذه الطبعة (اعني الطبعة الثانية) تأثراً من هؤلاء النواصب الكذبة وائس لم ينتهوا لتعذرنا الى الله عز وجل بهم .

إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون .

قام في سوريا من حشالة الأمويين طعام دأبهم العبر والخر يدعون الى سلفهم الفاجر يريدون ليعيدوها اموية يزيدية هيأما في مجاهل ضلالهم ، وتسكعاً في مغاوز محالهم - ركبوا في ذلك رؤوسهم وأرخوا فيه أعنة أقلالهم ، فألحقوا بالشيعية كل مستهجن وبتوهم بكل عائبة « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .

خط قرد يزيد في خطته وفي مجلة الامويين قوارص ترتعد منها الفرائص ، لكن فتيان المؤمنين خصموه فخطموه وقدعوه فقمعوه لاشلت أيمانهم .
ونشب النشاشيبي منشب سوء فلم ينشب أن أبكم فالخم وانكبج فافتضح والحمد لله رب العالمين .

وصوبَّ النصولي نصوله على الامام فنصل بذلك من دين الاسلام وقد طاش سهمه وسفه رأيه وخولط في عقله فهو في (كتابه) أحق دال (١) ومن شك فليراجع .
ومع ذلك فقد كال الكيالي بصاعه وانتظم في سلك أتباعه فثار ثائر هوجه وهبت عواصف رعنه فبرهن بما كتب على اطفاء شعلة ذهنه وفلول شبابة عقله « وخسر هنالك المبطلون » . « ومن يضل الله فما له من هاد » .

ما لهؤلاء السفهاء والتطوع في هذا الجيش الوهمي وما كان أغناهم عن ذلك الارجاف والاجفاف ، وما هذا الهوس الحزبي الذي ألماته السنون بيعثه هؤلاء العادون ليشقوا عصا المسلمين وياقوا بأسهم بينهم .

وإن من عصب برأسه العار وخطم أنفه بالشار وعافر المدام (١) وهو الذى لا يزال دالغ الانسان وذلك غاية الحق .

وعانق الغلام وأضاع الصلاة واتبع الشهوات لجدير بالموبقات ، وحقيق بالمفديات المخزيات :

ولو أني بليت بهاشمي خوّلتَه بنو عبد المسدان
لهان عليّ ما ألقى ولكن تعالوا وانظروا بمن ابتلائي

ولقد أسرف منار الخوارج بما أرفج وأجحف وبغى وطفى وبهت الشيعة بهتاناً عظيماً « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرمي به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » شها (في مجلده التاسع والعشرين) غارة ملحاحا أوسعت قلب الدين وأهله جراحاً إيقاداً للفتنة وتمسكا بقرن الشيطان وتزلفاً لخوارج القرن الرابع عشر وابتغاء لعرض الدنيا « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون .

وتباً وترحاً لمن يتلوّن كالخرباء ، ويدين بالسياسة كيف تشاء ،

فيوماً مجزوى ويوماً بالعقيق وبالغديب يوماً ويوماً بالخليصاء

نشر المنار (١) دعايته الى النصب والخرافات والتفريق بين المسلمين بالتمويه والترهات وادرج لذلك الناصب الكاذب رسالة خالية الوطاب إلا من الافك والسباب فأين النهضة التي يزعم المنار قيامه بها على أساس الوحدة الاسلامية وأين ما يدعيه من مجاهدة البدع والخرافات هيئات هيئات (لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها) ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ونعوذ بك من طغوى نفوسهم وسفه أحلامهم وعمه بصائرهم وبغى طغاهم ونبرأ اليك من نعرتهم الموقوتة وعصبيتهم الملعونة فقد شقوا بها عصا المسلمين وكان بسببها من الفشل

(١) في الجزء ٦ وما بعده من المجلد ٢٩ تباعاً .

وذهب ربح الاسلام ما يفري المرائر ويمزق لفائف القلوب .

وهناك أفاضل نحماهم على الصحة في سوء ظنهم بالشيعي وبنزهم إياه بالرفض ونسبتهم الأباطيل اليه حيث أنسوا بناحية من تقدمهم ممن رأوه ينز الشيعة ويلزمهم فنحوا نحوه وتلو في ذلك تلوه إخلاداً اليه بثقتهم واعتماداً عليه في كل ما يقول فلا تثريب إذن على الوحيد الرافعي إذا قال (١) إن الرافضة شكوا في نص القرآن وقالوا إنه وقع فيه نقص وزيادة وتغيير وتبديل اه .

ولا جناح علينا اذا سأله فقلنا له من تعني هنا بالرافضة ، أ تعني الامامية أم غيرهم ، فان غيتهم فقد كذبك من أغراك بهم وكل من نسب اليهم تحريف القرآن فانه مقتر عليهم ظالم لهم لأن قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الاسلامي ومذهبهم الامامي ومن شك فيها من المسلمين فهو مرتد باجماع الامامية فاذا ثبت عليه ذلك قُتل ثم لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين - وظواهر القرآن (فضلا عن نصوصه) من أبلغ حجج الله تعالى وأقوى أدلة أهل الحق بحكم البداة الأولية من مذهب الامامية ولذلك تراهم يضربون بظواهر الأحاديث المخالفة للقرآن عرض الجدار ولا يأتبون بها وإن كانت صحيحة وتلك كتبهم في الحديث والفقه والاصول صريحة بما نقول .

والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواتراً قطعياً الى عهد الوحي والنبوة وكان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس مؤلفاً على ما هو

عليه الآن وكان جبرائيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن في كل عام مرة وقد عارضه به عام وفاته مرتين .
والصحابا كانوا يعرضونه ويتلونه على النبي حتى ختموه عليه صلى الله عليه وآله وسلم مراراً عديدة ، وهذا كله من الامور المعلومة الضرورية لدى المحققين من علماء الامامية ولا عبرة بالخشوية فانهم لا يفقهون .
وبالباحثون من أهل السنة يعلمون أن شأن القرآن العزيز عند الامامية ليس إلا ما ذكرناه والمنصفون منهم يصرحون بذلك .

قال الامام الهمام الباحث المتتبع رحمة الله الهندي (رضي الله عنه) في صفحة ٨٩ من النصف الثاني من كتابه النفيس (اظهار الحق) ما هذا لفظه :
القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل ، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقلوه مردود غير مقبول عندهم (قال) قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الذي هو من أعظم علماء الامامية الاثني عشرية في رسالته (١) الاعتقادية (اعتقادنا في القرآن أن القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة ، وعندنا والضحي وألم نشرح سورة واحدة ، ولا يلاف وألم تر سورة واحدة . ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب) انتهى .

(قال الامام الهندي) وفي تفسير مجمع البيان (٢) الذي هو تفسير معتبر عند الشيعة ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذوالمجد أبو القاسم علي بن الحسين

(١) المطبوعة المنتشرة . (٢) المطبوع مراراً في إيران .

الموسوي (أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجموعاً مؤلفاً على ما هو الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة ختمات وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث (قال الهندي) وذكر أن من خالف من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته) انتهى .

(قال الامام الهندي) وقال السيد المرتضى أيضاً (إن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام المشهورة وأشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وبلغت الى حد لم تبلغ اليه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء فيه من اعرابه وقراءته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد) انتهى .

(قال الامام الهندي) وقال القاضي نور الله التوستري الذي هو من علمائهم المشهورين في كتابه المسمى بمصائب النواصب (ما نسب الى الشيعة الامامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الامامية إنما قال به شذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم) انتهى .

(قال الامام الهندي) وقال الملا صادق في شرح الكليني (يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر ويشهر به) انتهى .

(قال الامام الهندي) وقال محمد بن الحسن الحر العاملي الذي هو من كبار المحدثين في الفرقة الامامية في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه (هر كسيكه تتبع اخبار وتفحص تواريخ وآثار نموده بعلم يقيني ميدانده كه قرآن درغايه واعلى درجه تواتر بوده وآلاف صحابه حفظ ونقل ميگردند آن راودر عهد رسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم مجموع ومؤلف بود) انتهى .

(قال الامام الهندي) فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الامامية الاثني عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك وأنه كان مجموعاً مؤلفاً في عهد رسول الله (ص) وحفظه ونقله الوف من الصحابة — وجماعة من الصحابة كعبدالله بن مسعود ، وابي ابن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر رضي الله عنه . (قال) والشرزمة القليلة التي قالت بوقوع التغيير فقولهم مردود عندهم ولا اعتداد به فيما بينهم (قال) وبعض الأخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته (قال) وهو حق لأن خبر الواحد اذا اقتضى علماً ولم يوجد في الأدلة القاطعة ما يدل عليه وجب رده على ما صرح به ابن المطهر الحلي في كتابه المسمى بمبادي الوصول الى علم الاصول وقد قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . (قال) ففي تفسير الصراط المستقيم الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة « أي إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان » انتهى .

هذا كلام الامام الهندي عينا ، وإنما اكتفينا بما نقله من كلام أعلام الشيعة الامامية المسطور في كتبهم المعبرة لأن الاستقصاء يوجب الخروج عما أخذناه على أنفسنا من اجتناب الاطناب الممل .

ومن أراد النقل عن الطوائف والامم فليقتف أثر هذا الامام في الاستناد الى الكتب المعبرة عند تلك الامة أو الطائفة ولا يعول (في النقل عنها) على المرجفين من خصائنها والألداء من أعدائها .

وأنا أكبر السفر الجليل « تحت راية القرآن » واقدر قدر مؤلفه « المصطفى الصادق » وأعلم أنه بعيد الغاية رزين الحصة — وكنت أربأ به وبسفره الثمين المؤلف لعموم المسلمين عن جرح عواطف الشيعة وهم ركن الدين وشرط المسلمين ، وفيهم الملوك والامراء والعلماء والادباء والكتبة والشعراء ، والساسة المفكرون والدهاة المدبرون وأهل الحمية الاسلامية والنفوس العبقرية ، والشمم والكرم والعزائم والهمم ، وقد انبثوا في الأنحاء وانتشروا في الأرض انتشار الكواكب في السماء ، فليس من الحكمة ولا من العقل أن يستهان بهم ، وهم أهل حول وقوة ، وخصى وثروة ، وأموال مبدولة في سبيل الدين وأنفس تتمنى أن تكون فداء المسلمين .

وليس من الثبوت أن يعتمد « في مقام النقل عنهم » على إرجاف المرجفين وإجحاف المجحفين « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .



« فصل »

١٢

نوضح فيه سبب التباعد بين الطائفتين ، ونكشف عن مكنون السر في تنافرها ، زيادة على ما سمعت في الفصول السابقة ، والغرض تشخيص الداء ، لنصف الناجع فيه من الدواء فهنا مقصدان .

المقصد الاول

في الامور التي ينفر منها الشيعي ولا يكاد يمتزج بسببها مع السني وأهمها شيان :
﴿ الأول ﴾ ما سمعته في الفصول السابقة ^(١) من التكفير والتحقير والشتم والتزوير .

﴿ الثاني ﴾ اعراض اخواننا أهل السنة عن مذهب الأئمة من أهل البيت ، وعدم الاعتناء بأقوالهم في اصول الدين وفروعه بالمرّة وعدم الرجوع اليهم في تفسير القرآن العزيز (وهو شقيقهم) إلا دون ما يرجعون فيه الى مقاتل بن سليمان المجسم المرجى . الدجال وعدم الاحتجاج بحديثهم إلا دون ما يحتاجون بدعاة الخوارج والمشبهة والمرجئة والقدرية ، ولو أحصيت جميع ما في كتبهم من حديث ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما كان إلا دون ما أخرجه البخاري وحده عن عكرمة البربري الخارجي المكذّب — وأنكى من هذا كله عدم احتجاج البخاري في صحيحه بأئمة أهل البيت النبوي ، إذ لم يرو شيئاً عن الصادق

(١) ولا سيما التاسع والعاشر والحادي عشر .

عدم احتجاج البخاري بأئمة اهل البيت مع احتجاجه بدعاة الخوارج ١٦٩

والكاظم والرضا والجواد والمهدي والزيكي العسكري ، وكان معاصراً له ولا روى عن الحسن (١) بن الحسن ، ولا عن زيد بن علي بن الحسين ، ولا عن يحيى ابن زيد ، ولا عن النفس الزكية محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن الرضا بن الحسن السبط ، ولا عن أخيه إبراهيم بن عبد الله ، ولا عن الحسين الفخي بن علي ابن الحسن بن الحسن ، ولا عن يحيى بن عبد الله بن الحسن ، ولا عن أخيه إدريس بن عبد الله ، ولا عن محمد بن جعفر الصادق ولا عن محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن المعروف بابن طباطبا ، ولا عن أخيه القاسم الرسي ، ولا عن محمد بن محمد بن زيد بن علي ، ولا عن محمد بن القاسم ابن علي بن عمر الأشرف ابن زيد العابدين صاحب الطالقان المعاصر البخاري (٢) ولا عن غيرهم من اعلام العترة الطاهرة وأغصان الشجرة الزاهرة ، كعبد الله بن الحسن وعلي بن جعفر العريضي وغيرهما من ثقل رسول الله ، وبقية في أمته صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى أنه لم يرو شيئاً من حديث سبطه الأكبر وريحانته من الدنيا أبي محمد الحسن المجتبى سيد شباب اهل الجنة ، مع احتجاجه بداعية الخوارج واشدهم عدواة لأهل البيت (عمران بن حطان) القائل في ابن ملجم ، وضربته لأمير المؤمنين عليه السلام :

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إني لأذكره يوماً فأحسبه
أففى البرية عند الله ميزانا
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

(١) الحسن بن الحسن هو الإمام بعد عمه الحسين السبط علي رأى الشيعة الزيدية وبعده زيد ثم من ذكرناهم بعد زيد وترتيبهم في الإمامة على حسب ما رتبناهم في الذكر عليهم السلام .

(٢) قتل في العراق سنة ٢٥٠ قبل وفاة البخاري بست سنوات .

أما ورب الكعبة ، وباعث النبيين ، لقد وقفت هنا وقمة المدهوش ، وقت مقام المذعور ، وما كنت احسب أن الأمر يبلغ هذه الغاية وقد باح العلامة ابن خلدون بسرها المكشون حيث قال (في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة بعد ذكر مذاهب اهل السنة) ما هذا لفظه : وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها ، وفقه انفردوا به ، وبنووه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة (١) بالقدح وعلى قولهم بعصمة الأئمة ، ورفع الخلاف عن اقوالهم ، وهي كلها أصول واهية (٢) (قال) وشذ بمثل ذلك الخوارج (٣) ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم ، بل أوسعوها جانب الانكار والقدح ، فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم (٤) ولا نروى كتبهم ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم ، فكتب

(١) ما أدري كيف يمكن أن تبني المذاهب الفقهية على تناول بعض الصحابة بالقدح وما عرفت كيف تستنبط الأحكام الشرعية الفرعية من تناول أحد من الناس وابن خلدون يعد من الفلاسفة فما هذا الهذيان منه يا أولى الألباب .

(٢) إن أصحابنا «الإمامية» أثبتوا في كتبهم الكلامية عصمة أئمتهم بالأدلة العقلية والنقلية والمقام لا يسع بيانها ولو تصدينا لها لخرجنا عن موضوع هذه الرسالة وحسبك دليلاً على عصمتهم كونهم بمنزلة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل وكونهم أمان هذه الأمة من الاختلاف فإذا خالفتهم قبيلة من العرب كانت حزب إبليس وكونهم سفينة النجاة وباب حطة هذه الأمة وكونهم النافين عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(٣) أنظر كيف جعل اهل البيت (الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) شذاذاً مارقة كالخوارج نعوذ بالله .

(٤) كذب ابن خلدون نفسه في هذه الكلمة فإنه اذا كان لا يعرف شيئاً من مذاهبهم ولا يروى كتبهم ولا أثر لشيء منها عنده فمن اين عرف انهم شذاذ ضلال مبتدعون ومن أين عرف أن أصولهم واهية « قتل الخراصون » .

الشيعية في بلادهم ، وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن -
والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتأليف وآراء في الفقه غريبة . هذا
كلامه فتأمله واعجب .

ثم رجع إلى مذاهب اهل السنة فذكر انتشار مذهب ابي حنيفة في العراق ،
ومذهب مالك في الحجاز ، ومذهب احمد في الشام وفي بغداد : ومذهب الشافعي
في مصر ، وهنا قال ما هذا لفظه : ثم انقرض فقه اهل السنة من مصر بظهور دولة
الرافضة ، وتداول بها فقه اهل البيت (١) وتلاشى من سواهم ، إلى أن ذهبت
دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب ، ورجع اليهم
فقه الشافعي الخ .

إذا وصف الطائي بالبخل مادر ومُعبرٌ قسًا بالفهاة باقل
وقال السهي للشمس انت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارضُ السماء سفاهة وكاثرت الشهب الحصى والجنادل
وقال ابن خلدون وأمثاله إنهم على الهدى والسنة وأن أهل البيت شذاذ
مبتدعة ، وضلال رافضة .

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن سبقك هازل
ولا غرو ان قام المسلم عند سماع هذه الكأمة وقعد ، بل لا عجب إن
مات أسفًا على الاسلام وأهله ، إذ بلغ الأمر هذه الغاية ، فلا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم .

(١) أنظر كيف اعترف بأن الرافضة يدينون الله بمذهب اهل البيت .

لكن ذخركم ان النبي ورهطه	وجيلهم ذخري إذا التمس الذخر
جعلت هواي الفاطميين زلفة	إلى خالقي ما دمت او دام لي عمر .
وكوفي ديني على أن منصبي	شام ونجري أية ذكر النجر

أيقول ابن خلدون أن أهل البيت شذاذ ضلال مبتدعون ، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس بنص التنزيل (١) وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢) بأمر ربه الجليل ، وقد فرض القرآن مودتهم (٣) وأوجب الرحمن ولايتهم (٤) وهم سفينة النجاة (٥) إذا طغت لجج النفاق ، وأمان الأمة (٦) إذا عصفت عواصف الشقاق ،

(١) إشارة إلى قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فراجع ما علمناه على هذه الآية في الفصل الثاني من المطالب الأول من كتابتنا الغراء (٢) إشارة إلى قوله تعالى فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل الآية فراجع ما علمناه عليها في الفصل الأول من الكلمة الغراء أيضا (٣) إشارة إلى قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى فراجع ما علمناه عليها في الفصل الثالث من الكلمة الغراء .

(٤) إشارة إلى ما أخرجه الديلمي وغيره — كما في الصواعق وغيرها — عن أبي سعيد الخدري أن النبي «ص» قال وقتوهم إنهم مسئولون . عن ولاية علي . وقال الإمام الواحدى — كما في تفسير هذه الآية من الصواعق أيضا — إنهم مسئولون عن ولاية علي وأهل البيت .

(٥) قال ابن حجر في صفحة ٣٣ من صواعقه حيث تسكلم في تفسير الآية ٧ من الآيات التي أوردتها في الباب ١١ من الصواعق ما هذا لفظه : وجاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضا : إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا « قال » وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق « قال » وفي رواية هالك الخ .

(٦) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق . وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتمهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس أخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً وصححه على شرط البخاري ومسلم كما في صفحة ٣٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر حيث تسكلم في الآية ٧ من الباب ١١ — وأخرج ابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما والترمذي في نوادر الأصول —

وباب حطة (١) يأمن من دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها ، وأحد الثقلين (٢) لا يضل من تمسك بهما ، ولا يهتدي إلى الله من ضل عن أحدهما وقد أمرنا صلى الله عليه وآله وسلم بأن نجعلهم من مكان الرأس (٣)

— وابو يعلى والطبراني والحاكم عن سلمة بن الأكوع قال قال رسول الله (ص) النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي — وقد نقله الحافظ السيوطي في كتاب أحياء الميت بنضائل اهل البيت والنبهاني في اربعينه وغير واحد من العلماء .

(١) إشارة إلى قول رسول الله «ص» مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ومثل باب حطة في بني اسرائيل : أخرجه الحاكم عن ابى ذر عليه الرحمة - وأخرج الطبراني في الصغير والأوسط عن ابى سعيد قال سمعت النبي «ص» يقول إنما مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق وإنما مثل اهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له .

(٢) إشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به ان تصلوا بعدى الثقلين كتاب الله وعترتى اهل بيتى وان يفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخزنونى فيهما : أخرجه الترمذى والحاكم كما فى أحياء الميت للسيوطى وهو من الأحاديث المستفيضة رواه أكثر المحدثين بالفاظ متقاربة واسانيدهم فيه صحيحة : قال ابن حجر بعد نقله اياه عن الترمذى وغيره فى أثناء تفسيره الآية الرابعة من الباب ١١ من صواعقه ما هذا لفظه : ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا « قال » ومرة طرق مبسوطة فى حادى عشر الشبه وفى بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفى أخرى أنه قاله بالمدينة فى مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وفى أخرى أنه قال ذلك بغدير خم وفى أخرى أنه قاله لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف « قال » ولا تنافى اذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة الى آخر كلامه فراجعها فى صفحة ٩٢ من الصواعق .

(٣) إشارة الى ما نقله غير واحد من الأعلام كالعلامة الصبان فى الصفحة ١١٤ من اسعافه المطبوع فى هامش نور الأبصار حيث قال ما هذا لفظه : وروى جماعة —

من الجسد ، بل مكان العينين من الرأس ، ونهانا عن التقدم عليهم « ١ » والتقصير عنهم ، ونص على أنهم القوامون على الدين ، النافون عنه في كل خلف من هذه الأمة « ٢ » تحريف الضالين ، وقد أعلن صلى الله عليه وآله وسلم ، بأن معرفتهم براءة من النار « ٣ » وحبهم جواز على الصراط ، والولاية لهم أمان من العذاب - وأن الأعمال الصالحة لا تنفع عامليها إلا بمعرفة حقهم « ٤ »

— من اهل السنن عن عدة من الصحابة أن النبي « ص » قال مثل اهل بيتي فيسكنكم كسيفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك « قال » وفي رواية غرق قال وفي رواية أخرى زج في النار « قال » وفي أخرى عن أبي ذر زيادة وسمعتة يقول اجعلوا اهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس .

« ١ » اشارة الى قوله « ص » في حديث التمسك بالثقلين فلا تقدموهما فتهاكما ولا تقصروا عنهما فتهاكما ولا تعلموهما فانهم اعلم منكم ونقله عن الطبراني غير واحد من العلماء كالإمام أبي بكر العلوي في الباب ٥ من رشفة الصادي وابن حجر حيث تكلم في تفسير الآية الرابعة في الباب ١١ من صواعقه .

« ٢ » اشارة الى ما أخرجه الملا في سيرته بسنده الى رسول الله « ص » قال في كل خلف من أمتي عدول من اهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الا وأن أئمتكم وفدكم الى الله فانظروا من توفدون - وقد نقله ابن حجر في صفحة ٩٢ من صواعقه .

« ٣ » اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب : رواه القاضي عياض في الفصل الذي عقده لبيان ان من توقيره وبره « ص » برآله وذريته من كتابه « الشفاء » فراجع اول صفحة ٤١ من قسمه الثاني طبع الاستانة سنة ١٣٢٨ « ٤ » اشارة الى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزموا موتنا اهل البيت

فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا - أخرجه الطبراني في الاوسط ونقله السيوطي في احياء الميت بفضائل اهل البيت والنبهاني في اربعينه .

ولا نزول يوم القيامة قدما أحد من هذه الأمة (١) حتى يسأل عن حبيبهم ولو أن رجلا أفنى عمره قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً بين الركن والمقام ثم مات غير موال لهم دخل النار (٢) .

فهل يحسن من الأمة المسلمة بعد هذا أن تجري إلا على أسلوبهم ، وهل يتسنى لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يستن بغير سنتهم ، فكيف يعدهم ابن خلدون في اهل البدع بكل صراحة ووقاحة من غير خجل ولا وجل .
أبهذا أمرته آية القرني ، وآية التطهير ، وآيتا أولي الأمر ، والاعتصام بحبل الله ، أم بهذا أمره الله سبحانه حيث يقول (وكونوا مع الصادقين) أم به صدع رسول الله (ص) في نصوصه المجمع على صحتها ، وقد استقصيناها بطرقها واسانيدها في كتابنا سبيل المؤمنين ، واستقصتها علماؤنا الأعلام في مؤلفاتهم

(١) إشارة الى قول رسول الله «ص» لا نزول قدما عبد حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله فيما انفقه وعن ابن اكتسبه وعن محبتنا اهل البيت اخرجه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ونقله السيوطي في احياء الميت والنهباني في اربعينه .

(٢) إشارة الى قوله «ص» من حديث اخرجه الطبراني والحاكم « كما في احياء الميت واربعين النهباني وغيرهما » فلو ان رجلاً صنف « اي صف قدميه » بين الركن والمقام فصلى وصام وهو مبغض لآل محمد دخل النار اهـ - واخرج الحاكم وابن حبان في صحيحه « كما في احياء الميت واربعين النهباني وغيرهما » عن ابي سعيد قال : قال رسول الله «ص» والذي نفسي بيده لا يغضنا اهل البيت رجل الا دخل النار

وأخرج الطبراني « كما في احياء الميت للسيوطي » عن الحسن السبط أنه قال لمعاوية ابن خديج اياك وبغضنا فان رسول الله قال لا يغضنا احد ولا يحسدنا احد إلا زيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من النار اهـ - واخرج الطبراني في الاوسط كما في احياء الميت واربعين النهباني عن جابر قال خطبنا رسول الله فسمعته وهو يقول ايها الناس من ابغضنا اهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديا اهـ .

فراجعها لتعلم حقيقة اهل البيت ومنزلتهم في دين الاسلام .

على أنهم لا ذنب لهم يستوجب الجفاء ، ولا قصور بهم يقتضي هذا الاعراض ، فليت اهل المذاهب الأربعة نقلوا في مقام الاختلاف مذهب اهل البيت كما ينقلون سائر المذاهب التي لا يعملون بها ، ما رأيناهم يعاملون اهل البيت هذه المعاملة في عصر من الأتصار ، وإنما يعاملونهم معاملة من لم يخلق الله عز وجل ، أو من لم يؤثر عنه شيء من العلم والحكمة .

نعم ربما تعرضوا لشيعتهم فنبزوهم بالرفض ، وسلقوهم بالسنة الاقتراء كما سمعت في الفصول السابقة - وقد ولى زمن الاعتداء ، واقبل عصر الاخاء ، وأن جميع المسلمين أن يدخلوا مدينة العلم النبوي من بابها ، ويأجوا من باب حطة ، ويلجأوا إلى أمان اهل الارض بر كوب سفيتهم ، ومقاربة شيعتهم فقد زال سوء التفاهم من البين ، واسفر الصبح عن توثق الروابط بين الطائفتين ، والحمد لله رب العالمين .

المقصد الثاني

في الأمور التي ينفر منها اهل السنة ، ولا يأتلفون بها مع الشيعة ، وهي أمور مكنوبة بهتنا بها المبطلون ، وقد سمعت في الفصول السابقة جملة منها ، ووقفت على ما يشفي صدرك من الأجوبة عنها ، ولم يبق سوى مسألة الصحابة (رض) فانها المسألة الوحيدة ، والمعضلة الشديدة ، وذلك أن بعض الغلاة من الفرق التي يطلق عليها لفظ الشيعة ، كالكمالية يتعاملون على الصحابة كافة رضي الله عنهم ، وينالون من جميع السلف ، فيظن الجاهل أن ذلك رأي مطلق الشيعة ، ويتوهم أنه مذهب الجميع ، فيرمي الصالح بحجر الطالح ، ويأخذ البريء ، بذنب المسيء ، كما هو الشأن فيمن يختلط عليه الحابل بالنابل ، ولو عرف رأي الامامية في هذه

المسألة ، ووقف على كلامهم فيها ، لعلم أنه أوسط الآراء إذ لم يفرطوا تقريظ الغلاة ولا أفرطوا إفراط الجمهور — وكيف يجوز عليهم ما يقوله الجاهلون أو يمكن في حقهم ما يتوهمه الغافلون . بعد اقتدائهم في التشيع بكبراء الصحابة كما يعلمه الخبر (بالاستيعاب والاصابة وأسد الغابة) واليك (إكمالاً للفائدة وإتماماً للغرض) بعض ما يحضرنى من أسماء الشيعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتعلم أنا بهم اقتدينا وبهديهم اهتدينا ، وسأفرد لهم إن وفق الله كتاباً يوضح للناس تشيعهم ويحتوي على تفاصيل شؤونهم ولعل بعض أهل النشاط من حملة العلم وسدنة الحقيقة ، يسبقني الى تأليف ذلك الكتاب فيكون لي الشرف إذ خدمته بذكر أسماء بعضهم في هذا الباب ، وها هي على ترتيب حروف الهجاء .

أ

أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمه أسلم أو إبراهيم وقيل هرمن وقيل ثابت وقيل غير ذلك ، وله أولاد وأحفاد كلهم خصيصون بأهل البيت ومنقطعون إليهم ، أما أولاده فرافع والحسن والمغيرة وعبيد الله (الذي أفرد كتاباً فيمن - ضر صفين مع علي من الصحابة ، وقد نقل عنه صاحب الاصابة وغيره) — وعلي الذي ألف كتاباً في فنون الفقه على مذهب أهل البيت وهو أول كتاب فقهى عمل في الاسلام بعد صحيفة علي عليه السلام — وأما أحفاد أبي رافع فالحسن وصالح وعبيد الله أولاد علي بن أبي رافع والفضل بن عبيد الله بن أبي رافع ولهم ذرية كلها صالحة ، ولترجع الى ما كنا فيه فنقول —

وأبو المنذر إبي بن كعب سيد القراء (١) — وإبان بن سعيد بن العاص الاموي وأنس بن الحرث أو ابن الحرث بن نبيه الذي سمع — كما في ترجمته من الاصابة — رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن ابني هذا يعني الحسين عليه السلام يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره ﴿قال﴾ فخرج أنس بن حرث الى كربلاء فقتل بها مع الحسين (عليه السلام) اه — وفي ترجمته من الاستيعاب مثله — واسيد بن ثعلبة الأنصاري البصري — وأسلم بن الحرث بن عبدالمطلب الهاشمي وهو أخو نوفل — وأسلم بن بكرة الساعدي — والأسود بن عيس بن أسماء التميمي — وأعين بن ضبيعة بن ناجية الدارمي التميمي — وأنس ابن مدرك الحنظلي الأكلبي ، وامرؤ القيس بن عابس الكندي — واويس بن عامر القرني وهو من أفضل التابعين بشر به رسول الله وأسلم على عهده ولم يره صلى الله عليه وآله وسلم — وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته .

وابو ليلى الغفاري لم أقف له على اسم وهو الذي أخرج عنه ابواحمد وابن منده وغيرهما — كما في ترجمته من الاصابة — أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ستكون من بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فانه اول من آمن بي واول من يصافني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة وهو يعسوب المؤمنين ، الحديث — ورواه عنه ابن عبد البر في ترجمته من الاستيعاب ايضاً — وابو فضالة الانصاري لم أقف ايضاً له على اسم روى صاحب الاستيعاب والاصابة في ترجمته عن ابنه فضالة أنه سمع علياً يقول إن رسول الله (ص) أخبرني أني لا أموت حتى أوامر ثم تخضب هذه من هذه (يعني

(١) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف عن بيعة السقيفة مع علي عليه السلام .

كريمته من هامته) قال فضالة فصحه أبي فقتل فيمن قتل في صفين وكان بدرية رحمه الله — وابوسفیان بن الحارث بن عبدالمطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخوه من الرضاعة ارضعتها حليلة السعدية .

ب

وبريد الأسلمي احد الذين رثاهم امير المؤمنين عليه السلام بقوله :
جزى الله خيراً عصبة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
بريد وعبدالله منهم ومنقذ وعروة وابنا مالك في الأكرام
وبريدة بن الحبيب الأسلمي — وبلال بن رباح الحبشي — والبراء بن عازب (١) بن الحارث الأنصاري — والبراء بن مالك وهو أخو أنس بن مالك الأنصاري — وبشير وهو أخو وداعة بن أبي زيد الأنصاري وقد شهد هو وأخوه صفين وكانا من خيار المستبصرين واستشهد أبوهما في احد .

ت

وتام بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي عليهم الرحمة .

ث

وثابت بن عبيد الأنصاري — وثابت بن قيس بن الخطيم الظفري —
وثعابة بن قيس بن صخر الأنصاري .

ج

وجندب بن جنادة وهو أبو ذر الغفاري — وجارية بن قدامة السعدي —
وجارية بن زيد — وجابر بن عبدالله الأنصاري — وجبله بن عمرو بن اوس

(١) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف مع علي عن بيعة السقيفة .

الساعدي — وجبير بن الحباب الأنصاري — وجعدة بن هيرة الخزومي وامه
ام هاني شقيقة أمير المؤمنين (ع) — وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن
عبدالمطلب الهاشمي — وجهجاه بن سعيد الغفاري — وجراد بن مالك بن نيرة
التميمي المقتول يوم البطاح مع أبيه وقد رثاه عنه متمم — وجراد بن طهية الوحيد
وهو والد شبيب بن جراد الشهيد يوم الطف مع سيد الشهداء (ع) .

ح

وحجر بن عدي الكندي — وحذيفة بن اليمان العبسي — والحارث بن
العباس بن عبدالمطلب الهاشمي — وأبوالورد بن القيس واسمه (فيما ذكره أبو عمر)
حرب المازني — والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب — وأبو قتادة
الحارث بن ربيعي بن بلدهة الأنصاري — والحارث بن زهير الأزدي — والحارث
ابن حاطب بن عمرو الأنصاري — والحارث بن عمرو بن حرام الخزرجي —
والحارث بن النعمان بن أمية الأوسي — وحازم بن أبي حازم الأحمسي — والحجاج
ابن عمرو بن غزية الأنصاري — وحسان بن خوط بن مسعر الشيباني وهو من
بيت كلهم صفوة شهد الجمل مع علي عليه السلام ومعه ابنه (الحارث وبشر) وأخوه
(بشر بن خوط) وحفيده (عنبس بن الحارث بن حسان المذكور) وابن أخيه
(وهيب بن عمرو بن خوط) وابن أخيه الآخر (الأسود بن بشر بن خوط) وابن
ابن أخيه (وهما الحسين وحذيفة ابنا مخدوج بن بشر بن خوط) وكان اللواء مع
الحسين بن مخدوج بن بشر بن خوط ، فاستشهد فأخذه أخوه حذيفة فاستشهد
فأخذه عمهما الأسود فاستشهد فأخذه عنبس بن الحارث بن حسان المذكور فاستشهد
فأخذه وهيب بن عمرو بن خوط فاستشهد بنح ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم يا ليتنا كما معهم فنفوز فوزاً عظيماً .

وحظلة بن النعمان بن عامر الانصاري — وحكيم بن جبلة العبدي صاحب
المقام المشكور يوم الجمل الأصغر وقد استشهد يومئذ واستشهد معه ابنه الأشرف
وأخوه الرعل بن جبلة في سبعين رجلا من عشيرته وكانت تلك الواقعة لحس ليل
بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ قبل مجيء أمير المؤمنين الى البصرة ثم جاء
عليه السلام فكان يوم الجمل الاكبر — وحبيب بن مظاهر بن رئاب بن الأشر
ابن حجّون بن فقعس الشهيد بين يدي الحسين (ع) وهو تابعي أدرك أيام النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته —
والحكم بن المغفل بن عوف الغامدي الشهيد يوم النهروان .

خ

وخالد بن سعيد بن العاص (١) الاموي — وأبو أيوب خالد بن زيد
الانصاري — وخالد بن ربيعة الجملي — وخالد بن الوليد الانصاري — وخالد
بن العمر السدوسي — وخويلد بن عمرو الانصاري — وخباب بن الارت
التميمي ويقال الخزاعي — وذوالشهادتين خزيمه بن ثابت الانصاري — وخروشة
بن مالك الاودي — وخليفة بن عدي البياضي .

د

وأبو ليلى داود بن بلال والد عبدالرحمن الانصاري وقد اختلف العلماء
في اسمه .

ر

وربيعة بن قيس العدواني — ورفاعة بن رافع بن مالك الانصاري —
ورافع بن أبي رافع القبطي .

(١) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف يوم السميفة مع علي « ع » .

ز

وزيد بن أرقم الخزرجي — وزيد بن صوحان العبدي — وزيد بن أسلم البلوي — وزيد بن جارية أو ابن حارثة الانصاري — وزيد أو يزيد بن شراحيل الانصاري — وزيد بن حيش الأسدي — وزيد بن مطرف الذي أخرج عنه مطين والبارودي وابن جرير وابن شاهين (كما في ترجمته من الإصابة) أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من أحب أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة فليتلّ علياً وذريته من بعده اه — وأبو زينب زهير ابن الحارث بن عوف — وزيد بن وهب الجهني الحسلي .

س

وأبو عبد الله سلمان الخير الفارسي — وسلمان بن ثمامة الجعفي — وسليمان ابن صرد الخزاعي المتفاني في الأخذ بشار سيد الشهداء والشهيد في سبيل ذلك — وسليمان بن هاشم المرقال الزهري — وسهل بن حنيف الانصاري — وسهيل بن بن عمرو الانصاري — وسلمة بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم — وسويد بن قملة الجعفي — وسماك بن خرشة والظاهر أنه غير أبي دجاجة الانصاري — وسنان بن شفعلة الأوسي الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال حدثني جبرائيل أن الله عز وجل لما زوج فاطمة علياً أمر رضوان فأمر شجرة طوبى فحملت رقاقاً بعدد محبي آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم اه — أخرجه عنه أبو موسى كما في ترجمة سنان من الإصابة — وسعنة بن عريض التياوي الذي دار بينه وبين معاوية كلام في المدينة فيه ذكر علي (ع) فغض ابن عريض من معاوية ، فقال معاوية ما أراه إلا قد خرف فأقيموة فقال (كما في ترجمته من

الاصابة) ما خرفت ولكن انشدك الله يا معاوية أما تذكر لما كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي فاستقبله النبي (ص) فقال قاتل الله من يقاتلك وعادى من يعاديك (قال) فقطع معاوية حديثه وأخذ في حديث آخر اهـ. وسعيد بن الحارث بن عبد المطلب — وسعيد بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب — وسعيد بن نمران الهمداني — وسعيد بن وهب الخوياني — وسعيد بن سعد بن عبادة الانصارى — وأما أبوه سعد فقد ذكره صاحب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة وفيه نظر — وسعد بن الحارث بن الصمة الانصارى — وسعد بن مسعود الثقفي وهو عم المختار — وسعد بن عمرو الانصارى — وسفيان بن هاني بن جبير الجشاني .

ش

وشراحيل بن مرة الهمداني الذي روى عنه (كما في ترجمته من الاصابة) ابن السكن وابن شاهين وابن قانع والطبراني أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي ، ابشر يا علي حياتك وموتك معي — وشرح بن هاني ابن يزيد الحارثي وهو غير القاضي — وشيبان بن محرز .

ص

وصعصعة ، وصيخان ابنا صوحان — وصالح الانصاري السالمي — وصييح مولى ام سلمة — وصيفي بن ربيعي الاوسي .

ض

والضحاك وهو الأخنف بن قيس التميمي الذي يضرب المثل بحلمه

أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجتمع به ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ط

وطاهر بن أبي هالة التميمي - وطريف بن ابان الاعمري .

ظ

وأبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ، ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته ، وهو مخضرم ، أدرك الجاهلية والاسلام .

ع

وأبو اليقظان عمار بن ياسر - وعمار بن أبي سلمة الدالاني المستشهد « كما في ترجمته من الاصابة » بين يدي الحسين عليه السلام يوم الطف - والعباس ابن عبدالمطلب - وعقيل بن أبي طالب - وعمار بن حمزة بن عبدالمطلب - وعون بن جعفر بن أبي طالب - وعتبة بن أبي لهب - وعبدالله بن العباس - وعبدالله بن جعفر - وعبدالله بن حنين بن أسد بن هاشم - وعبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب - وعبدالله بن ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب - وعبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب - وعبدالله بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب - وعبدالله بن الحرث بن الحارث بن نوفل بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب - وعبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب - وعبيدالله بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب - وعبدالله بن يقطر ،

وفي الاصابة ابن يقظة وهو رضيع الحسين عليه السلام، وقد استشهد في سبيل نصرته
وعبد الله بن ذباب المذحجي . وعبد الله بن سامة الكندي . وعبد الله بن الطفيل
العامري . وعبد الله بن بديل الخزاعي . وعبد الله بن مسعود الهذلي . وعبد الله
بن خباب بن الارت التميمي . وعبد الله بن عبد المدان الحارثي . وعبد الله بن
كعب الحارثي . وعبد الله بن حوالة الازدي المذكور في الجزء الأول من أمل
الآمل . وعبد الله بن سهل بن حنيف . وعبد الله بن ورقاء السلوي . وعبيد الله
ابن سبيل الانصاري النبتي . وعبيد الله بن ابي رافع . وعبيد بن التيهان ، ويسمى
عتيكا الانصاري . وعبيد بن عازب . وعبيدة بن عمرو السلمي . وعمارة بن
شهاب الثوري . وعمرو بن ابي سامة ، ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وعمرو
ابن الحق الخزاعي . وعمرو بن أنس الانصاري . وعمرو بن شراحيل . وعمرو
ابن عيسى بن مسعود . وعمرو بن فروة بن عوف الانصاري . وعمرو بن محصن
وعمر بن هيرة الخزومي . وعمرو بن سامة المرادي ، ذكر ابن حجر في ترجمته
من الاصابة أنه قتل مع حجر ، وفيه نظر لا يخفى على اهل العلم . وعمرو بن
عريب الحمدي . وعمرو بن مرة النهدي .

وعبد الرحمن بن عباس بن عبد المطلب . وعبد الرحمن بن بديل
الخزاعي . وعبد الرحمن بن ابزي الخزاعي . وعبد الرحمن بن حسل
الجمحي . وعبد الرحمن بن خراش الانصاري . وعبد الرحمن بن
السائب الخزومي . وعبد الرحمن بن عبد رب الانصاري ، ذكره ابن
عقدة في كتاب الموالاتة ، فيمن سمع النص يوم الغدير ، وشهد به في الرحبة
لأمير المؤمنين ، كما في الاصابة وغيرها . وعدي بن حاتم الطائي .

وعثمان بن حنيف الانصاري . وعروة بن ثمران بن الفضل بن عمرو بن قعاس
ابن عبد يغوث المرادي ثم العطيني وهو ابو هاني بن عروة الشيبدي في سبيل سيد
الشهداء دفاعاً عن مسلم بن عقيل . وعروة بن زيد الخيل . وعروة بن شفاف بن
شريح بن سعد بن حارثة بن لام الطائي الذي شهد قتال الخوارج مع
أمير المؤمنين فقال له لا يفلت منهم عشرة ولا يقتلون منا عشرة فكان الأمر
كذلك وكان عروة هذا فيمن قتل يومئذ رحمه الله تعالى وعروة بن مالك السامي
احد الذين رثاهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

بريد وعبد الله منهم ومالك وعروة ابنا مالك في الاكارم
وعطية الذي ذكره الاسماعيلي في الصحابة . وعتبة بن الدغل الثعلبي .
وعلباء بن الهيثم بن جرير . وعوف وهو مسطح بن اثالة المطالي . وعنترة السامي
الذكواني . والعلاء بن عمرو الانصاري . وعقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري .
وابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني . وعبادة ابن الصامت بن قيس الانصاري
وعلي بن ابي رافع القبطي .

ف

والفضل بن العباس بن عبد المطلب . وفروة بن عمرو بن ودقة الانصاري
والفأكه بن سعد بن جبير الانصاري .

ق

وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري . وقيس بن المكشوح البجلي .
وقيس بن خرشة القيسي . وقيس بن ابي قيس . وقثم بن العباس بن عبد
المطلب . وقرضة بن كعب الانصاري .

ل

و كعب بن عمرو بن عباد الانصاري المعروف بابي اليسر

م

والمقداد بن عمرو السكندي . والمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب
ومالك ومتمم ابنا نويرة . ومالك بن النيهان . ومهاجر بن خالد بن الوليد
الحزومي . رضع حب الوصي بن لبن أمه وكانت من الشيعة وهي بنت أنس بن
مدرك بن كعب الذي ذكرناه سابقا في حرف الألف ومخنف بن سليم وهو
جد أبي مخنف الغامدي . ومحمد بن أبي بكر ابن أبي قحافة التيمي . والمسور بن
شداد بن عمير القرشي . ومرداس بن مالك الأسلمي . والمسيب بن نجبة بن ربيعة
الغزاري الشهيد في طلب ثار سيد الشهداء مع سليمان بن صرد الخزاعي .

ن

ونعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي . ونضلة بن عبيد الاسلمي

هـ

وهاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاص الزهري . وهالة بن أبي هالة . وابنه
هند التميمي . وهاني بن عروة بن الفضاض بن ثمران بن عمرو بن حفص بن
عبد يغوث المرادي ، الشهيد في سبيل الدفاع عن مسلم بن عقيل ذكره في القسم
الثالث من الاصابة . وهاني بن نيار حليف الانصار .

و

والوليد بن جابر بن ظالم الطائي . ووداعة بن أبي زيد الأنصاري .
وابو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي .

ي

ويعلى بن حمزة بن عبد المطالب الهاشمي . ويعلى بن عمير النهدي . ويزيد بن طعمة الأنصاري . ويزيد بن نورة الأنصاري . ويزيد بن حوثة الأنصاري وآخرون يعرفهم المتتبعون .

على أنا نتولى من الصحابة كل من سبق (في عدم تشيعه) بشبهة اضطرتة الى الحياء او الى مسيرة اهل السلطة بقصد الاحتياط على الدين وهم كثيرون جداً فكيف ترمى الشيعة بعد هذا ينعض الصحابة كافة (سبحانه هذا بهتان عظيم) نعم هناك جماعة نافقوا في صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وظهر نفاقهم بما أحدثوه بعده من الأحداث العظيمة ، وبما نصبوه لعليّ ولأسائر اهل البيت من العداوة والبغضاء ، حتى كان ما كان (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) وقد تواترت الأخبار ، عن أئمتنا الأبرار بردتهم ، وحسبك في إثبات ذلك ما أخرجه البخاري في باب الحوض وهو في آخر كتاب الرقاق من الجزء الرابع من صحيحه عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ص) بينما انا قائم (يعني يوم القيامة على الحوض) فاذا زمرة حتى إذا عرفتهم ، خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال هلم ، فقلت أين قال إلى النار والله ، قلت وما شأنهم ، قال : إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم ، خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال هلم فقلت أين ، قال إلى النار والله قلت ما شأنهم ، قال إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري ، فلا أراه تخاص منهم الا مثل همل النعم اهـ .

واخرج البخاري في باب الحوض عن ابي هريرة ايضاً أنه كان يحدث

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلاؤن عن الحوض ، فأقول يا رب اصحابي ، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على اعقابهم القهقري اه .

واخرج في الباب المذكور ايضاً عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ليردنَّ عليَّ ناسٌ من اصحابي الحوض حتى عرفتهم ، احتاجوا دوني ، فأقول اصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك اه .

واخرج في الباب المذكور ايضاً عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إني فرطكم على الحوض من مرٍّ عليَّ شرب ومن شرب لم يظماً ابداً ، وليردنَّ عليَّ اقوامٌ أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ، (قال البخاري) قال ابو حازم : فسمعتي النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل ، فقلت نعم : فقال أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها : فأقول إنهم مني ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن غيرٌ بعدي اه .

واخرج في آخر الباب المذكور عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم وسيؤخذ ناسٌ دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم (قال البخاري) فكان ابن ابي مليكة يقول اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على اعقابنا وننفتن عن ديننا اه .

واخرج ايضاً في باب غزوة الحديبية من الجزء الثالث من صحيحه عن العلاء بن المسيب عن أبيه ، قال لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما ، فقلت طوبى لك صحبت النبي وبايعته تحت الشجرة ، فقال يا ابن أخي

إنك لا تدري ما أحدثنا بعده اهـ .

واخرج أيضاً في أول باب قوله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، من كتاب بدء الخلق من الجزء الثاني من صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً (١) ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول أصحابي أصحابي ، فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم) إلى قوله الحكيم .

ومن وقف على ما أخرجه الامام احمد من حديث أبي الطفيل في آخر الجزء الخامس من مسنده ، يعلم أن فيهم قوماً دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناقته (وهما بما لم يتألوا وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) ومن تلا سورة التوبة يعلم بأنهم ابتغوا الفتنة من قبل ، وقلبوا الأمور لرسول الله (ص) حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون) ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين

(١) قال في لسان العرب وفي الحديث يحشر الناس عراة حفاة غرلاً بهما أى قفلاً والغرل جمع الاغرل (وهو الذين لم يثبتوا)

تمت التعليقة بقلم مؤلفها الأقل الأحقر عبدالحسين شرف الدين الموسوى العاملي والحمد لله في البدء وفي الختام ، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وآله الكرام

يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الحزبي العظيم) « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن » (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) « الذين يلغزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجيدون إلا جدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم أولاً تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أمرهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وإذا أنزات سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسول الله استأذنتك أولوالطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » إلى آخر السورة الدالة على فشو النفاق فيهم ، فما أدري كيف صار كل من كانت له صحبة ثقة عدلاً بمجرد أن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » الذين شكروا نعمة الرسالة فلم ينقلبوا ، ولم يحدثوا بعد الرسول (ص) حدثاً ،

ولم يغيروا ولم يبدلوا واستقاموا على ما أمرهم الله تعالى به ورسوله (وأولئك لهم
الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم) وهم في غنى عن مدحة المادحين وتقريظ الواصفين ، بما لهم
من تأييد الدين ، ونشر دعوة الحق المبين ، فهودتهم واجبة والدعاء لهم فريضة
« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

تمت والحمد لله بقلم مؤلفها أقل خدمة الدين الاسلامي واحقر سدنة المذهب
الامامي عبد الحسين ابن الشريف يوسف ابن الشريف جواد ابن الشريف
اسماعيل ابن الشريف محمد ابن الشريف محمد ابن الشريف ابراهيم ويلقب بشرف
الدين ابن الشريف زين العابدين ابن الشريف علي بن علي بن الحسين المعروف
بابن ابي الحسن الموسوي العالمي عامله الله بالطفاه الحفية .

وكان تأليفها في مدينة صور من جبل عامل سنة ١٣٢٧ وقد أضفنا

اليها في هذه الطبعة فصلين كاملين وهما الفصل ٧ والفصل ١١

لم يكونا في الطبعة الأولى وزدنا في غضون بقية الفصول

مطالب جمّة وفوائد مهمة ولا سيما في فصل التأويلين

وهو الفصل ٨ والحمد لله اولا وآخرا

وصلى الله على خيرته من عباده محمد وآله

والميامين من رجاله وسلم

تسليماً كثيراً



فهرس مطالب الفصول المهمة

صفحة	
٣	الخطبة
٥	(فصل ١) فيما جاء في الكتاب والسنة من الحض على الاجتماع والتنديد بأهل النفاق والنزاع
٨	(فصل ٢) في بيان معنى الإسلام والايمان وفيه ما يوجب القطع بأن جميع اهل الشهادتين والصوم والصلاة والحج والزكاة إخوان
١١	(فصل ٣) في صحاح أهل السنة الحاكمة باحترام اهل الاركان الخمسة كافة وحرمة دمائهم واعراضهم واموالهم وفيه من الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة . ما يقطع شغب المشاغب ولا يبقى معه أثر لهذين النواصب
١٨	(فصل ٤) في يسير من نصوص أئمتنا عليهم السلام في الحكم بإسلام اهل السنة وانهم كالشيعة في جميع الآثار التي تترتب على مطلق من كان مسلماً
١٩	(فصل ٥) في صحاح السنة الحاكمة على اهل الاركان الخمسة بدخول الجنة وفيه من البشائر ما تتربه النواظر
٢٢	تنبيه مهم يذرد العصاة عن التشبث بما في ذلك الفصل من المباشرات
٢٥	الإشارة إلى صحاحنا وكونها مخصصة العمومات السابقة
٢٦	(فصل ٦) في لمعة من فتاوى علماء أهل السنة بإيمان اهل الأركان الخمسة كافة واحترامهم ونجانهم جميعاً وفيه فتاوى كثير من أعلام الأمة
٢٧	فتوى الإمام السبكي بذلك
٢٨	فتوى الشيخ ابن العربي بذلك
٢٩	فتوى صاحب المنار . وفتوى الأنبياني . وفتوى العارف الشعرائي بذلك
٣٠	فتوى كل من الروياني والقزويني وعلماء بغداد قاطبة وجمهور العلماء والخلفاء من الصحابة ومن بعدهم

صفحة	
٣١	الإجماع الذى نقله ابن تيمية وفتوى ابن أبى ليلى وأبى حنيفة والشافعى والثورى وداود بن علي والصحابه
٣٢	فتوى الإمامين الأشعري والشافعى
٣٣	إجماع الشافعية على عدم كفر الخوارج
٣٤	قول ابن المنذر لا اعلم احدا وافق على تكفير الخوارج وكلام ابن عابدين فى أن سب الصحابة ليس بكفر
٣٥	قول ابن حزم بعدم كفر المتأولين بسب الصحابة
٣٦	ما نقله ابن حزم عن الاشاعرة من القول بعدم كفر الساب لله ورسوله مطلقا
٣٧	الأوزاعى لا يكفر احدا من اهل الشهادة وابن سيرين والحسن البصرى والزهرى والثورى يحكمون بنجاتهم مطلقا
٣٨	كلمة لابن المسيب وأخرى لابن عيينة فى هذا المعنى . وكلمة فى ختام الفصل للمصنف تأخذ بالأعناق إلى الوفاق
٣٨	﴿ فصل ٧ ﴾ فى بشارت السنة للشيعه ويالها من بشارت تحكم بفلاحهم فى الدنيا وسعادتهم فى اليوم الآخر
٤١	تنبيه لبيان معنى الشيعة المختصين بتلك البشارت أردنا به الرد على ابن حجر وامثاله إذ زعموا أنهم هم الشيعة لا نحن
٤٤	﴿ فصل ٨ ﴾ فيمن تأولوا من السلف غالفوا الجور ولم يتدح ذلك فى عدالتهم والغرض إثبات معذرة المتأولين
٤٥	تخلف سعد وحباب عن بيعة السقيفة متأولين
٤٦	تخلف علي واهل بيته وشيعته عنها
٤٧	إثبات أن عليا مع الحق والحق معه لا يترقان
٤٨	تخلف ابى سفيان وقوله لعلي ابسط يدك ابايحك . . . الخ
٤٩	ما كان بين الزهراء وابى بكر إذ هجرته فلم تسلمه حتى ماتت
٤٩	قتل خالد لمالك بن نويرة ونسكاح زوجته
٥٠	قتل خالد لبني جذيمة وتبرى النبی (ص) من عمله يومئذ
٥١	تأولهم فى الطلاق الثلاث وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبی (ص)

صفحة	
٥٢	بيان مذهنا في الطلاق الثلاث والاستدلال عليه من طريق غير ناراجعه تجده كرسالة (في هذه المسألة) حافلة
٥٣	تأولهم في المتعتين راجع ما كتبناه هنا فإنه تحقيق بالمراجعة وهو كرسالة في هذا الموضوع على حدة وفيما المقام حقه وعقدنا هناك مباحث : الأول في اصل مشروعية المتعتين وإثبات ذلك بالإجماع والاكتاب والسنة
٥٤	تحرير محل النزاع في متعة النساء والرد على الألوسى فيما بهت به الإمامية
٥٧	المبحث الثانى فى دوام حل المتعتين واستمرار حكمهما
٥٩	المبحث الثالث فيما زعموه ناسخاً لمتعة النساء وبيان خطاهم فى ذلك
٦١	المبحث الرابع فى إثبات كون المحرم إنما هو عمر
٦٣	المبحث الخامس فى الإشارة إلى المنكرين من الصحابة على تحريم المتعة
٦٥	النداء بتحليل المتعة أيام المأمون
٦٦	خاتمة فى الإشارة إلى من صرح من الأعلام بأن عمر اول من حرم المتعة
٦٦	تأولهم فى أذان الصبح حيث زادوا فيه (الصلاة خير من النوم) وإثبات انها لم تسكن
٦٨	تأولهم فى اسقاط حى على خير العمل مع كونها جزءاً من الأذان والاقامة
٦٩	وقد أثبتنا ذلك بالبرهان جدير بأهل التحقيق والتحديق أن يقفوا عليه
٦٩	تأولهم فى صلاة التراويح وبيان أنها لم تسكن ايام رسول الله وبنى بكر
٧٢	تأولهم آية الزكاة إذا سقطوا سهم المؤلفة قلوبهم
٧٣	تأولهم آية الخمس حيث صرفوها إلى خلاف منطوقها ويليق بما كتبناه هنا فى الجنس والزكاة أن يكون رسالة على حدة
٧٥	تأولهم فى صلاة الجنائز حيث جمعوا الناس على اربع تسكيمات
٧٦	تأولهم فى البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثانى وبيان عدم حرمة راجع ذلك فإنه من (الأساليب البديعة) فى رجحان ماتم الشيعة
٧٩	تأولات للسلف عديدة نلفت إليها كل باحث

- ٨١ تنبيهه إلى أن بعض الصحابة كانوا لا يتعبدون بالنصوص المتعلقة بالسياسة بل كانوا يتأولونها ولذلك تأولوا النص بالخلافة على علي ومن راجع هذا البحث رأى الحقيقة بأجلي مظاهرها
- ٨٢ بيان الأسباب التي دعتهم إلى تأول ذلك النص فمنها أنه غلب على ظنهم أن العرب لا تخضع لعلي حيث أنه وترها وسفك دماءها ومنها أن العرب كانت تنقم منه عدله ومساواته ولم يكن لها فيه مطمع ومنها أنهم كانوا يحسدونه على ما آناه الله من فضله
- ٨٣ ومنها أنهم كانوا قد تشرفوا إلى تداول الخلافة بينهم وقد رأوا تعبدهم بالنص مانعاً لهم من ذلك ومنها أنهم كرهوا أن يجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم
- ٨٤ الأسباب التي منعت علياً وشيعته من المة او مة واضطرته الى عدم القيام بأمر الناس والسرفى قعوده في بيته حتى أخرجه كرها . ودلالة ذلك على اصالة رأيه وشدة احتياطه على الاسلام
- ٨٥ تأول الخليفة الأول وأتباعه للنصوص الصريحة بالخلافة على امير المؤمنين عليه السلام كما تأولوا من غيرها نصوصاً كثيرة
- ٨٥ منها تأولهم في سرية أسامة فراجع ذلك تجد فيه من الفوائد الجمة ما لا غنى لك عنه
- ٩٠ ومنها تأولهم في رزية يوم الخميس حيث قالوا هجر رسول الله (ص) فراجعها لتقف على ابحاث هناك مهمة ولتعلم الحكمة في ترك النبي (ص) يومئذ لكتابة ذلك الكتاب
- ٩٥ ومنها تأولهم يوم تبوك
- ٩٥ ومنها تأولهم يوم الحديبية فراجعهم وحق لمثله أن يراجع
- ٩٨ ومنها تأولهم يوم بدر فراجعها فإنها مما يجب أن تراجع وقد ألهمنا الله تعالى هناك إلى تفسير الآية بما لم نسبق اليه وله الحمد
- ١٠٢ تأولهم يوم أحد وهي عديدة فراجعها وحق لها أن تراجع وقد استطر دنا مواقف أمير المؤمنين يومئذ التي عجبت منها ملائكة السماء
- ١٠٦ تأولهم يوم مات ابن أبي المنافق
- ١٠٧ تأولهم يوم ضربوا ابا هريرة منعاً له عن تبليغ ما امره النبي يومئذ بتبليغه

صفحة	
١٠٧	تأولهم إذ تركوا قتل من أمروا بقتله من اهل الفتن والفساد في الارض
١٠٩	تأولهم إذ خالفوا رأى النبي (ص) ووافقوا رأى المشركين في رد بعض المؤمنين اليهم ليفتنوهم عن دينهم
١١٠	تأولهم إذ لمزوه صلى الله عليه وآله وسلم في الصدقات
١١١	تأولهم إذ تنزهوا عن الشيء يرخص فيه رسول الله (ص)
١١١	تأولهم في شأن حاطب إذ كذبوه وشتموه بعد شهادة النبي (ص) بصدقه وقوله لهم لا تقولوا له إلا خيرا
١١٢	موارد تأول عثمان وهى كثيرة فراجعها لتعلم بمعذرة المتأولين
١١٣	والأبلغ في معذرة المتأولين من كل ما سبق اجماعهم على عدالة عثمان وعدالة المجالين عليه كمعاشة وطلحة وغيرهما
١١٤	تأول عائشة وطلحة والزبير فيما فعلوه يوم الجمل الأصغر مع عثمان بن حنيف وشيعة علي من القتل والنهب والمثلة وتأولهم يوم الجمل الأكبر فيما فعلوه مع أمير المؤمنين (ع)
١١٤	الحاق معارية لزياد بأبي سفيان
١١٥	عهد بالخلافة إلى شريكه المهتمك وسكيره يزيد المفضوح والاشارة الى بعض ما قد ترتب على ذلك يوم الطف ويوم الحرة
١١٧	نصب المجانيق على مكة وهدم الكعبة وحرقها وفضائع آخر يزيد وكون أبيه يعلم بأنه ممن لا يؤتمن على نكير ولا يولى امر قطمير ومع ذلك فتمد غش الامة وسلطه عليها
١١٨	الاخبار الدالة بأن معاوية ملعون لمحاباته وأنه من اهل جهنم
١١٨	قتله عمراً بن الحنق الخزاعي
١١٩	قتله حجراً واعجابه ودسه السم الى الحسن (ع)
١٢٠	الاشارة الى يسير من بوائق معاوية وجرائم عماله
١٢١	سبى المسلمات من نساء همدان وذبح طفلي عبد الله بن العباس وامهما تنظر اليهما
١٢٢	فضائع سمرة بن جندب ايام معاوية

صفحة

- ١٢٣ الاشارة الى فظائع زياد حين ولاه معاوية على الكوفة والبصرة والمشرق كله وسجستان وفارس والسند والهند
- ١٢٤ حرب معاوية لأخي النبي (ص) ووصية ونفسه في آية المباهلة ووليه
- ١٢٥ لعنه بقنوت الصلاة رجلا اذهب الرجس عنهم محكم التنزيل وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي بامر ربه الجليل وما اكتفى بذلك حتى امر الناس بلعن أمير المؤمنين
- ١٢٧ النصوص الدالة على كفر من سبه او عاداه او آذاه
- ١٢٩ إذا صح اجتهاد معاوية في ذلك فاجتهادنا في جواز سبه اولى بالصحة
- ١٣٠ ﴿فصل ٦﴾ فيمن افترى بكفر الشيعة وتفصيل ما استدلل به على ذلك
- ١٣٠ نص الفتوى بذلك نقلا من كتاب الفتاوى الحامدية
- ١٣١ استفظاع تلك الفتوى والانكار على المفتي بها
- ١٣٢ الرد عليه اجمالا وتزيف قوله ببغيتهم وكفرهم
- ١٣٤ تزيف قوله بأن الشيعة تستخف بالدين وتهزأ بالشرع المبين واثبات كونهم احوط الناس على الدين واعظمهم تقدسيا للشرع المبين
- ١٣٦ تزيف قوله بأنهم يمينون العلم والعلماء واثبات أنهم اشد الناس للعلماء تعظيما
- ١٣٨ تزيف قوله أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات واثبات أنهم ابعد الناس عن المحرمات واحوطهم على الحرمات وقد استطرطنا ذكر الحدود الشرعية على رأي الامامية
- ١٤٠ تزيف قوله بأنهم كفروا بانكارهم خلافة الشيخين وبيان ان لاوجه لتكفير المسلمين بانكار سياسة خالية وخلافة ماضية هي ليست من اصول الدين باجماع المسلمين وقد تكلمنا هناك بما يوجب العلم وتقتضيه الأدلة العقلية والنقلية فلا يمكن جحوده فليراجع بتدبر وامعان
- ١٤٤ تزيف قوله بأنهم يتكلمون في حق السيدة عائشة بما لا يليق من امر الافك والعياذ بالله وبيان أن هذا مما لا صحة له وأن مضمون مسألة الافك محال ممتنع عند الشيعة عقلا وأنهم لا يجوزونه على جميع نساء الأنبياء حتى امرأة نوح وامرأة لوط

- ١٤٥ نعم ننتقد من افعال ام المؤمنين خروجها من بيتها وركوبها الجمل
وسائر سيرتها مع اهل البيت
تزييف قوله بأنهم كفروا بسبب الشيعين
- ١٤٥ الأدلة على عدم حصول الكفر بذلك وهي ستة - الاول الاصل مع
عدم ما يدل على التكفير - الثاني أن الصحابة كانوا يتشائمون على عهد
النبي (ص) فلم يكفر احداً منهم بذلك
- ١٤٧ الثالث عموم الأحاديث الحاكمة بالاسلام على مطلق اهل الاركان
الخمس كافة - الرابع أن رجلاً من المسلمين سب الصديق فلم يعامله
رضي الله عنه معاملة المرتد بل عامله معاملة غيره من المسلمين
- ١٤٨ الخامس اجماع فقهاءهم أن مجرد السب لا يوجب الكفر وقد ذكرنا
كلماتهم في ذلك
- ١٥٠ السادس أنه لا يفتى بالتكفير عندهم إلا أن يكون الموجب للكفر
مجمعاً على ايجابه لذلك وبناء على هذا فلا يمكن التكفير في هذه المسألة
مع انعقاد اجماعهم على عدم الكفر بها ولو انكر الخصم ذلك فحسبه
وجود القائل بعدم التكفير فانه مما لا يمكن انكاره
- ١٥٢ ﴿فصل ١٠﴾ في الاشارة الى يسير مما نسبته الكذابون الى الشيعة
وبيان براءتهم منه وقد ذكرنا أن الرامين لهم على اربعة اقسام —
القسم الأول طائفة ترفقوا بذلك الى ملوك بني أمية وبني العباس
القسم الثاني طائفة حملهم على ذلك الخوف من ميل الناس إلى الشيعة
- ١٥٣ فيهم وهم بما بهتوهم به تنفيراً للناس عنهم
القسم الثالث طائفة التبس الأمر عليهم لاشتراك اسم الشيعة بين
الامامية وغيرهم
- ١٥٤ القسم الرابع جماعة اعتمدوا على من تقدمهم فرأوهم ينقلون شيئاً فنقلوا
زعم ابن حزم أن من الامامية من يحيز نكاح تسع نسوة ومنهم من
يحرم الكرنب وبيان افتراءه واعتدائه بذلك

- ١٥٧ ارجاف الشهرستاني بالامامية والرد عليه فيما نسب اليهم عامة والى زرارة والهشامين ومؤمن الطاق بالخصوص
- ١٥٨ وقد بلغت القحمة بجودت باشا الى رمي الشيعة بانكار الصوم والصلاة والحج والزكاة فراجع ما نقلناه عنه وما قلناه فى رده
- ١٥٩ الرد على من نسب اليها تحريم لحم الابل وعدم العدة على النساء
- ١٦٠ (فصل ١١) فى الرد على نواصب هذا العصر
- ١٦٣ معاتبة الفاضل الرافي حيث نبذ الشيعة بالررض ونسب اليهم القول بتحريف القرآن الحكيم وبيان خطاه فى ذلك بما لا مزيد عليه
- ١٦٨ (فصل ١٢) فى سبب التباعد بين الطائفتين وفيه مقصدان — المقصد الأول فيما ينفر منه الشيعي وهو أمران — الأول التحقير والتكفير — والثاني الاعراض عن مذهب اهل البيت فى اصول الدين وفروعه وفى تفسير القرآن وفى الحديث وفى سائر الأمور وانكى من ذلك عدم احتجاجه بأكثر أئمة اهل البيت (ع)
- ١٦٩ مع احتجاجه بداعية الخوارج عمران بن حطان
- ١٧٠ قول ابن خلدون وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها والرد عليه فى ذلك بما يصلح لأن يكون رسالة حافلة بالأدلة على وجوب اتباعهم وضلال من خالفهم فراجع
- ١٧٦ المقصد الثاني فى الأمور التي ينفر منها السني وبيان انها بما بهتنا بها المبطلون وإبداء رأينا فى الصحابة رضى الله عنهم وكونه أوسط الآراء
- ١٧٧ فهرس اسماء الشيعة من الصحابة مرتباً على حروف الهجاء
- ١٨٨ هناك جماعة نافقوا فى صحبة الرسول (ص) وظهر نفاقهم بما احدثوه بعده وقد اخبر النبي بأنهم سير تدون على اعقابهم القهقري
- ١٩٠ تصريح القرآن بنفاقهم
- ١٩٢ وجوب مودة الذين استقاموا على ما أمرهم به الله تعالى ورسوله (ص) وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون

الكلمة الزهراء

في

تفضيل الزهراء

(عليها السلام)

تأليف

آية الله الامام الشريف

السيد

عبدالحسين شرف الدين الهوسيني

(حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف)

١٣٧٥ هـ

طبعة النجف

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليماً
كثيراً . وبعد فهذه هي (الكلمة الغراء) في تفضيل فاطمة الزهراء
عليها السلام ، القيتها (١) جواباً لمن سألني فقال :
هل للامامية دليل يعتبره خصومهم في تفضيل فاطمة الزهراء على سائر هذه
الامة وما ذلك الدليل والحجة ؟ ارجو التفصيل :

فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . وتلك السنة لا شبهة فيها لأحد
من المسلمين وناهيك بهما قولاً فضلاً . لا يحجده جاحد . وحكماً عدلاً . لا
يكبره معاند ، فهنا مطالبان :

«المطلب الاول»

في دلالة الكتاب . وحسبك من محكماته البينات . آية المباهلة . وآية
التطهير . وآية المودة في القربى . وآيات الأبرار . أدلة قاطعة . تظل اعناق
الورى لها خاضعة . فهنا فصول اربعة :

«الفصل الاول»

في آية المباهلة . وهي قوله عز من قائل « في سورة آل عمران » « فمن
حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا
ونساءكم ، وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين »
(١) بسم الله وعلقت عليها تعليقة تكشف عن دقائق اغراضها ولطيف إشارتها ،
وجعلتها تحت الخط في أسفل صفحاتها فلا تفوتن الباحثين مطالعتها .
عبد الحسين شرف الدين الموسوي

اجمع اهل القبلة حتى الخوارج منهم ، على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع للمباهلة من النساء . سوى بضعته الزهراء . ومن الأبناء سوى سبطيه وريحانيته من الدنيا . ومن الأنفس إلا اخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى . فهو لآء اصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها . لم يشار كهم فيها احد من العالمين . كما هو بديهي لكل من ألم بتاريخ المسلمين وبهم خاصة نزلت « ١ » لا بسواهم . فباهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم خصومه من اهل نجران فبيلهم — وامهات المؤمنين رضي الله عنهم . كن حينئذ في حجراته صلى الله عليه وآله وسلم . فلم يدع واحدة منهم وهن برأى منه ومسمع . ولم يدع صفة وهي شقيقة ابيه . وبقية اهليه . ولا ام هاني ذات الشأن والمكناة . وهي كريمة عمه . الفارج لهمه . ذي الأيادي . التي هي من المسلمين طوق الهوادي . ولادعا غيرها من عقائل الشرف والمجد . وخفريات عمر العلي وشيبة الحمد . ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار — كما انه لم يدع مع سيدي شباب اهل الجنة احداً من ابناء الهاشميين . على أنهم كانوا (إذا رأيتهم حسبتهم أولئاً منشورا) ولادعا

« ١ » فيما علمه المسلمون واخرجه المحدثون عن اعلام الصحابة رضي الله عنهم وقد رواه الإمام الواحدي في كتابه اسباب النزول بسنده عن جابر بن عبد الله — وكان الشعبي يفسر الآية فيقول ابناؤنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وانفسنا علي بن ابي طالب رضي الله عنهم كذا في صفحة ٧٥ من اسباب النزول للواحدي حيث ذكر فيه آية المباهلة واخرج الدارقطني (كما في الآية التاسعة من الآيات التي اوردها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه) أن علياً يوم الشورى احتج على اهلها فتعال لهم أنشدكم بالله هل فيكم احد جعله الله نفس النبي وابناءه ونساءه نساءه غيري قالوا اللهم لا . الحديث .

احداً من ابناء الصحابة على كثرتهم . ووفور فضائلهم — وكذلك لم يدع من
 النفس مع علي عه وصنو ابيه العباس بن عبد المطلب . وهو شيخ الهاشميين .
 واجود القرشيين . واعظم الناس « ١ » عند رسول الله « ص » . بل لم
 يدع احداً من كافة عشيرته الاقربين . ولا واحداً من السابقين الاولين .
 رضي الله تعالى عنهم اجمعين . وكانوا براءى من المباهلة ومسمع ، ومنتدى
 من اهلها ومجمع ، فلم ينتدب واحداً منهم مع من انتدبهم اليها بل لم ينتدب احداً
 من سائر اهل الأرض ، بالطول والعرض ، وإنما خرج « ص » « كما نص
 عليه الرازي في تفسيره الكبير » وعليه مرط من شعر اسود ، وقد احتضن
 الحسين ، واخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي خلفها ، وهو يقول
 إذا أنا دعوت فأمّنوا ، فقال اسقف نجران يا معشر النصارى: إني لأرى وجوها
 لوسألو الله ان يزيل جبلا لأزاله بها فلا تباهلوهم فتهلكوا ولا يبقى على وجه
 الأرض نصرائي إلى يوم القيامة « ٢ » .

« ١ » فيما أخرجه البغوى في ترجمة أبى سفيان بن الحارث عن ابيه كما في ترجمة
 العباس من الإصانة

« ٢ » وهذا الحديث ذكره المنسرون والمحدثون واهل السير والاخبار وكل من
 أرخ حوادث السنة العاشرة للهجرة وهى سنة المباهلة قال الرازى بعد ايراده في تفسيره
 الكبير واعلم ان هذه الرواية كالمتمفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث — قلت
 بل هى كالضروريات لديهم فلا يحفلها منهم احد . وقد تصدى سيدنا الشريف المقدس
 ابن طائوس لتفصيل المباهلة ومقدماتها وما كان قبلها في نجران من المؤامرات
 والمناظرات في جلساتهم المتعددة المنعقدة لذلك حين دعاهم سيد الانبياء والمرسلين الى
 الله تعالى وأرسل اليهم فى ذلك رسله . فليراجع كتاب الإقبال من اراد الوقوف على
 تفصيل تلك الاحوال ، ايرى اعلام النبوة ، وآيات الإسلام وبشائر النبيين بسيدهم —

يخرج ان من وقف على هذه الوهالة العظيمة . والروعة الشديدة . التي رهقت اعلام نجران . ومثلي دينها ودنياها « ١ » بمجرد ان برز أصحاب الكساء لمباهلتهم . يعلم ان لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم . جلالة ربانية تغشى الابصار . ومهابة روحانية يخفض لها جناح الذل والصغار . ألا ترى أولئك الابطال « وهم ستون فارسا من اسود الشرى وليوث الوغى » كيف ارتعدت فرائضهم قلقا . وانخلعت قلوبهم فرقا . ونادى عظيمهم بما سمعت ، هلوعا جزوعا — وهذا ليس إلا للجلالة الربانية . والعظمة الروحانية التي ادركها خصمهم من اول نظرة الى وجوههم المباركة . فكأن الجلالة والعظمة . والمهابة والأبهة . وقرب المنزلة من الله والكرامة عليه مكتوبة بنوره تعالى ، في اسرار جباههم الميمونة . ومعنونة في صفحات وجناتهم الكريمة .

— محمد (ص) وبعتبره الطيبين الطاهرين وبذريته المباركة من بضعة سيده نساء العالمين وكنت اردت ان اخرج هذه القضية من كتاب الاقبال واشهرها كرسالة على حدة تعميما لقوائدها وتسهيلا لطايبها ولعل بعض اهل الهمم العالية ممن حبسوا نفوسهم على نشر الحق يسبقني الى ذلك فاكون قد فزت بتنبيهه الى هذه المهمة ان شاء الله تعالى « ١ » اذ وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم ثياب الخبرات جبابا واردية يقول بعض من رأيهم من اصحاب رسول الله (ص) ما رأينا وفدا مثلهم وكان فيهم اربعة عشر رجلا هم زعماء القوم وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول الأمر في نجران وهم السيد وائمة الأيهم وهو إمامهم وصاحب رحلهم — والعاقب وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدر عن إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح — وابو حارثة بن علقمة وهو استقهم وحرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكنائسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن عليه في دينهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلهم واجتهاده نقل ذلك كله الامام الواحدى في كتابه اسباب النزول وغير واحد من المفسرين واهل الاخبار

وإني لأعجب والله من المسلم لا يقدر هذا المقام قدره .

وأنت تعلم ان مباہلته صلى الله عليه وآله وسلم بهم ، والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرد فضل عظيم — وانتخابه إياهم لهذه المهمة العظيمة ، واختصاصهم بهذا الشأن الكبير وإيثارهم فيه على من سواهم من اهل السوابق ، فضل على فضل لم يسبقهم اليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لاحق — وزول القرآن العزيز أمراً بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث ، يزيد فضل المباہلة ظهوراً . ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفاً وإلى نوره نورا .

وهناك نكتة يعرف كتبها علماء البلاغة . ويقدر قدرها الراسخون في العلم العارفون بأسرار القرآن . وهي ان الآية الكريمة ظاهرة في عموم الانباء والنساء والانفس كما يشهد به علماء البيان ، ولا يحمله احد من عرف ان الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق . وإنما اطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص . تبياناً لكونهم ممثلي الاسلام . واعلانا لكونهم اكمل الانام واذاًنا بكونهم صفوة العالم وبرهاناً على انهم خيرة الخيرة بنبي آدم . وتنبيهاً إلى ان فيهم من الروحانية الاسلامية والاخلاص لله في العبودية ، ما ليس في جميع البرية ، وأن دعوتهم إلى المباہلة بحكم دعوة الجميع . وحضورهم خاصة فيها منزل منزلة حضور الأمة عامة وتأمينهم على دعائه مغن عن تأمين من عداهم . وبهذا جاز التجوز باطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص — ومن غاص على اسرار الكتاب الحكيم . وتدبره ووقف على اغراضه يعلم ان اطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص إنما هو على حد قول القائل :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشافه : وفيه دليل لا شيء اقوى

منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام ا هـ
 بقيت نكتة يجب التنبه لها . وحاصلها ان اختصاص الزهراء من النساء .
 والمرضى من الانفس . مع عدم الاكتفاء باحد السبطين من الابداء . دليل
 على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام لأن عليا وفاطمة لما لم يكن لهما نظير
 في الانفس والنساء كان وجودهما مغنيا عن وجود من سواهما ، بخلاف كل من
 السبطين ، فان وجود احدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئهما . ولذا
 دعاها « ص » جميعا . ولو دعا احدهما دون صنوه . كان ترجيحاً بلا مرجح
 وهذا ينافي الحكمة والعدل — نعم لو كان ثمة في الابداء من يساويهما لدعا
 معهما ، كما انه لو كان لعلي نظير من الانفس . او لفاطمة من النساء لما حاباها
 عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة .

بقي مما دلت عليه الآية من خصائص علي عليه السلام فضل تضمحل دونه
 الخصائص وتفتي في جنبه الفضائل والمناقب . الا وهو كونه نفس النبي « ص »
 وجارياً بنص الآية مجراه . الفضل الذي تعنوله الجباه بخوعاً . وتطامناً لديه
 المفارق خشوعاً . ويملاً الصدور هيبة واجلالاً . وتصاغر دونه المهم يأساً من
 بلوغ مداه « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وأنت
 هداك الله إذا عرفت ان الله تبارك وتعالى قد انزل نفس النبي واجراها في
 محكم الذكر مجراها . لا ترتاب حينئذ في أنه افضل الامة واو لا برسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم حيا وميتا . وقد صرح اولياء اهل البيت . واعترف
 اعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل ، الخالد في القرآن ذكره ، والطيب في
 بينات الفرقان نشره ، حتى ان الرازي مع غرامه بنقض المحكمات ، وهيامه
 في الشكيك والشبهات ، لم يناقش في دلائلها على هذا المقدار . من تفضيله

عليه السلام. وإنما ناقش محمود بن الحسن حيث صرح بدلائلها على تفضيله على من كان قبل محمد من الأنبياء عليه وعليهم السلام واليك عبارة الرازي بعين لفظه قال : « ١ » كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الاثني عشرية . وكان يزعم ان علياً ﴿ رض ﴾ افضل من جميع الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستدل على ذلك بقوله تعالى وانفسنا وانفسكم اذ ليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم . لأن الانسان لا يدعو نفسه بل المراد غيرها . واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن أبي طالب ﴿ رض ﴾ فدلّت الآية على ان نفس علي هي نفس محمد « ٢ » ولا يمكن ان يكون المراد ان هذه النفس هي عين تلك فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه ، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة وفي حق الفضل لقيام الدلائل على ان محمداً عليه الصلاة والسلام كان نبيا وما كان علي كذلك ولا انعقاد الاجماع على ان محمداً عليه السلام كان افضل من علي ﴿ رض ﴾ فبقى فيما وراءه معمولاً به ثم الاجماع دل على ان محمداً عليه السلام كان افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فيلزم ان يكون علي افضل من سائر الأنبياء فهذا وجه الاستدلال بظواهر هذه

« ١ » في تفسير آية المباهلة فراجع صفحة ٤٨٨ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير « مفاتيح الغيب » والرازي هذا هو الخطيب محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي

« ٢ » كما قيل في مدحه عليه السلام

وهو في آية التباهل نفس الـ مصطفى ليس غيره ايها
ولعلك اذا ضمنت قوله (وانفسنا) الى قوله تعالى « ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه » وامعنت النظر في الآيتين ينجلي لك من الاسرار ما كان خفياً

الفصل الثاني في دلالة آية التطهير على تفضيلهم (ع) ووجه الاستدلال بها ٩

وامعن النظر تجده قد اوضح دلالة الآية على ذلك غاية الايضاح ، ونادى (من حيث لا يقصد) حي على الفلاح لم يعارض الشيعة فيما نقله عن قديمهم وحديثهم ولا ناقشهم فيه بكامة واحدة فكأنه اذعن لقولهم واعترف بدلالة الآية على رأيهم وإنما ناقش الحمرد بن الحسن كما لا يخفى — على ان الاجماع الذي صال به الرازي على المحمود لا يعرفه المحمود ومن يرى رأيه فافهم .

الفصل الثاني

في آية التطهير وهي قوله جل وعلا في سورة الأحزاب: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » لا ريب في ان اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في هذه الآية . انما هم الخمسة « اصحاب الكساء » وكفالك هذا برهاناً على انهم افضل من اقلته الأرض يومئذ ومن اظلمته السماء . ألا وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصنوه الجاري بنص الذكر مجرى نفسه ، وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها ، وريحاته من الدنيا سبطاه الشهيدان سيدا شباب اهل الجنة ، فهؤلاء هم اصحاب هذه الآية البينة (١) بحكم الأدلة القاطعة ، والحجج الساطعة لم يشاركهم فيها احد من بني آدم ، ولا زاحمهم تحت كساءها واحد من هذا العالم ، وقد اورد الامام جلال الدين

(١) صرح بذلك ابو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم فيما ذكره الإمام البغوى وابن الخازن وكثير من المفسرين كما في المتبصر الأول من الشرف المؤبد لآل محمد ومؤلفه يوسف بن اسماعيل المعاصر النبهاني . ومن اراد تفصيل القول بنزول هذه الآية في الخمسة بالخصوص فعليه برشفة الصادى للإمام ابى بكر بن شهاب الدين العلوي رضي الله عنه .

السيوطي « ١ » في تفسير هذه الآية من كتابه « الدر المنثور » عشرين رواية من طرق مختلفة في ان المراد من اهل البيت هنا انما هم الخمسة لا غير ، وذكر ابن جرير في تفسيره « ٢ » خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص — وحسبك في ذلك قول رسول الله « ٣ » ﴿ص﴾ ، انزلت هذه الآية في خمسة في علي والحسن والحسين وفاطمة « ٤ » وقد أجمعت كلمة اهل القبلة من اهل المذاهب الاسلامية كلها على انه ﴿ص﴾ لما نزل الوحي بها عليه ، ضم سبطيه واباهما وامهما اليه ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء ، تمييزاً لهم عن سائر الأبناء والأبنفس والنساء ، فلما انفردوا تحته عن كافة اسرته ، واحتجبوا به عن بقية امته بلغهم الآية وهم على تلك الحال حرصاً على أن لا يطمع بمشاركتهم فيها احد من الصحابة والآل . فقال ﴿مخاطباً لهم وهم معه في معزل عن كافة الناس﴾ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً . فأزاح ﴿ص﴾ بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب ، وهتك سدف الشبهات فبرح الخفاء بحكمته البالغة وسطعت اشعة الظهور ببلاغه المبين والحمد لله رب العالمين ومع ذلك لم يقتصر ﴿ص﴾ على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام ،

« ١ » كما في الممتصد الأول من الشرف المؤبد .

« ٢ » كما في الشرف المؤبد ايضاً .

« ٣ » فيما اخرجه ابن جرير والطبراني بأسانيدهم اليه (ص) وقد ذكره ابن حجر في تفسير الآية من صواعقه والتهاني في صفحة ٧ من الشرف المؤبد .

« ٤ » واخرج الإمام احمد بن حنبل كما في تفسير الآية من الصواعق عن ابى سعيد الخدرى انها نزلت في خمسة - النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين واخرجه عن ابى سعيد ايضاً الإمام الواحدى عند بلوغه للآية من كتابه (اسباب النزول) والامام الثعلبي في تفسيره الكبير . وكثيرون من المحدثين والمفسرين .

حتى اخرج يده من تحت الكساء ، فألوى بها الى السماء . فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا يكرر ذلك وام سلمة تسمع وترى ﴿ اذ كان نزول الآية وقضية الكساء في بيتها ﴾ فقالت وأنا معكم يا رسول الله ورفعت الكساء لتدخل فغذبه « ١ » من يدها وقال إنك على خير . وفي ذلك كله صحاح

« ١ » اخرج الإمام احمد بن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده عن ام سلمة قالت ان رسول الله (ص) قال لفاطمة إئتني بزوجه وابنيك فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلاتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد انك حميد مجيد قالت ورفعت الكساء لأدخل معهم فغذبه من يدي وقال إنك على خير اه . وهذا الحديث رواه بالاسناد الى أم سلمة ايضاً ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره وغير واحد من المنسرين والمحدثين — و اخرج الامام احمد من حديث أم سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده ان رسول الله (ص) كان في بيتها فأنته فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت أم سلمة فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له ، على دكان تحته كساء خيبرى قالت وانا اصلي في الحجرة فانزل الله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك الى خير انك الى خيرا ه . وهذا الحديث اخرجه الإمام الواحدي في تفسير الآية من كتابه اسباب النزول فراجع منه صفحة ٢٩٧ و اخرجه ابن جرير في تفسير الآية من تفسيره الكبير وابن المنذر وابن ابى حاتم وابن مردويه والطبراني وغيرهم . و اخرج الترمذي والحاكم وصحاحه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننهم من طرق عديدة عن أم سلمة قالت في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين فجلهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال اللهم هؤلاء اهل —

متواترة . من طريق العترة الطاهرة - فيا اهل البصائر برسول الله (ص) العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة . المقلدين قدر افعاله واقواله . هل تجدون وجهاً لحصرهم تحت الكساء عند تبليغهم الآية عن الله تعالى إلا المبالغة البليغة في توضيح ما قلناه من اختصاصها بهم وامتيازهم بها عن العالمين وهل تفهمون من قوله اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا إلا الحصر بهم والقصر

— بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ا ه . واخرج مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن عامر بن سعد بن ابى وقاص قال امر معاوية ابن ابى سفيان سعدا فقال ما منعك ان تسب ابا تراب فقال أما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله (ص) فلن اسبه لأن تكون لي واحدة منهم احب الي من حمر النعم سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلانته في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلعتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله (ص) اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى . وسمعتة يقول يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال ادعوا لي علياً فأتى به ارمداً فبصق في عينه ودفع الراية اليه ففتتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء اهلى ا ه . واخرج مسلم أيضاً في باب فضائل اهل البيت من صحيحه وهو في صفحة ٣٣١ من جزئه الثاني عن عائشة قالت خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ا ه . وهذا الحديث اخرجه احمد من حديث عائشة في مسنده واخرجه ابن جرير وابن ابى حاتم والحاكم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة . ومن اراد المزيد فعليه برشفة الصادى للإمام ابى بكر بن شهاب الدين العلوى . على ان في هذا المقدار كفاية لأولي الأبصار .

عليهم وهل ترون وجها لجذب الكساء من يد أم سلمة ومنعها من الدخول معهم ﴿ على جلالة قدرها وعظم شأنها ﴾ ، إلا الذي ذكرناه فأين تذهبون وأنى تؤفكون ﴿ انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مسكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ﴾ فيكون بحجبه إياهم في كسائه عابثاً أو يكون بقوله ﴿ص﴾ اللهم هؤلاء أهل بيتي هادياً أو يكون بجذبه الكساء من يد أم سلمة مجازفاً حاشاله ﴿ ان هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ﴾ وقد تكررت منه ﴿ص﴾ قضية الكساء حتى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية ايضاً والصواب عندنا نزولها مرة واحدة لكن حكمة الصادق الأمين في نصحه ببلاغه المين اقتضت تكرير تلك القضية مرة في بيت أم سلمة عند نزول الآية « ١ » وتبليغها لآهلها المخاطبين فيها وأخرى في بيت فاطمة « ٢ » وفي كل مرة يتلو عليهم الآية مخاطباً لهم بها . وهم « ١ » كما ندل عليه الأحاديث التي سمعتها عن أم سلمة .

« ٢ » ويدل عليه ما أخرجه الإمام أحمد في صفحة ١٠٧ من الجزء الرابع من مسنده عن وائلة ابن الاسقع انه قال من جملة حديث : انيت فاطمة أسأله عن علي قالت ذهب الى رسول الله (ص) فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله (ص) ومعه علي وحسن وحسين آخذا كل واحد منهما بيده فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه . ثم لف عليهم ثوبه . أو قال كسائه . ثم تلا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اه وقد أخرج هذا الحديث عن وائلة ايضاً كل من ابن جرير في تفسيره الكبير وابن المنذر وابن أبي شية وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في سننه والحاكم وصححه وغيرهم من حملة الآثار وحنظة الأخبار : قال النبهاني في صفحة ٧ من كتاب الشرف المؤبد ما هذا لفظه . وقد ثبت من طرق عديدة صحيحة أن رسول الله (ص) جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما —

في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء درءاً للشبهة في نحور اهل الزيغ وقد بلغ ﴿بأبي هو وامي﴾ في توضيح اختصاص الآية بهم كل مبلغ وسلك في اعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب ولا يبقى بعدها أثر لهذين النواصب . حتى كان بعد نزول الآية كلما خرج الى الفجر يمر ببیت فاطمة فيقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقد استمر على هذا ستة اشهر في رواية انس «١» وعن ابن عباس سبعة اشهر وفي رواية ذكرها النبهاني «٢» وغيره ثمانية اشهر فصرح الحق عن محضه ، وبدا الصبح لذي عينين لكن حثالة من اعداء اهل البيت وصنائع بني أمية ودعاة الخوارج ذهبوا في صرف الآية عن اهلها كل مذهب فقال بعضهم انها خاصة بنساء النبي ﴿ص﴾ وتشبهوا في ذلك بسياق الآية وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان في الانتصار لهذا

— بين يديه واجاس حسناً وحسيناً كل واحد على فخذه ثم افعلهم كساء ثم تلا هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال النبهاني قالت أم سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فحذبه من يدي فقلت أنا معكم يا رسول الله فتمال إنك من ازواج النبي على خير .

«١» اخرج الامام احمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثالث من مسنده عن أنس ابن مالك ان النبي ﴿ص﴾ كان يمر ببیت فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى الفجر فيقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اهـ . واخرجه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه وابن ابى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم عن أنس ايضا فراجع كتاب رشفة الصادي للإمام أبي بكر بن شهاب الدين العلوى .

الرأي والاستدلال بالسياق عليه . وكان عكرمة ينادي به في الأسواق « ١ »
 تحاملا على اصحاب الكساء ولا عجب فان عكرمة من الدعاة الى عداوة علي
 والسعاة في تضليل الناس عنه بكل طريق . فعن يحيى بن بكير قال قدم
 عكرمة مصر وهو يريد المغرب ﴿ قال ﴾ : فالخوارج الذين هم في المغرب عنه
 اخذوا « ٢ » وعن خالد بن عمران قال كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت
 الموسم فقال وددت ان بيدي حربة فاعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا
 (لبنائه على كفر من عدا الخوارج من اهل القبلة) وعن يعقوب الحضرمي عن
 جده قال وقف عكرمة على باب المسجد فقال ما فيه الا كافر قال وكان يرى
 رأي الأباضية (وهم من غلاة الخوارج) وعن ابن المديني كان عكرمة يرى رأي
 نجدة الحروري (وكان نجدة من اشد الخوارج عداوة لأمر المؤمنين) وعن
 مصعب الزبيري كان عكرمة يرى رأي الخوارج وعن عطاء كان عكرمة اباظيا
 وعن احمد بن حنبل ان عكرمة كان يرى رأي الصفرية (وهم من غلاة الخوارج
 ايضا) وحدث ايوب عن عكرمة انه قال انما انزل الله متشابه القرآن ليضل به
 (فانظر الى آرائه ما اخبثها) وعن ابن ابي شعيب قال سألت محمد بن سيرين عن
 عكرمة فقال ما يستوي ان يكون من اهل الجنة ولكنه كذاب . وعن وهيب
 قال شهدت يحيى بن سعيد الانصاري وايوب فذكرا عكرمة فقال يحيى هو كذاب

« ١ » فيما نقله عنه جماعة كثيرون منهم الواحدى في كتابه اسباب النزول وابن
 حجر في صواعقه « ٢ » نقل القاضي الجعاني حيث أتى على ذكر عكرمة في كتاب
 الموالي ان عكرمة دخل في رأي الحرورية من الخوارج فخرج يدعو اليهم بالمغرب .
 وعن أبى علي الاهوازي كما في ترجمة عكرمة من معجم ياقوت ان عكرمة كان يرى
 رأي الخوارج ويميل الى استماع الغناء قال وقيل انه كان يكذب على مولاه .

وعن ابن المسيب انه كذب عكرمة ، وعن عبد الله بن الحارث قال دخلت على علي بن عبد الله بن العباس فاذا عكرمة في وثاق فقامت ألا تنقي الله فقال ان هذا الخبيث يكذب على ابي «١» وعن ابن المسيب انه قال لمولى له اسمه برد لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس . وعن ابن عمر انه قال ذلك ايضاً لمولاه نافع . وعن طاوس لو ان عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله وكف من حديثه لشدت اليه المطايا . وعن ابن ذؤيب رأيت عكرمة و كان غير ثقة . وعن يحيى بن سعيد قال حدثوني والله عن ايوب انه ذكر له ان عكرمة لا يحسن الصلاة فقال ايوب او كان يصلي . وعن محمد بن سعيد كان عكرمة كثير العلم وليس يحتج بحديثه ويتكلم الناس فيه . وعن مطرق بن عبد الله سمعت ان مالكا يكره ان يذكر عكرمة ولا يرى ان يروي عنه . وعن احمد بن حنبل ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة الا في مسألة واحدة . وعن سليمان بن معبد السنجي قال مات عكرمة و كثير عزة في يوم واحد فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة «٢» وعن الفضل الشيباني عن رجل قال رأيت عكرمة قائماً

«١» هذا لفظ الذهبي في ميزان الاعتدال نقلاً عن عبد الله بن الحارث . والذي نقله ياقوت الرومي في ترجمة عكرمة من معجمه عن عبد الله بن الحارث قال دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثوق في باب الكنيف فقلت أنفعلون هذا بولاكم فقال ان هذا يكذب على أبي . ونقل ياقوت في آخر ترجمة عكرمة من معجمه ايضاً عن يزيد بن زناد قال دخلت على علي بن عبد الله بن مسعود وعكرمة مقيد على باب الحش قلت ما لهذا كذا قال انه يكذب على أبي ا ه . فهو بمقتضى هاتين الروايتين تارة يكذب على ابن عباس فينكر عليه ابنه ويعزره وتارة يكذب على ابن مسعود فينكر عليه ولده ويعزره . «٢» وعن الرياشي عن الأصمعي عن نافع المدني نحوه : وعن ابن سلام كما في معجم ياقوت ان اكثر الناس كانوا في جنازة كثير.

في لعب الترد . وعن يزيد بن هارون قدم عكرمة البصرة فأتاه أيوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء فقال اسكتوا ثم قال قاتله الله لقد أجاد . فأما يونس وسليمان فما عادا إليه إلى آخر ما هو مأثور عن هذا الرجل مما يدل على سقوطه فراجع ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي فإن فيها جميع ما نقلناه الآن عنه . على أن كل من ترجمه كالعسقلاني في مقدمة فتح الباري . وابن خلكان في وفياته وياقوت الرومي في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب بمعجم الأدباء وغيرهم طعنوا فيه بنحو ما سمعت ولما ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل رجال الخوارج كان عكرمة أول رجل عدله منهم .

وأما مقاتل فقد كان عدواً لأمر المؤمنين أيضاً وكان دأبه صرف الفضائل عنه حتى افتضح بذلك . قال إبراهيم الحربي (كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان) قعد مقاتل بن سليمان فقال (اطفاء لنور أمير المؤمنين) سلوئي عما دون العرش فقال له رجل أخبرني من خلق رأس آدم حين حبس في بيت . وقال الجوزجاني (كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبي) كان مقاتل كذاباً جسوراً سمعت أبا اليمان يقول قدم ها هنا فأسند ظهره إلى القبلة وقال سلوئي عما دون العرش « قال » وحدث أنه قال بمثلها بمكة فقام إليه رجل فقال أخبرني عن النملة أين أمعاؤها فسكت . ونقل ابن خلكان هذه الحكاية في ترجمة مقاتل من وفياته من طريق سفيان بن عيينة — وكان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئة وغلاة المشبهة بنص جماعة منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من كتابه « الفصل » وعده الشهرستاني في كتاب الملل والنحل من رجال المرجئة ، وقال الامام ابو حنيفة (كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال) افراط جهنم في نفي التشبيه حتى قال إنه

تعالى ليس بشيء وافرط مقاتل في معنى الاثبات حتى جعله مثل خلقه ، وقال أبو حاتم بن حيان البستي (كما في ترجمة مقاتل من وفیات ابن خلكان) كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان مشبهاً يشبه الرب بالخلقين « قال » وكان يكذب مع ذلك في الحديث الى آخر ما قاله أئمة الجرح والتعديل فيه ولهم فيه وفي عكرمة كلام أوضح من ذلك في الجرح ، واصرح منه في التضييل والقدح ، لكن المقام لايسع الاستقصاء وهذا القدر كاف لما أردناه من سقوط الرجلين وفساد آرائهما وبطلان أقوالهما ولا سيما في هذا المقام فانه لاينتظر منها فيه إلا ما يقتضيه الوغر والحقد ويستوجبه الخروج والنصب ولا عجب منها وإما العتب والعجب ممن اعتمد عليهما وهو يعرف كنههما .

أما ما تشبثا به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء فتضييل محض وتمويه مجرد وإن أطنب في تليفقه وتزويقه صاحب نوادر الاصول وغيره من أعداء آل الرسول فانهم لم يألوا جهداً في تصويره وتزيوره ولم يدخروا وسعاً في تقريره وتحريره لكن مثلهم في ذلك « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » ولنا في رده وجوه :

الاول إنه اجتهد في مقابل النصوص الصريحة ، والأحاديث المتواترة الصحيحة وقد سمعت بعضها .

الثاني إنها لو كانت خاصة في النساء كما يزعم هؤلاء لكن الخطاب في الآية بما يصلح للاناث ولقال عز من قائل عنكن ويظهر كن كما في غيرها من آياتهن فتدكير ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كاف في رد تضييلهم .

الثالث إن الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض وهو تخلل

الجملة الأجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته إذ يقول لها : « إنه من كيدك إن كيدك عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك » فقوله يوسف أعرض عن هذا مستطرد بين خطاييه معها كما ترى، ومثله قوله تعالى : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسله إليهم بيدي فناظرة بما يرجع المرسلون » فقوله وكذلك يفعلون مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس — ونحوه قوله عز من قائل : « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسـم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم » تقديره فلا أقسم بمواقع النجوم ، إنه لقرآن كريم ، وما بينهما استطراد على استطراد وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العاربة وغيرهم من البلغاء .

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء ، فتبين بسبب استطرادها أن خطاب الله لمن بتلك الأوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن إلا لعناية الله تعالى بأهل البيت « أعني الخمسة » لئلا ينالهم « ولو من جهنم » لوم ، أو ينسب إليهم « ولو بواسطتهم » هناة ، أو يكون عليهم للمنافقين « ولو بسببهم » سبيل ولولا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، وكل إعجازه الباهر كما لا يخفى .

الابح إن القرآن لم يترتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول باجماع المسلمين كافة وعلى هذا فالسياق لا يكفي الأدلة الصحيحة عند تعارضها لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق ، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلم ظهوره بما زعموا والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الأدلة القاطعة ، والحجج الساطعة ، ولا غرو فان حمل الآية على ما يخالف

سياقها غير مناف للبلاغة ، ولا مخل بالاعجاز ، وقد أجمعوا على أنه لا جناح بالمصير إليه إذا قامت قواطع الأدلة عليه .

وذهب بعضهم الى أن المراد من أهل البيت في الآية من حرمت عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم كافة ، مستدلين على ذلك بما أخرجه مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن زيد بن أرقم وقد قيل له من أهل بيته نسأوه ؟ قال لا . وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل ، العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها — أهل بيته الذين حرموها الصدقة بعده اهـ . وأنت تعلم ان استدلالهم هذا باطل من وجهين :

(أحدهما) انك لو راجعت هذا الحديث من صحيح مسلم تعلم ان زيدا إنما سئل عن مراد النبي (ص) بأهل بيته الذين ذكرهم في قوله : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي (١) فأجاب عن خصوص هذا السؤال بما سمعت ولم يتعرض لبيان المراد بأهل البيت المذكورين في الآية إذ لم يسأل عنهم فكيف ننقل عنه في تفسير الآية ما قاله في تفسير الحديث ، وهل هذا إلا كالمغالطة ، ولو سئل زيد عن الآية لأجاب بالصواب كما فعل ابو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم وما كان ليخفى عليه حديث الكساء ، ولا ليخالف في تفسيرها سيد الأنبياء (ص) وبالجملة فان ما نقله مسلم عن زيد خارج عن موضوع مسألتنا هذه ، فلا استدلال به هنا مما لا وجه له .

(١) المراد من أهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار دخول أئمتهم فيهم والقرينة على ذلك اقترانهم بالكتاب الحكيم الذي لا يأنيه الباطل من بين ولا من خلفه وليس المراد من عترته وأهل بيته جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد منهم وهذا المعنى هو الذي أراده زيد بن أرقم .

« ثانيهما » لو فرضنا أن زيدا فسر الآية بما سمعت فانما هو مفسر لها برأي قد رآه لا تثبت به حجة ولا يقوم به برهان حيث لم ينقل ذلك التفسير عن رسول الله (ص) كما يراه كل من راجع الحديث في صحيح مسلم فكيف نعارض به الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ونقدمه على النصوص الصريحة والأحاديث المتواترة الصحيحة ، لكننا منينا بقوم لا ينصفون ، فانا لله وإنا اليه راجعون ، وقد أغرب الرازي إذ قال في تفسيره واختلف في أهل البيت والأولى فيهم ما قاله البقاعي إنهم كل من يكون من الزام النبي (ص) من الرجال والنساء والأزواج والاماء والأقارب الى آخر كلامه الذي نسج فيه على منوال البقاعي وخالف به سنة البشير النذير الداعي :

لكم ذخركم أن النبي ورهطه وجيلاهم ذخري اذا التمس الذخر

جعلت هواي الفاطميين زلفة الى خالتي مادمت أو دام لي عمر

وذهب قوم الى أن الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء جمعاً بين الأدلة وظاهر السياق — ويرده أولاً ما سمعته من كلامنا في السياق فراجعه ، وثانياً منع ام سلمة من الدخول تحت الكساء ، فانه أقوى دليل على خروج النساء . وثالثاً لو كان غير علي وفاطمة وابنيهما مراداً لقال (ص) حين جللهم بالكساء اللهم هؤلاء بن اهل بيتي ، لكنه قصر اهل بيته عليهم وحصرهم فيهم فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطييراً . وفي رواية ذكرها ابن حجر في صواعقه : أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عادهم . وأخرج أحمد بن حنبل من حديث ام سلمة في صفحة ٢٩٦ من الجزء السادس من مسنده قالت بينما رسول الله (ص) في بيتي يوماً إذ قالت

الخدام إن علياً وفاطمة بالسدة قالت فقال لي فتنحي لي عن اهل بيتي قالت فقامت فتنحت في البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق علياً باحدى يديه وفاطمة باليد الاخرى فقبل علياً وقبل فاطمة فأغلق عليهم خيصة سوداء فقال اللهم اليك لا الى النار أنا وأهل بيتي الحديث (١) وهو « كما ترى » ظاهر في حصر أهل بيته فيهم عليهم السلام فهل حاباهم (ص) بكسائه أو آثرهم من تلقاء نفسه بما سمعت من دعائه وثنائه أو ضل وغوى إذ قال انزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ، أو نطق عن الهوى إذ كان يقف كل يوم على باب علي وفاطمة عند خروجه الى النجف فيقول الصلاة يا اهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، أو هجر والعياذ بالله حين قال لام سلمة قومي فتنحي لي عن أهل بيتي — كلا والله « ما ضل صابكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى » ولله درالامام أبي بكر بن شهاب الدين حيث قال في هذا المقام من كتابه « رشفة الصادي » :

دعوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

تنبيهان

﴿ أحدهما ﴾ إن الآية دلت على عصمة الخمسة لأن الرجس فيها عبارة عن الذنوب كما في الكشف وغيره ، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي : إنما ، فأفادت أن إرادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على اذهاب الذنوب عنهم ،

(١) وأخرجه في آخر صفحة ٣٠٤ من الجزء ٦ عن ام سلمة أيضاً .

وتطهيرهم منها وهذا كنه العصمة وحقيقتها (١) .

﴿ ثانيهما ﴾ أنها دلت بالالتزام على امامة أمير المؤمنين لأنه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وفاطمة ولا يكونون كاذبين لأن الكذب من الرجس الذي أذهب الله عنهم وطهرهم منه تطهيراً .

(الفصل الثالث)

في آية المودة وهي قوله تبارك وتعالى في آل حم الشورى : « قل لا أسألكم

(١) أورد النبهاني في أول كتابه « الشرف المؤبد » هذه الآية فنقل عن جماعة من الأعلام ما يدل على أنهم قد فهموا منها عصمة أهلها عليهم السلام ، واليك ما نقله بعين لفظه قال : — قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره يقول الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في معاصي الله تطهيراً « قال » وروى عن أنى زيد أن الرجس ها هنا الشيطان « قال » وذكر أى الطبري بسنده الى سعيد بن قتادة أنه قال قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمته منه « قال » وقال ابن عطية والرجس اسم يتبع على الاثم والعذاب وعلى النجاسات والنقائص فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت « قال » وقال الامام النووي قيل هو الشك وقيل العذاب وقيل الاثم : قال الأزهري الرجس اسم لكل مستقدر من عمل وغيره اهـ . وفسر الشيخ محي الدين بن العربي لفظ الرجس في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل ما يشين واليك عبارته « قال » وقد ذكر النبي « ص » قد طهره الله وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم فان الرجس هو القدر عند العرب هكذا حكى القراء الى آخر كلامه ،

عليه أجراً إلا المودة في القربى (١) ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور أم يقولون افترى على الله كذباً .

أجمع أهل البيت وتوافق أولياؤهم في كل خلف على أن القربى هنا إنما هم علي وفاطمة وأبنائهما ، وإن الحسنة في الآية إنما هي مودتهم ، وإن الله تعالى غفور شكور لأهل ولايتهم ، وهذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها ، وفيه صحاح متواترة عن أئمة العترة الطاهرة واليك ما هو مأثور عن غيرهم ، أخرج أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عباس « كما نص عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي أوردها في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه قال : لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال (ص) : علي وفاطمة وأبنائهما هـ . وهذا الحديث أخرجه عن ابن عباس أيضاً ابن المنذر وابن مردويه (٢) والمقريزي (٣) والبعوي والثعالبي في تناسيرهم والجلال السيوطي (٤) في دره المنثور ، والحافظ أبو نعيم في حليته ، والحموي الشافعي في فرائده ، وغيرهم من المفسرين والمحدثين ، وأرسله الزمخشري في كشافه واستدل على اعتباره بروايات رواها في الكشاف عن

(١) القربى مصدر كالزلفى والبشرى وهي بمعنى القرابة والاستثناء هنا متصل والمعنى لا أسألكم على أداء الرسالة شيئاً من الأجر إلا أن تودوا قرابتي فهو على حد قول القائل :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتبائب
وبجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً أي لا أسألكم عليه أجراً قط ولا كن
أسألكم أن تودوا قرابتي وكيف كان فهو مودتهم فريضة . (٢) فيما نقله عنها النبهاني
في أربعينته . (٣) فيما نقله عنها النبهاني عنه في الشرف المؤبد . (٤) فيما نقله عنه
في الشرف المؤبد .

رسول الله (ص)، فمنها ما روي عن علي قال شكوت الى رسول الله (ص) حسد الناس لي فقال اما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين . ومنها قوله (ص) حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي . ومنها قول رسول الله (ص) من مات على حب آل محمد مات شهيداً (١) ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الأيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، الحديث ؛ واخرجه الإمام الشافعي في تفسيره الكبير عن جرير بن عبد الله البجلي وأورده غير واحد من المحدثين والمفسرين ومؤلفي المناقب . وأنت تعلم ان هذه المنزلة السامية إنما ثبتت لهم من الله تعالى لأنهم خلفاؤه في أرضه . وأولياؤه في

(١) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أنهم الذين هم خلفاء رسول الله «ص» وأرصياؤه ووارثو حكمه وأولياؤه وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على أنها لا يشترقان فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدى من اعرض عن أحدهما وليس المراد هنا من الال جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد لأن هذه المرتبة السامية لأولياء الله خاصة . نعم تجب محبة جميع أهل بيته وكافة ذريته لا تنسابهم اليه صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشناعة من رسوله صلى الله عليه وآله .

بسطه وقبضه . وحججه البالغة . ومناهل شرائعه السائغة ، وامنائه بعد النبي (ص) على وحيه . وسفراؤه في أمره ونهيه . فالحب لهم بسبب ذلك محب لله . والمبغض لهم مبغض لله . ومن هنا قال فيهم الفرزدق :

من معشر حبه دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

ان عد اهل التقي كانوا أمتهم او قيل من خير اهل الارض قيل هم

واخرج الحاكم « كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان » بالاسناد الى ابي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله (ص) ان الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتى وخلقنا انا وعلي من شجرة واحدة فأنا اصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا أوراقها فن تعلق بغصن من اغصانها نجا . ومن زاغ عنها هوى . ولو ان عبداً عبد الله الف عام ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبه الله على منخريه في النار . ثم تلا (قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى ا هـ . واخرج أبو الشيخ وغيره ﴿ كما في الصواعق وغيرها ﴾ عن علي (ع) فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسنا إن الله غفور شكور . وإلى هذا أشار الكمي بقوله :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

وأخرج البزار والطبراني وغيرهما ﴿ كما في الصواعق وغيرها ﴾ عن الإمام أبي محمد الحسن السبط المجتبى (ع) بطرق مختلفة انه خطب خطبة قال فيها . وأنا من أهل البيت الذين اقترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما انزل على محمد (ص) قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسنا (قال) واقترب الحسن مودتنا أهل البيت ا هـ . واخرج الطبراني

(كما في الصواعق وغيرها) عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام أنه لما اقيم (أبوي وأمي) اسيرا على درج دمشق قال له بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذي قتلكم ، فقال له اما قرأت ، قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى (١) قال وانتم هم قال نعم اه . واخرج أحمد بن حنبل (كما في الصواعق أيضاً) عن ابن عباس في قوله تعالى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا قال هي المودة لآل محمد وأخرجه ابن أبي حاتم « كما في الشرف المؤبد (٢) عن ابن عباس أيضاً وعن أبي حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عباس انه حين استحكم الإسلام بعد الهجرة قالت الأنصار نأتي رسول الله فنقول له قد تعرفك أمور فهاه أمواننا تحكم فيها كيف شئت فأتوه بذلك فنزات الآية فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا مسلمين لقوله . وقال المنافقون إن هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد به أن يدللنا لقرابته من بعده فنزلت أم يقولون افترى على الله كذباً الحديث . وقد أخرج الثعالبى والبعوي (كما في الصواعق) عن ابن عباس أيضاً مثله . قاتل الله الحسد يورد أهله الدرك الأسفل من النار . انظر كيف خرج هؤلاء من الدين وكذبوا - حسداً لأولياء الله - نبيهم وهو الصادق الأمين فأنزل الله تعالى في نفاقهم قرآناً يتلوه المسلمون آناً الليل واطراف النهار - ومع ذلك فإن بذرة أهل النفاق والحسد قد اجذرت بتعاهد اولي السلطة لها (من بني أمية وغيرهم) بما يستوجب نموها ، وجهور المسلمين غافلون ، فالتبس الأمر ، ووقعت الشبهة - وإنما دخل البلاء باعتماد الجمهور على كل من كان في الصدر الأول ، وبنائهم على عدالة كل فرد فرد ممن كانت له صحبة ، مع ما يتلونه

(١) رواه النبهاني في المقصد الثالث من كتابه الشرف المؤبد عن السدى عن

أبي الديلم .

(٢) راجع منه صفحة ٩٥ .

في الكتاب والسنة من شؤون المنافقين (١) وتربصهم الدوائر بسيد النبيين والمرسلين (ص) واشتد البلاء بالمنع من الخوض في تلك الأحوال . وسددهم باب البحث عن حقائق أو كلك الرجال فضيعوا على انفسهم كثيراً من الحقائق . وربما نسجوا (من حيث لا يقصدون) على منوال كل منافق . ولذلك اختلفوا في هذه الآية ، مع ما سمعت بعضه من النصوص الجليلة في نزولها بمودة العترة الزكية ، والذي عرفناه من أقوال المخالفين أربعة مذاهب :

الاول ان الله تعالى أمر نبيه (ص) أن يقول لمشركي قريش لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى ، يعني إلا أن تودوني في قرابتي منكم . واتصلوا الرحم التي بيني وبينكم - وهذا مردود بوجوه « أحدها » أن الآية مدنية كما سمعته قريباً عن تفسيري البغوي والثعلبي ، وستسمعه عن غيرهم أيضاً ، فأين مشركو قريش عنها ، « ثانيها » أن سبب نزولها بحكم ما سمعته وما ستسمعه من الأخبار ، إنما هو عرض الأنصار أموالهم على رسول الله (ص) ، أو مفاخرتهم لبني هاشم ، فيكون الخطاب معهم ، لأمع مشركي قريش « ثالثها » انه لا يصح أن يكون الخطاب مع المشركين إذ يقبح من الحكيم أن يطلب الأجر على اداء الرسالة ممن كفر بها . وبلغ الغاية في جحودها وتكذيبها . وإنما يحسن ذلك ممن

(١) وحسبهم من الكتاب سورتنا التوبة والاحزاب ؛ فان فيهما الذكرى لأولي الالباب . (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لانعلمهم نحن نعلمهم) وناهيك من السنة باب الخوض من كتاب الرقاق . من صحيح البخاري وباب قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلاً وهو في كتاب بدء الخلق من الصحيح المذكور أيضاً وما أخرجه أحمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده عن أني الطفيل فراجع . (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فنن يضرب الله شقياً وسيجزى الله الشاكرين) .

آمن بها . وعدها نعمة عليه « رابعها » أن هذا القول مخالف لما سمعته من النص على أنها نزلت في مودة علي وفاطمة وابنائهما « خامسها » أنه إنما هو قول عكرمة وتبعه فيه جماعة من صنائع بني أمية واعداء أهل البيت كما كنا أوضحناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، وهؤلاء لا تقبل أقوالهم ولا سيما في مثل المقام وقد عرفت أن عكرمة من دعاة الخوارج ، وكذبة المحدثين ، كما بيناه في الفصل السابق - وأخطأ من نسب هذا القول الى ابن عباس ، إعتدالاً على خبر رواه البخاري في باب قوله إلا المودة في القربى من كتاب تفسير القرآن من صحيحه ، عن محمد بن بشار ، عن محمد بن جعفر ، وهما ضعيفان بائع جماع الإمامية ، ووافقه يحيى بن معين - كما في ميزان الاعتدال - على تضعيف محمد بن بشار ، بل كذبه الفلاس فراجع - وكيف يقول ابن عباس في تفسير القربى غير الذي قلناه ، مع ما سمعته من الأحاديث الثابتة عنه في تفسير القربى بعلي وفاطمة وابنائهما وتفسير الحسنة بمودتهم .

الثاني من مذاهب المخالفين في تفسير الآية أن معناها . قل لا أسألكم عليه اجراً إلا أن تودوا القربى من الله عز وجل بالأعمال الصالحة .

الثالث أن معناها إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم - وأنت تعلم أن أصحاب هذه الأقاويل . ما أرادوا بها غير التمويه والتضليل . وحسبهم في ردها أنها في مقابل النص والدليل وحسبنا الله ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير .

الرابع أن الآية منسوخة بقوله تعالى (في سورة سبأ) - قل ما سألتكم عليه من اجر فهو لكم - وهذا من أغرب الأقاويل ، وأعجب الأباطيل . لأن وجوب مودة القربى بكل المعاني مستمر الى يوم القيام . بحكم الضرورة من دين الإسلام . فما معنى هذا النسخ يامسلمون . على أنه لا تنافي بين الآيتين ، لتكونا

من قبيل الناسخ والمنسوخ ، فان معنى آية الشورى لا اسألكم على اداء رسالتي شيئاً من الأجر الا مودة قرابتي . ومعنى آية سبأ اني ما سألتكم على اداء رسالتي شيئاً من عرض الدنيا . والذي طلبته منكم في سورة الشورى اجراً عليه من مودة قرابتي فانما هو لكم لا لي لأن قرابتي حجج الله البالغة لديكم . ونعمه السابغة عليكم . وهم أمان اهل الأرض . وباب حطة . وسفينة نجاة هذه الامة . وهم كالقرآن الحكيم فودتهم لازمة لكم ، ومنافعها انما هي عائدة عليكم ، — فارجع البصر هداك الله ، وأمعن النظر في الآيتين ، وهما قوله تعالى : (قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) وقوله سبحانه : (قل ما سألتكم عليه من اجر فهو لكم) تجد الثانية مؤكدة لمفاد الأولى ومشوقة اليه كما لا يخفى .

وبقي للقوم اعتراضان (احدهما انهم قالوا لو اراد الله من الآية مودة القربى ، لقال : الا مودة القربى . او الا المودة للقربى . — والجواب أن هذا تغافل عما لا يغفل عنه ذو حظ من فهم . وتجاهل بما لا يجهله الخبير بمواقع الكلام . لأن الاضافة واللام هنا لا يفيدان ما افادته في . من المبالغة بمودة القربى (١) بجعلهم موضع الود والموالاتة كما يعلمه جهابذة الكلام العربي ويشهد به أئمة البلاغة . قال الزمخشري في كشفه بعد تفسير القربى بمن ذكرناهم عليهم السلام فان قلت فهلا قيل الا مودة القربى . او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى قلت جعلوا مكاناً للمودة ومقرراً لها . كقولك : لي في آل فلان مودة . ولي فيهم هوى وحب شديد . تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وايسر في بصلة المودة كاللام

(١) قال النبهاني حيث أورد الآية في الشرف المؤبد القربى مصدر بمعنى القرابة وهو على تقدير مضاف اى ذوى القربى يعنى الأقرباء (قال) وعبر بفى ولم يعبر باللام لأن الظرفية ابلغ وآكد للمودة اهـ .

إذا قلت إلا المودة للقربي . إنما هي متعلقة بمحذوف . تعلق الظرف به ، في قولك المال في السكيس ، وتقديره إلا المودة ثابتة في القربي ، ومتمكنة فيه ، هذا كلام الزمخشري بعين لفظه والله دره ما أوفر نصيبه من الاحاطة بالأسرار التي لا تتناهي البلاغة ولا يتم الإعجاز إلا بها — « ثانيهما » أنهم قالوا هذه الآية في سورة الشورى . وهي مكية ، والحسنان ولدا في المدينة فلا يمكن إرادتهما منها — والجواب أن هذه الآية وما بعدها إلى آخر ثلاث آيات مدنية قطعاً بحكم الأخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة . وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة ، ويدل عليه ما سمعته قريباً عن أبي حمزة الثمالي وتفسير الثعلبي والبعوي ، وحسبك ما ذكره الإمام الواحدي في كتابه « أسباب النزول » حيث قال : قال ابن عباس لما قدم رسول الله (ص) المدينة ، كانت تنوبه نواب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فقال الأنصار ، إن هذا الرجل قد هداكم الله به . وهو ابن اختكم ، وتنوبه نواب وحقوق . وليس في يده لذلك سعة ، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم فأتوه به ، ليعينه على ما ينوبه ففعلوا ثم أتوه به . فقالوا يا رسول الله إنك ابن اختنا وقد هدانا الله تعالى على يدك وتنوبك نواب وحقوق وليس لك سعة . فرأينا أن نجتمع لك من أموالنا فنأتيك به فتستعين على ما ينوبك وهو هذا . فنزلت قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربي اه وهذا الحديث موجود أيضاً في الكشف وغيره من التفاسير المعتبرة والكتب المؤلفة في أسباب النزول — وفي الكشف وغيره رواية أخرى في سبب نزولها ، جاء فيها أن الأنصار فاحروا بعض بني هاشم ، فعاتبهم النبي (ص) بذلك ، فنجثوا على الركب ، وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله ، فنزلت الآية فقرأها عليهم

ليست هذه الأخبار كلها صريحة بنزول الآية في المدينة ، وأن مخاطبين فيها إنما هم الأنصار ، ولا ينافي ذلك كونها في سورة مكية ، لأن ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول ، إجماعاً وقولاً واحداً (١) ومن ثمة كان أغلب السور المكية لا يخلوا من آيات مدنية ، وكذلك أكثر السور المدنية لا يخلو من آيات مكية ، بحكم أمة السلف والخلف من الفريقين (٢) ووصف الصورة بكونها مكية أو مدنية تابع لأغلب آياتها . كما صرح به أمة هذا الفن من أهل المذاهب كلها على أنه لا مانع من تناول الآية الكريمة للحسين (ع)

(١) ألا ترى أن الأغلب من أواخره مكي . والأكثر من أوائله مدني . فلو كان مرتباً على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما أخر وتأخير بعض ما قدم . وكانت سورة العلق في أوائله وسورة براءة في آخره . بناء على ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب عن شعبة ورواه مسلم عن بنادر عن غندر عن شعبة أيضاً . وكانت آخر آية من آياته قوله تعالى وانتم يوماً ترجعون فيه إلى الله . أو آخر آية من سورة النساء . أو قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية . كما لا يخفى على من راجع الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

(٢) فراجع (إن شئت التفصيل) أوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن أو من تفسيري الطبري والرازي الكبيرين . أو من الكشاف . أو أول كل من المائدة . والاعراف . والرعد . والاسراء . والكهف . ومريم . والحج . والشعراء . والتقصص . والروم . ولقمان . وسبأ . والزمر . والذخرف . والدخان . والرحمن . والمجادلة . من كتاب تفسير القرآن من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري وسائر المؤلفات في هذا الموضوع وبعد التبصير قل لي كيف الغي المعترضون صحاح الأخبار المنسرة للقرني بما قلناه وصرفوا الآية عن أهلها بمجرد كونها في سورة يقال عنها مكية ومن أوحى إليهم أنها ليست كأغلب المكيات وصفت بهذا الوصف باعتبار الغلبة (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس وقد جاءهم من ربهم الهدى) .

حتى لو فرضنا نزولها بمكة ، قبل ولادتهما . لأن المودة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجوداً حين نزولها . بل هي ثابتة فيهم . وهم على الاطلاق مكانها كما سمعت — وبناء على هذا تكون الآية نظير قوله تعالى : « يوصيكم الله في اولادكم » أترى احداً من المسلمين قصر هذه الوصية على من كان موجوداً . من الأولاد حين نزولها . كلا بل لم يتوهم ذلك ابن اثني . فليت شعري ما الفرق بين الآيتين .

واما ما سمعته من قول النبي (ص) في تفسير القربى هم علي وفاطمة وابناهما . فيجوز أن يكون متأخراً عن نزولها . او انه خبر من الله عز وجل بالغيب فيكون من اعلام النبوة . ولا غرو فقد اخبر عن خلفائه وانهم اثنا عشر واخبر عن يوم الجمل و كلاب الحوآب وعن الفتنة الباغية وقتلها عماراً وعن الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وعن الناكثين والقاسطين والمارقين وعن الضعائن لعلي في نفوس قوم وانهم لا يبدونها له إلا بعد فقده وعن اشق الآخرين وضربه سيد الوصيين بالسيف على هامته وان شيبته السكرية تخضب من دم رأسه وعن حال بضعته الزهراء من بعده وانها اول اهل بيته لحوقاً به وعن محنة الحسن والذعاف الذي تجرعه وعن مصائب سيد الشهداء في طف كربلاء وعما لفيه اهل بيته من الأثرة والبلاء والقتل والتشريد والتطريد في البلاد وعن ولادة الجور الذين يملكون من بعده امر هذه الأمة وعن بوائق بني أمية وبني مروان وان مدتهم تكون الف شهر وعن بني العباس وملوكهم وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها الى مالا يحصى من إخباره عن الله تعالى بالمغيبات وقد رأتها الأمة بعد ذلك مثل فلق الصبح فعلم الله الأزلي الذي وسع كل شيء قبل ان يكون شيء

لا يضيق عن تولد الحسين من علي وفاطمة قبل ان يخلقها تبارك وتعالى وليس على الله بعزيز أن يبشر بهما نبيه (ص) وينترض مودتهما على الأمة قبل ولادتهما لكرامتهما عليه وقرب منزلتهما منه سبحانه وتعالى كما بشر الله آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر النبيين والمرسلين بمحمد (ص) وعليهم اجمعين . وعرفهم جلالة قدره . وعظم شأنه . فأمنوا به . وبجئوا لنفضه — ونحن مهما شككنا فلا نشك في أن العترة والكتاب ثقلا رسول الله اللذان لا يضل من تمسك بهما وأن كلا منهما يفرغ عن الآخر لأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وقد تواترت الأخبار عنهم في تفسير القربى بما ذكرناه . وناهيك بذلك حجة على ما قلناه على أن تفسير القربى هنا بعلي وفاطمة وابنائهما هو الذي ذهبت اليه جماهير اهل السنة وقطعت به أكابرهم (١) وحسبك قول امام الخلف منهم والسلف ، محمد بن ادریس الشافعي رحمه الله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله (٢)
كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له
وقول الشيخ ابن العربي :

رأيت ولأبي آل طه فريضة على رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث اجراً على الهدى بتبليغه الا المودة في القربى

(١) كما صرح به غير واحد من الأعلام كالسيد الإمام أبي بكر بن شهاب الدين في كتابه رشفة الصادي .

(٢) اليتان الأولان نسبهما الى الإمام الشافعي ابن حجر في صواعقه والنهباني في شرفه وهما مشهوران عنه منتشران سائر ان وقد نسب اليتين الآخرين إلى ابن العربي صاحب الصواعق وغيره .

وقال المعاصر النبهاني :

آل طه يا آل خير نبي جدكم خيرة واتم خيار
أذهب الله عنكم الرجس اهل الد بيت قدماً فأتتم الأطهار
لم يسئل جدكم على الدين أجراً غير ود القربى ونعم الاجار
وحيث ثبت هذا عن أئمة السنة ، وجاهير الأمة ، فلا مبالاة إذن بمخالفة من
خالف ولا بمجازفة من جازف ، ممن اشار النبهاني اليهم في كتابه (الشرف المؤبد)
حيث ذكر بعضهم في خطبة الكتاب ، فقال : ومن هذا القليل ما وقع في عصرنا
في القسطنطينية سنة سبع وتسعين ومائتين والـ هجرية ، من قوم جهال غرقوا من
احوال البغضاء لآل محمد في احوال فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات
والأخبار في فضل اهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومهبط الوحي ، ومنبع
الحكمة ، ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة ، وآراءهم الذميمة ، ومع
ذلك فقد زعموا انهم لأهل البيت من اهل المحبة والوداد ، ولم يعلموا انهم هائمون
من الخذلان في كل واد ، الى آخر ما قال فيهم ، وفيمن نسجوا على منوالهم ،
ممن تقدمهم فراجع — وقال في المقصد الثالث من الكتاب المذكور فقد رأينا
من إذا سمع بذكر مزية امتاز بها اهل البيت ، او منقبة اسندت اليهم ، ووصفوا
بها من الله تعالى ، ورسوله (ص) او السلف الصالح أو علماء الامة ، أو اوليائها ،
يقطب وجهه ، ويتغير خلقه ، ويود بلسان حاله . أن تلك المزية لم تكن لهم ، وقد
يتكلف الاقويل الواهية ، والاخبار الموضوعة ، والآثار المصنوعة ، ليطفي بها
نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . هذا كلامه بعين لفظه (والحق
ينطق منصفاً وعينداً) .

نسأل الله الهداية والتوفيق ، لنا ولجميع المسلمين بمنه وكرمه انه ارحم الراحمين .

(الفصل الرابع)

في آيات الأبرار ، وهي قوله عز اسمه في سورة الدهر (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييرا يوفون بالنذر) الى آخر السورة .

أجمع أولياء أهل البيت « تبعاً لكفاة أمتهم عليهم السلام » على نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين وصحاحهم في ذلك متواترة ، من طريق العترة الطاهرة ، وهذا عندهم من الضروريات التي لا يجهلها منهم احد ، وقد اخرج عن ابن عباس جماعة من اعلام غيرهم ، كالامام الواحدي في كتابه البسيط ، والامام أبي اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير ، والامام أبي المؤيد موفق بن أحمد في كتاب الفضائل ، وغير واحد من الحفظة وأهل الضبط ، واليك ما ذكره الزنجشيري في تفسير السورة من الكشف بعين لفظه ، قال : وعن ابن عباس « رض » أن الحسن والحسين مرضا فعادها رسول الله «ص» في ناس معه ، فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك ، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئتا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام ، فشفا وما معهم شيء ، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير ، فطحن فاطمة صاعاً واختبرت خمسة اقراص على عددهم ، فوضعوها بين ايديهم ليفطروا ، فوقف عليهم سائل فقال ، السلام عليكم أهل بيت محمد ، مسكين من مساكين المسلمين اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء ، وأصبحوا صياماً ، فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم ، وقف عليهم يتيم فأثروه ، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي « رض » بيد الحسن والحسين ، واقبلوا الى

رسول الله (ص) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، قال ما أشد مايسوؤني ما أرى بكم ، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها ، قد التصق بطنها بظهرها ، وغارت عيناها ، فساء ذلك ، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال خذها يا محمد ، هناك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة اه .

ونحن لاحتاجة بنا الى توضيح الوقت في اخراج أسانيد هذا الحديث وطرقه الى ابن عباس ومجاهد ، وأبي صالح وعطاء وغيرهم ، ولا إلى ذكر من أخرجه من حفاظ الحديث ، وأئمة التفسير ، بعد تواتره عن أئمة الأبرار ، وكونه مما لا ريب فيه - وإنما نشير إلى بعض ما تضمنته تلك الآيات اللينيات من اسرار البلاغة ، لينتبه أولو الأبواب (وتعيا اذن واعية) :

إن علماء البيان ، وسائر أهل اللسان ، لا يرتابون في أن الجمع المحلى . بلام التعريف حقيقة في العموم ، وهذا مما لا يختلف فيه اثنان من أهل العربية ، وأنت تعلم أن لفظ الأبرار في الآية جمع برّ - أوبر ، محلى باللام كما ترى ، فظهوره في الشمول والاستغراق مما لا ريب فيه وإنما أطلق على علي وفاطمة والحسن والحسين تبياناً لكونهم أكمل الأبرار ، وأذانا بأنهم أفضل الأخيار ، وبرهاناً على انهم صفوة الصفوة ، وحجة على انهم خيرة الخيرة ، فماعسى ان يقول القائلون في عظيم برهم ، أو يصف الواصفون سمو قدرهم ، واي مدحة توازن مدحة الفرقان وأي ثناء يكال ثناء الذكر الحكيم ، وأي عبارة فاضلة شريفة مقدسة تكافى قول الله تعالى فيهم « ان الأبرار » علياً وفاطمة والحسن والحسين « يشربون » الشراب الطيب الطاهر ، يوم العطش الأكبر « من كأس » هي الزجاجاة إذا كان فيها الشراب ويسمى الشراب نفسه كأساً أيضاً وقد وصفها بقوله عز من قائل « كان مزاجها » الذي تمزج به ماء من عين في الجنة ، تسمى « كافورا » لأن ماءها في بياض

الكافور ورائحته وبرودته ، والدليل على أن كافوراً اسم عين في الجنة قوله تعالى « عينا » بالنصب على انها عطف بيان أو بدل من كافوراً (١) يشرب بها عباد الله « علي وفاطمة والحسنان ، وامثالهم من الكاملين في العبودية لله سبحانه ، الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، الى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة - وإنما وصل فعل الشرب في الآية الأولى بمن الابتدائية ، ووصله في الآية الثانية بباء الاصاق ، لأن الكأس مبتدأ شربهم ، والعين يمزجون بها شرايبهم ، فيكون المعنى يشربون الشراب بماء تلك العين ، كما تقول شربت الماء بالعسل ، وهذه العين « يفجرونها » أي يجرونها حيث شاءوا من كل مكان أرادوا « تفجيراً » سهلاً يسيراً ، لانهلحهم فيه كافة ، ولا يجدون فيه من مشقة ، وقد بين الله سبحانه وتعالى السبب في استحقاقهم لهذه الكرامة ، فقال : (يوفون بالنذر) جواباً لسؤال مضمّر ، تقديره ما الذي فعلوه فاستحقوا به هذا الجزاء وأنت تعلم أن ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر إلا المبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات ، لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه ، كان بما أوجبه الله عليه أوفى ، وتلك شهادة لهم من الله تعالى ، ومن أصدق من الله قليلاً ، لم يقتصر سبحانه في تزييتهم بهذه الشهادة على المبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات حتى بالغ في بعدهم عن المحرمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف

(١) وقيل تخرج لهم بالكافور وتختم بالمسك وقيل بل فيها بياض الكافور ورائحته وبرده فكأنها مزجت به وعلى هذين القولين تكون عينا منصوبة على الاختصاص أو على البدل من محل كأس بتقدير حذف مضاف ويكون المراد من الكأس على هذا نفس الشراب لا الزجاجة والتقدير حينئذ ان الأبرار يشربون من شراب كان مزاجها كافوراً شراب عين يشرب بها عباد الله .

من يوم القيامة ، حيث قال وهو اصدق القائلين (ويخافون يوماً كان شره مستطيراً يريد بذلك ان هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب أمره ونهيـه)
وتلك منزلة المعصومين ومن تدبر القرآن الحكيم ، وغاص على اسراره البالغة ،
وجد في هذه الآيات البينات من عناية الله تعالى في هؤلاء الابرار أمراً عظيماً ،
لا يوصف بكيف ، ولا يقدر بكم ، ألا ترى كيف رتب هذه الشهادات في تركيبتهم
فكانت كل شهادة أكبر من سابقتها ، إذ شهد أولاً بأنهم يوفون بالنذر ثم شهد
ثانياً بأنهم يخافون يوماً كان شره مستطيراً ، فكانت أعظم من الأولى ، لدلالاتها
بصریح العبارة على رسوخ الايمان بالله واليوم الآخر ، ثم شهد لهم ثالثاً بما هو
أعظم من ذلك ، فقال (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) الضمير
في حبه للطعام على الأظهر والمعنى انهم يطعمون الطعام مع حبه لشدة جوعهم
بسبب صومهم ثلاثة أيام لا يذوقون في لياليها غير الماء ، وهذا على حد قوله تعالى
وأتى المال على حبه ، وقوله سبحانه لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وقوله
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وإنما كانت هذه الشهادة أعظم
لكشفها عن كمال نفوسهم ، وبلوغهم اقصى الغايات في حب الخير والاثار على
انفسهم ، إشفافاً على المسكين . ورأفة باليتيم . وعطاة على الأسير . وأنت تعلم
أنهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح . لكنهم مثلوا الحنان والرحمة
بأجلى مظاهرها حين لم يكونوا مكافئين بذلك ولا مسؤولين عنه . وتلك من أفضل
صفات المقربين بقي اعظم الشهادات وأجلها . وأقوى الأدلة على تركيبتهم وأدلتها
ألا وهو الذي أشار اليه سبحانه وتعالى حيث قال بلسان حالهم عن مكنون
سرائرهم (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء) بفعل تفعلونه (ولا شكوراً)

بقول تقولونه (إنا نخاف (١) من ربنا يوماً) موصوفاً على سبيل المجاز بكونه
«عبوساً قطرياً» شديد العبوس، تشبيهاً له في شدته وضرره، وتخويفه بالاسد
العبوس، أو بالخاك المتتمر العبوس، ويجوز وصفه بصمة أهله لعبوسهم يومئذ من
شدة أهواله، كقولهم نهارك صائم - وأنت إذا تدبرت بشائره لهم بالامن من
أهوال ذلك اليوم، تعرف مزيد عنايته بهم (ع) حيث لم يكتف منها بإشارة
واحدة. بل جعل البشائر مترادفة متوالية. وكل واحدة منها اعظم من سابقتها
قال أولاً (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) تأمينا لهم من شره وضره. ثم اربى على
ذلك فقال «ولقاهم نضرة» في وجوههم (وسرورا) في قلوبهم بدل عبوس
أعدائهم وحزنهم ثم ترقى في البشارة فقال «وجزاهم بما صبروا» على الاثار
مع شدة الجوع ابتغاء لمرضاة الله (جنة وحريرا) ثم لم يكتف في البشارة بالجنة
على سبيل الاجمال. حتى فصل فيها أكثر الأحوال، فقال تعالى «متكئين فيها
على الأرائك» فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور، مستبشرين
فكهن «لا يرون فيها شمساً» حرها يحمى «ولا زمهرياً» برده يؤذي فالشمس
والزمهري هنا كناية عن الحر والبرد (٢) وقد جمعوا بين البعد عنها ودنو الظلال
عليهم، كما اشار اليه سبحانه بقوله «ودانية عليهم ظلالها» بنصب دانية، عطفاً

- (١) فعن مجاهد «كما في الكشف وغيره» انهم لم يقولوا (حين اطعموا الطعام)
شيئاً وإنما عليه الله منهم فأثنى به عليهم وهذا من عظيم عنايته بهم.
(٢) وقيل ان الزمهرير هنا إنما هو القمر بقرينة مقابله الشمس وأنشدوا بما
يدل على كونه من اسماء القمر:

ولاية ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير مازهر
وعلى هذا فالمعنى ان الجنة ضياء لا حاجة فيها الى الشمس والقمر

على محل الجملة التي قبلها (١) لأنها في محل نصب على الحالية من الممدوحين (ع) والتقدير متكئين على الأرائك غير رائين شمساً ولا زمهرياً ، ودانية عليهم ظلالها ثم لم يكتف سبحانه بهذا القدر من بيان كرامتهم حتى قال « وذلك قطوفها — تدليلاً » والمعنى تدنو ظلالها عليهم في حال تدليل قطوفها لهم ، إذ الجملة هنا حالية من الضمير في دانية (٢) والمراد من تدليل قطوفها جعلها ذللاً لا تمتنع على قاطفها متى أراد وكيف شاء ، ويجوز أن تكون مأخوذة من الذل بمعنى الخضوع لسهولة قطفها كيف شاء قاطفها — ولو اكتفى جل وعلا بهذا القدر من بيان فوزهم في دار كرامته لكفاهم شرفاً وفضلاً ، لكنه سبحانه آثر الاطناب فيما تحدى به من معجزات الكتاب ، ليمثل بذلك عنايته التامة فيهم تمثيلاً ، وليفضلهم على من سواهم تفضيلاً فقال « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب » خلقها الله تعالى بباهر قدرته ، واتقان صنعه فقال كوني من جنس النضة في صفاء القوارير وشفيفها

(١) ويجوز عطفها على جنة فيكون المعنى وجزاهم جنة وحريراً وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها إذ أنهم وصفوا بالخوف من ربهم في قوله تعالى « إنا نخاف من ربنا » وقد وعد الله الخائفين من ربهم بجننتين فقال « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ويجوز أن نجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صنات لجنة — وقرىء ودانية بالرفع على أن تكون خبراً مقدماً والمبتدأ المؤخر ظلالها والجملة في محل الحال ، والتقدير لا يرون شمساً ولا زمهرياً ، والحال أن ظلالها دانية عليهم .

(٢) ويجوز عطفها على دانية أي ودانية عليهم ظلالها ومذلة لهم قطوفها وإذا جعلت متكئين ولا يرون ودانية صفات للجنة ، فتسكن هذه الجملة صفة لها أيضاً هذا كله مع نصب دانية أما مع رفعها على الاخبار بها عن ظلالها فتكون هي وظلالها جملة ابتدائية والجملة من وذلك معطوفة عليها .

ولذا « كانت قواريرا (١) قوارير من فضة » فتبارك الله أحسن الخالقين ، كيف جمع فيها بين صفتي المعدنين المتباينين ثم لم يكتف سبجانه ببيان جنس تلك القوارير وباهر وصفها حتى وصفها أيضاً بقوله « قدروها » في أنفسهم « تقديرًا » خاصاً على كفيات مخصوصة تشبهها نفوسهم وتلد بها أعينهم ، فجاءت كما قدروا على حسب ما يتمنون . ثم شرح تبارك وتعالى ما يقع استعماله منهم في تلك الأكواف فقال « ويسقون فيها كأساً » أي خمر موصوفة بقوله « كان مزاجها » الذي تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى « زنجيلا » ويدلك على أن زنجيلا اسم لعين في الجنة . قوله تعالى « عيناً فيها » بالنصب على أنها عطف بيان أو بدل من زنجيلا ، ويجوز نصبها على الاختصاص أو على كونها بدلاً من كأساً بتقدير حذف مضاف ، ويكون المعنى ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجيلا . كأس عين « تسمى سلسبيلا » لكونها في منتهى السلاسة يقال شراب سلسل ، وسلسال اذا كان سلساً سائغاً سهل الانحدار . ويقال سلسبيل اذا كان في غاية السلاسة — لم يكتف عز وجل بقوله : ويطاف عليهم ، حتى ذكر الطائفين عليهم القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر وأجمله ووصفهم بالطف الوصف وأفضله فقال : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم » لجمال منظرهم ، وكمال هيئتهم ، وصفاء ألوانهم ، وهاء أشكلهم وما يروق العالمين من حسنهم ولطفهم وانبثاثهم في أنديتهم لؤلؤاً منشوراً « وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لحسنه وكثرة مائه — لم يكتف جل وعلا بهذه التفاصيل كلها حتى أفاد سبجانه أن الاجمال

(١) الألف هنا للاطلاق وهي فاصلة بين قوارير الاولى والثانية وهما لا ينصرفان لكونهما في صيغة منتهى الجموع .

فما أعده الله لهم مما لا بد منه ولا مندوحة عنه لا تمتناع تفصيله بسبب قصور العبار
وعجز افهام الناس وقصر ادراكهم ولذا قال وهو أصدق القائلين : « واذا رأيت
ثم » فلم يجعل مفعولاً لرأيت لا ظاهراً ولا مقدرأ لتكون الرؤية عامة لجميع مائة
والمعنى أنك اذا أوقعت رؤيتك هناك على أي شيء من الأشياء تجدك قد
(رأيت نعيمًا) عظيمًا تضيق عنه الأوهام ، (وملكًا كبيرًا) تنقطع دونه
الأماني ولا يمكن وصفه إلا بهذا المقدار — وهذه الآية أبلغ في كرامتهم من كل
ما تقدم وقد تدبرها من تدبرها ، فعلم أن فيها من فضائلهم ما لا يحيط به إلا
الله تعالى ومع ذلك لم ينته ذكره سبحانه لهم ووعد إياهم بما هم أهل بل قال :
« عليهم (١) ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة » فهم مزدانون
بحلي الكرامة ، رافلون في حلل دار المقامة (و) قد (سقاهم ربهم) جل وعلا هذا
الساقى وتبارك ما أعظم عنايته فيهم وأجل اهتمامه ببيان كرامتهم ، إذ نسب
السقي على سبيل المجاز الى جلالته تعالى ، فما يقول الواصف بعدها وإن أطنب
وما عسى أن يصف القائل فيهم وإن أسهب ، وما ظنك بمن يسقيهم ربهم بكأسه
الأوفى (شرابًا طهورًا) يرشح بعد ذلك من أبدانهم عرقاً أطيب من ريح المسك
لا كخمر الدنيا رجساً نجساً خبيثاً منتناً سالباً للعقل ، متلفاً للجسم مسقطاً للمروءة ،
معصوراً بالأيدي الوضرة ، مدوساً بالأرجل القذرة موضوعاً في دنان قد لا تسلم
من الجراثيم السامة وأباريق قد لا يعنى بتنظيفها مدارة بكؤوس تداولتها الأيدي

(١) ينصب عليهم لكونه حالا من ضمير عليهم في قوله ويطوف عليهم ولدان
وقد يقال إنها حال من ولدان وقرىء عليهم بالسكون على أنه مبتدأ وخبره ثياب
سندس خضر واستبرق .

الأثيمة وولغت فيها الأفواه البخرة وأنت هداك الله اذا أمعنت النظر فيما القاه عز وجل اليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة تتمثل لك عناية الله بهم قالبا حسيّا ، وترى كرامتهم عليه وسمو منزلتهم لديه شخصاً مرئياً ، وذلك أنه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطباً لهم (ع) « إن هذا » الاكرام العظيم الذي فصلناه في محكم الذكر تفصيلاً وفضلناكم على العالمين تفضيلاً (كان لكم جزاء) على أعمالكم المقدسة التي استوجبت هذا الاكرام الجسيم لم تناولوه بشفاعه أو بمجرد فضل وإنما أخذتموه بالاستحقاق والعدل (وكان سعيكم) مع ذلك كله (مشكوراً) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بقيت نسكتة شريفة ، وحكمة من حكم الفرقان منيفة حاصلها أن هذه السورة المباركة كما بشرت هؤلاء الأبرار (١) فقد اندرت أعداءهم الظالمين الكفار ، بما أعد الله لهم من السلاسل والأغلال والعذاب الأليم وسعير النار ، فأمعن النظر إليها ، تجد التصريح بذلك في كل من طرفيها ، كما لا يخفى على الخواصين

(١) يجب أن يعلم أن آيات الثناء والبشائر في سورة الدهر كلها لعلي وفاطمة والحسن والحسين وآيات الوعيد والذم والتهديد فيها لأعدائهم بقرينة أن السبب في نزول تلك السورة بتمامها إنما هم عليهم السلام لكن الالتفات في كل من المقامين عامة شاملة لكل من اتصف بتلك الاوصاف وعلى هذا فالبشائر والمدايح في تلك السورة تتناول علياً وفاطمة والحسن والحسين أولاً وبالذات ثم تتناول من انصف بصفاتهم ثانياً وبواسطة دخولهم في تلك العمومات — وكذلك القول في آيات الذم والوعيد فانها تتناول أولاً وبالذات أعداء أولئك الأبرار الذين كانوا سبباً في نزول السورة بجمعها ثم تتناول غيرهم لدخوله في العموم حيث أن المورد لا يخصص الوارد فاحفظ هذا فانه ينفعك في كثير من الآيات إن شاء الله تعالى .

لعباب الذكر الحكيم الغواصين على كل سر من أسرارهِ عظيم ، المتدبرين لمواقع كَلَمه ، والمستقصين في البحث والتنقيب عن حكمه الذين اذا قرأوا القرآن أو استمعوا له ، أصغوا اليه بمجامع قلوبهم ، وخشعت لهيبته جميع جوارحهم فبخعوا لمعانيه ومراميهِ ، وخضعوا لأوامره ونواهيه ، جعلنا الله في جملة من من عليهم بذلك إنه أرحم الراحمين .

المطلب الثاني : في دلالة السنة المقدسة ، وفيها من الأحاديث الصحيحة ، والنصوص الصريحة ما تضيق عنه هذه الرسالة ولا تحتمله هذه العجالة ، وإنما نذكر منها اثني عشر حديثاً تبركاً بهذا العدد الميمون .

١ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، أخرجه جماعة من المحدثين كثيرون كالإمام أحمد من حديث رواه عن ابن عباس في صفحة ٢٩٣ من الجزء الأول من مسنده ، وأبي داود (كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب) وقاسم بن محمد (كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب) وجماعة من حملة الآثار وحفظة الأخبار لا يسع المقام استيفاءهم .

٢ قول رسول الله (ص) خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، أخرجه أبو داود (كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب) بالاسناد الى أنس ورواه عبد الوارث بن سفيان (كما في ترجمتي الزهراء وخديجة من الاستيعاب) بالاسناد الى أبي هريرة ونقله غير واحد من ثقة المحدثين بطرقهم الى أنس وأبي هريرة .

٣ قول رسول الله (ص) : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران

وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا امرأة فرعون أخرجه الترمذي (كما في الأربعين النباهي) (١) عن أنس ، ورواه عنه أيضاً السراج (كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب) وأخرجه أبو داود (كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب) ونقله الشعبي (كما في ترجمة الزهراء من الإصابة) عن جابر ، ولا يسعنا استقصاء من أخرج هذا الحديث بطرقهم المختلفة الى أنس وجابر — وأنت تعلم أن هذه الأحاديث الثلاثة ونحوها نصوص جلية في تفضيل الأربع على سائر نساء البرية ولا تعرض فيها لبيان الأفضل من تلك الأربع لكن صحاحنا المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة نصوص في تفضيل الزهراء صريحة لا تقبل التأويل كما يشهد به كل من أنعم الله عليه بالاستسلام لحكمها — وحسبك في تفضيل الزهراء أنها بضعة من سيد الأنبياء ولا نعدل به ولا يبضعته أحداً من العالمين — وقد وافقنا في تفضيلها جمهور من المسلمين وصرح به كثير من المحققين نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبعين كالمعاصر النباهي حيث قال في أحوال الزهراء من كتابه « الشرف المؤبد » ما هذا لنظله : وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى دلى السيدة مريم كثير من العلماء المحققين ، منهم التقي السبكي ، والجلال السيوطي والبدر الزركشي والتقي المقرئ « قال » وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك — الذي مختاره وندين به أن فاطمة بنت محمد أفضل — « قال » وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال : إن رسول الله (ص) قال فاطمة بضعة مني . ولا أعدل ببضعة رسول الله أحداً — ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف فراجع .

(١) راجع صفحة ٢٢٠ من كتاب الأربعين . أربعين من أحاديث سيد المرسلين .

٤ ما استخرجه أبو داود (كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب) بسنده الى ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة بنت محمد وخديجة وآسيا اه — وهذا كالأحاديث السابقة في الدلالة على تفضيل الأربع على من سواهن من نساء العالمين ، إلا أنه ربما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء لكن الأدلة الاخر التي هي أكثر عدداً وأصح سنداً وأصرح دلالة من هذا الحديث ونحوه توجب الاعراض عما يستشعر منه على أنه لا يروى من طريق أصحابنا كما لا يخفى .

٥ ما أخرجه البخاري (١) ومسلم (٢) والترمذي في صحاحهم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة والامام أحمد من حديث الزهراء من مسنده (٣) وابن عبد البر في ترجمتها من استيعابه ومحمد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته وفي باب ما قاله النبي في مرضه من المجلد الثاني من الطبقات أيضاً — واللفظ الذي تسمعه للبخاري في آخر ورقة من كتاب الاستئذان من الجزء الرابع من صحيحه قال حدثنا موسى عن أبي عوانة عن فراس عن عامر عن مسروق حدثني عائشة أم المؤمنين قالت : إنا كنا أزواج النبي عنده جميعاً لم تغادر منا واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله (ص) فلما رآها رحب وقال : مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن

(١) راجع آخر صفحة ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه المطبوع بالمطبعة

المليحية سنة ١٣٣٢ .

(٢) راجع باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه تجد طريقة في هذا

الحديث الى عائشة متعددة .

(٣) راجع صفحة ٢٨٢ من الجزء السادس من المسند .

يمينه أو عن شماله ثم سارّها فبكت بكاءً شديداً فلما رأى حزنها سارّها الثانية
 إذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نساءه — خصك رسول الله (ص) بالسر
 من بيننا ثم أنت تبكين فلما قام رسول الله (ص) سألتها عما سارك قالت :
 ما كنت لأفشي على رسول الله سره . فلما توفي قلت لها عزمت عليك بما لي
 عليك من الحق لما أخبرتي قالت : أما الآن فنعم ، فأخبرتني قالت : أما حين
 سارني في الأمر الأول فانه أخبرني أن جبرائيل كان يعارضه كل سنة مرة ، وإنه
 قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري
 فاني نعم السلف أنا لك ، قالت فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي
 سارني الثانية قال : يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة
 نساء هذه الأمة اه . ولنظفه فيما ذكره ابن حجر في ترجمتها من الاصابة وغير
 واحد من المحدثين ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين ، وكيف كان
 فالحديث صحيح والنص في تفضيلها صريح — وأخرج ابن سعد في باب ما قاله
 النبي لها في مرضه من المجلد الثاني من طبقاته بالاسناد الى ام سلمة قالت لما حضر
 رسول الله (ص) دعا فاطمة فناجاها فبكت ثم ناجاها فضحكت فلم أسألهما حتى
 توفي رسول الله (ص) فسألتها عن بكائها وضحكها فقالت أخبرني أنه يموت ثم
 أخبرني أنني سيدة نساء أهل الجنة ، الحديث . وأخرجه أيضاً أبو يعلى (كما في
 ترجمة الزهراء من الاصابة) بالاسناد الى ام سلمة ، ورواه عنها غير واحد
 من أهل الحديث .

٦ ما أخرجه جماعة من الحفظة وأهل الضبط ممن حملوا العلم بأسانيده
 وطرقه كان عبد البر في ترجمتها عليها السلام من الاستيعاب أن النبي (ص)

عادها وهي مريضة فقال كيف تجدنيك يا بنية ، قالت إني لوجعة وإنه ليزيدني أي ما لي طعام آكله قال يا بنية أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين ، قالت يا أبة فأين مريم بنت عمران . قال تلك سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك ، أما والله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة اه .

٧ ما أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان « كما في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر » عن حذيفة أن النبي (ص) قال له أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك لم يهبط الى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة ، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة اه .

وأخرج ابن حبان وغيره — كما في أحوال الزهراء من الشرف المؤبد وغيره — عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) إن ملكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربي في زيارتي فبشرني أن فاطمة سيدة نساء امتي اه .

٨ ما أخرجه حفظة الأخبار وحلة الآثار كعبد الرحمن بن أبي نعيم — كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب والاصابة وغيرها — عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ... الحديث .

٩ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما — كما في ترجمة الزهراء من الاصابة وغيرها — عن المسور قال سمعت رسول الله (ص) يقول على المنبر : فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما آذاها ويريني ما رابها — ونقل النبهاني في أحوال الزهراء من الشرف المؤبد عن البخاري بسنده الى رسول الله (ص) قال فاطمة بضعة مني ، يغضبني ما يغضبها قال : وفي رواية فن أغضبها أغضبي قال : وفي

الجامع الصغير ، فاطمة بضعة مني يقبضي ما يقبضها ويسطني ما يبسطها — وقالت —
 بأبي هي وأمي — لأبي بكر وعمر — كما صرح به الامام ابن قتيبة في أوائل
 كتاب الامامة والسياسة — نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله (ص) يقول :
 رضا فاطمة من رضي ، وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب ابنتي فاطمة فقد
 أحبني ومن أَرْضَى فاطمة فقد أَرْضَانِي ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ، قالا : نعم
 سمعناه من رسول الله (ص) . وهذا من الأحاديث المتواترة ، عن أئمة العترة
 الطاهرة وكفى به حجة لتفضيلها على من سواها من نساء العالمين ، وهل
 يعدل مسلم ببضعة النبي (ص) وبقيته في امته أحداً من الناس وقد تدبر هذا
 الحديث من تدبره من أولي الأبواب ، فراح يرمي الى عصمتها لدلالته على امتناع
 وقوع كل من أذيتها ورديتها وغضبها وسخطها ورضاها وانقباضها وانبساطها ، في
 غير محله ، كما هو الشأن في أذية النبي (ص) ورديته ورضاه وسخطه وانقباضه
 وانبساطه وهذا كنه العصمة وحقيقتها كما لا يخفى .

١٠ ما أخرجه ابن أبي عاصم — كما في ترجمتها من الاصابة — بسنده
 الى علي عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) لفاطمة إن الله يغضب لغضبك ،
 ويرضى لرضاك — وأخرجه الطبراني وغيره باسناد حسن — كما في أحوالها من
 الشرف المؤبد وغيره وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق .

١١ ما أخرجه جماعة من إثبات المحدثين وأعلامهم كالامام أحمد بن

حنبل من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده قال : نظر
 النبي (ص) الى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم وسلم
 لمن سالمكم — وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم (كما في ترجمة الزهراء

من الاصابة) أن رسول الله قال : — علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم اه . — وهذا الحديث في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه وفيه دلالة على كفر محاربهم كما ترى .

١٢ ما أخرجه المحدثون بالاسناد الى علي واللفظ لأحمد في صفحة ١٠١ من الجزء الأول من مسنده عن عبد الرحمن الأزرق عن علي قال : دخل علي رسول الله (ص) وأنا نائم على المنامة فاستسقى الحسن أو الحسين قال فقام النبي (ص) الى شاة لنا بكى (١) فخلبها فدرت فجاءه الحسن فنجاه النبي (ص) فقالت فاطمة يا رسول الله كأن أخاه أجبها إليك قال لا ، ولكنه استسقى قبله ، ثم قال إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة اه .

يخرج هذا هو الفضل الذي يجمع له الأولون والآخرون فلا يلحقهم بعده لاحق ولا يطمع في إدراكهم طامع ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

هذا آخر ما وسعته العجالة واحتملته هذه الرسالة وقد استقصينا في سبيل المؤمنين (٢) كل ما يدل على تفضيلهم عليهم السلام .

(١) أي قل لبنها وقيل انقطع وهذا الحديث أشار اليه صاحب لسان العرب في مادة بكأ .

(٢) نكتبنا في سبيل المؤمنين سنة ١٩٢٠ غربية وهي سنة ١٣٣٨ هجرية يوم زرنا بجل ما الفناه قبل تلك النازلة التي عمت أبناء عاملة واختصت بهذا الضعيف حيث اوغل الغاشمون في طغيانهم ولجوا في عدوانهم ومضوا في التنكيل والتقتيل والتشريد على غلوائهم وأطلقوا في البنادق والمشائق والنهب والضرب والتجريق والتزيق أعنة أهوائهم — ركبوا في ذلك رؤوسهم متهاوتين في أعمالهم لا يلوون على أحد وكنت في طليعة من تبدد وتشرد وليستهم كفوا عن تلك الكتب القيمة واكتفوا بما —

وحسبك في تفضيلها بالخصوص ما أخرجه الطبراني في ترجمة ابراهيم بن هاشم من معجمه الأوسط عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً قط أفضل من فاطمة غير

— سواها — عند الله أحسن تلك المؤلفات التي أفنيت فيها عمري ورهقني بقتلها ما نقض مرة صبرى فانا لله وإنا اليه راجعون — انشد الله امرءاً وقع في يده شيء منها إلا أثلج به كبدى الحرى فان لكل كبد حرى أجرا — واليك ضالتي المنشودة ونفائسى المفقودة * ١ شرح البصرة على سبيل الاستدلال خرج منه كتاب الطهارة وكتاب القضاء والشهادات وكتاب المواريث في ثلاثة مجلدات * ٢ تعلية على استصحاب رسائل الشيخ في مجلد واحد * ٣ رسالة في منجزات المريض استدلالية . * ٤ سبيل المؤمنين ثلاثة مجلدات في إمامة أئمتنا الاثني عشر وأحوالهم ومناقبهم وهدى بهم (ع) لا نظير له في موضوعه * ٥ النصوص الجلية في امامة العترة الزكية يشتمل على ثمانين نصاً أربعين مما أجمع على صحته المسلمون وأربعين مما انفردت به الامامية وفيه وفي سبيل المؤمنين ما شئت من أدلة عقلية ونقلية وحكمة فلسفية . * ٦ تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة مجلد واحد يشتمل على مائة آية نزلت فيهم بحكم الصحاح المجمع على تصحيحها وقد تسكلمنا فيه وفي سبيل المؤمنين بما يوجه التحقيق في العلوم مجازين فيها الاطئاب الممل والابحاز الخل * ٧ تحفة المحدثين فيما أخرج عنه الستة من المضعفين وهذا هو المعجم الأول الذي لم يكتب قبله في هذا الموضوع * ٨ تحفة الأصحاب في حكم أهل الكتاب * ٩ الذريعة في نقض البديعة (أعنى بديعة النبهاني) * ١٠ المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة أربعة مجلدات المجلد الأول في السيرة النبوية الدالة بمجرد ما على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم الثاني في سيرة أمير المؤمنين والزهراء والحسن المجتبى ذكرنا منها ما يدل بحكم الفلسفة العقلية على عصمتهم الثالث خاص بسيد الشهداء علي وتيرة الأول والثاني الرابع في سيرة التسعة اقتصرنا منها على ما يدل بمجرد ما على امامتهم وعصمتهم وفي هذه المجالس من الفلسفة ما يحكم العقل والنقل بصحته — وقد طبعت مقدمتها فكانت رسالة لها السبق في موضوعها * ١١ المناظرات الأزهرية والمباحثات المصرية كتاب يشتمل على مهمات المسائل الخلافية متفككلاً بآيات الحق من طريق مخالفه —

أبيها — وسند هذا القول الى عائشة صحيح على شرط البخاري ومسلم ، صرح بذلك ابن حجر في ترجمة الزهراء من اصابته والنيهاني في آخر صفحته ٥٨ من الشرف المؤبد — وأخرج ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه بالاسناد الى ابن عمير قال دخلت على عائشة فسألتها أي الناس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله قالت فاطمة ، قلت فمن الرجال قالت زوجها — وأخرج في ترجمتها (ع) من الاستيعاب أيضاً عن بريدة قال : كان أحب الناس الى رسول الله من النساء فاطمة ومن الرجال علي — وقالت عائشة : ما رأيت أحداً أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها (ص) أخرجه ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه . والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

- * ١٢ مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام خرج منه مجلد واحد نشر عنه (العرفان في مجلداته الاول والثاني والثالث) تراجم كثير من الأعظم .
 * ١٣ بغية الفائز في نقل الجنايز نشرت العرفان جلد ١ * ١٤ بغية السائل عن اثم الأيدي والأنامل رسالة فيها أربعون حديثاً من طريقنا وأربعون من طريق غيرنا أدلة على الموضوع وتكلمنا فيها بهذه المناسبة في مطلق التقييل فكانت رسالة علمية أدبية فكاكية * ١٥ زكاة الأخلاق رسالة شريفة نشرت مجلة العرفان الغراء لمعاً منها .
 * ١٦ الفوائد والفرائد يعرف موضوعها من اسمها * ١٧ تعليقة على صحيح البخاري * ١٨ تعليقة على صحيح مسلم * ١٩ الأساليب البديعة في رجحان مآثم الشيعة كتاب لم يسبق له (في أداته العقلية والنقلية) نظير « ودع عنك نهياً صحيحاً في حجراته » .

وكان الفراغ من تأليفها في مدينة صور مستهل رجب سنة الف وثلاث مائة وست وأربعين هجرية بقلم مؤلفها الأقل عبدالحسين بن الشريف يوسف بن الجواد بن اسماعيل بن محمد بن محمد (١) بن ابراهيم ويلقب شرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي ابن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن حمزة بن سعدالله بن حمزة بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن ابراهيم المرتضى بن الامام أبي الحسن موسى (٢) الكاظم بن الامام أبي عبدالله الصادق بن الامام أبي جعفر الباقر ابن الامام زين العابدين علي بن الامام أبي عبدالله الحسين سيد الشهداء وسبط سيد الأنبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين .

(١) الى محمد هذا ينتهي نسب والدة المؤلف أيضاً فانها كريمة الهادي بن محمد علي بن صالح بن محمد المذكور .

(٢) يقال للمؤلف موسوى نسبة الى هذا الامام كما يقال ذلك لكل حسين تفرع عن شجرة موسى الكاظم عليه السلام ؛ تمت التعليقة بقلم مؤلفها الأقل عبدالحسين شرف الدين الموسوى سنة ١٣٤٦ والحمد لله .



فهرس الكلمة الغراء في تفضيل فاطمة الن هراء «ع»

وهي عبارة عن مطلين — المطلب الأول في دلالة الكتاب —
وقد ذكرنا منه أربع آيات في أربعة فصول

صفحة

- ٢٠٢ ﴿ الفصل الأول ﴾ في آية المباهلة ورجه دلالتها وبيان نكاتها البيانية .
٢٠٤ روعة زعماء نجران حين برز أصحاب الكساء لمباهلتهم .
٢٠٧ دلالة الآية على كون علي بمنزلة نفس النبي (ص) وكلام الرازي في ذلك .
٢٠٩ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في آية التطهير ونزولها في الخمسة (ع) .
٢١٠ بيان السر في حجه (ص) إياهم بذلك الكساء .
٢١٢ البرهان على اختصاص الآية بالخمسة .
٢١٤ قول عكرمة ومتمانل باختصاص الآية بالنساء تشبيهاً بالسياق .
٢١٦ كون عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدثين .
٢١٧ كون مقاتل من أعداء علي وأهل البيت وكونه كذاباً مرجئاً مشبهاً ساقطاً .
٢١٨ الرد على عكرمة ومقاتل فيما زعماه من تخصيص الآية بالنساء وتزييف
دليلهما بأربعة وجوه .
٢٢٠ قول بعضهم بأن المراد من أهل البيت في الآية كل من حرمت عليهم الصدقة
وبيان دليله على ذلك وإبطال دليله من وجهين .

٢٢١ قول قوم بأن الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء جمعاً بين الأدلة والسياق ورده بوجوه ثلاثة .

٢٢٢ ﴿ تنبيهان ﴾ أحدهما أن الآية دلت على عصمة الخمسة ، ثانيهما إنها دلت على إمامة أمير المؤمنين (ع) .

٢٢٣ ﴿ الفصل الثالث ﴾ في آية المودة والأخبار المأثورة في نزولها بعلي وفاطمة وأبنائهما .

٢٢٧ التعجب من حسدة آل محمد (ص) وصرفهم الآية عنهم والذي عرفناه من أقوالهم أربعة أقوال .

٢٢٨ القول الأول إن الله تعالى أمر نبيه أن يقول لمشركي قريش لا أسألكم أجراً إلا أن تودوني في قرابتي منكم وقد زينناه بخمسة وجوه .

٢٢٩ القول الثاني أن معناها لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوا القربى من الله بالأعمال الصالحة — والثالث أن معناها إلا أن تودوا قرابتكم — والرابع أن الآية منسوخة وقد بينا بطلان هذه الأضاليل بما لا مزيد عليه .

٢٣٠ بقى للقوم اعتراض ذكرناهما وزيفناهما .

٢٣٤ قطع أكابر أهل السنة بنزول آية المودة في أهل البيت .

٢٣٦ ﴿ الفصل الرابع ﴾ في آيات الأبرار ونزولها فيهم عليهم السلام .

٢٣٧ شرح آيات الأبرار ، والاشارة الى ما تضمنته من الأسرار .

٢٤٥ المطلوب الثاني في دلالة السوء وفيها من الأحاديث الصحيحة ما تضيق عنه هذه

الرسالة وقد اكفينا باء عشر حديثاً فراجعها .

فَاس

٢٠٠	الامام زين العابدين	بقلم السيد عبد الرزاق المكرم
٤٠	الاسلام والمرأة	- الشيخ جعفر نقدي
٦٠	طب الامام الصادق	- محمد الخليلي
٦٠	وقعة كربلاء	- السيد محمد علي الحسيني
٦٠	الدروس الاخلاقية	- الشيخ جعفر نقدي
١٠٠	المختار الثقفي	- احمد الدجيلي
١٠٠	من اشعة القرآن	- محمد امين زين الدين
٣٥٠	الفصول المهمة	- الامام شرف الدين

تطلب هذه المطبوعات من :

النجف	من الناشر صاحب مكتبة النجاح
بغداد	وكالة فرج الله للمطبوعات
بيروت	دار الفكر
بحرين	ملا عبد الله عبد الرضا العراقي

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 088432974